رب صدقة

الكاتب: محمد السيد عبدالظاهر

رقم الإيداع: 25518 / 2018

ISBN : 978 - 977 - 798 - 150 - 7

الطبعة الأولى يناير 2019

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضروره عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..

رب صدفة

الكاتب

محمد السيد عبد الظاهر

الحلم
للنشر و التوزيع

كثيرٌ مِنا يتحدث عن القدر وأنه المتحكم الوحيد في جميع أمور حياتنا رغم أنهم أيضًا في نفس الوقت يتحدثون عن وجود الصدفة والتي تلعب دورًا أساسيًا في شكل حياتنا، فهل هذا تناقض؟!

وهل حقًا يوجد ما هو صدفة، أم أنه شيء قد صنعناه من خيالاتنا لنبرر به بعض أفعالنا؟!

فكيف عندما نقابل شخصًا ما ونحبه ونبدأ علاقة معه لا تنتهي إلا بالموت، نقول وبكل بساطة إن كل ذلك حدث صدفة؟!

وكيف عندما نحمل ضغينة أو كره لشخص ما ونسعى للقضاء عليه، نقول وبكل بساطة أيضًا إن كل هذا سببه صدفة؟!

لقد أصبحنا جميعًا نبرر أفعالنا الصواب منها والخطأ أيضًا بأنها كانت من رحم الصدفة، فهل خُلق الكون ووُجدت هذه الحياة أيضًا صدفة؟!

-1-

على الرغم من أنه وقت الظهيرة إلا أن الشمس قد غابت وتوارت خلف السحب التي كانت قد ملأت السماء، وقد اصطدم بعضها ببعض لتهطل أمطار غزيرة فاجأت الناس لتُعلن لهم بداية فصل الشتاء، وبعد دقائق كانت فيها الشوارع شبه خالية حيث حاول الناس الابتعاد عن مياه الأمطار التى توقفت، في تلك الأثناء عاد الشارع كما كان على طبيعته المعتادة من زحام، وكان شارع طلعت حرب بوسط البلد مليئًا بالزحام والضجيج؛ بسبب الباعة الموجودين على رصيف الشارع، والذين كانوا يتسابقون إلى المارة لعرض منتجاتهم وبيعها لتعويض الخسارة التي قد تكون لحقت بهم بسبب الأمطار المفاجئة، وعلى العكس تمامًا كان الحال داخل مقهى "جروبي" حيث الهدوء التام الذي يتخلله أنغام الموسيقى الهادئة في وجود بعض الزبائن على الطاولات المختلفة.

ولم تمر سوى لحظات وقد فُتح باب المقهى لتدخل منه سيدة في أواخر العشرينيات من عمرها، كانت ترتدي بنطلونًا جينز أزرق وبلوزة بيضاء

عليها صورة لامرأة تمسك في يدها سيجارًا ويخرج الدخان من بين شفتيها ذات اللون الأحمر، ثم أغلقت تلك السيدة الباب مرة أخرى وتحركت في خطوات بطيئة ناحية إحدى الطاولات على الجانب الأيسر وجلست عليها.

وبعد لحظات كان الجرسون قد جاء إليها وقام بالترحيب بها ثم سجل في دفتره ما طلبته منه ورحل، وبعد أن تركها الجرسون أمسكت تلك السيدة هاتفها المحمول ونظرت إليه لثوانٍ ثم وضعته مرة أخرى أمامها على الطاولة وبدأت تنظر للمكان حولها.

كان هناك رجلان يجلسان بصورة رسمية ويبدو أنهما يتحدثان عن بعض الأعمال الخاصة بهما، وأيضًا كان هناك شاب يجلس أمام فتاة وقد تشابكت أيديهما مع بعضها البعض وكان يحاول الاقتراب منها ليضع قبلة على شفتيها دون أن يراه أحد، ثم توقفت بنظرها على رجل يجلس على الطاولة الموجودة أمامها مباشرة، والذي كان في منتصف الثلاثينيات من عمره إلا أن مظهره كان يوحي بالشيخوخة، وذلك لوجود بعض الشعيرات البيضاء في رأسه وذقنه وأيضًا ذلك السواد

الموجود تحت عينيه ويديه الخشنة المتشققة، وكان يضع سماعة في أذنيه يخرج منها موسيقى لا يسمعها أحد غيره وأمامه على الطاولة مفكرة صغيرة ونظارة سوداء عريضة.

ظلت تلك السيدة تنظر إليه لدقائق حتى أنها لم تشعر بالجرسون الذي وضع أمامها عصير الفراولة وزجاجة المياه ثم رحل، وكانت علامات الاندهاش تبدو عليها وقد جرت في جسدها رعشة كبيرة عندما تلاقت عيناهما لأول مرة منذ أن جلست إلا أنه لم يظهر عليه أي تغيير لملامحه التي ظلت جامدة كما هي، فبدأت تلك السيدة تسأل نفسها في صمت: "هل هو حقًا؟! هل قد تعرّف عليّ أم لا؟ وكيف لم يتعرف عليّ؟ ولكن.. لماذا لم تتغير ملامحه عندما تلاقت عيناه بعيني؟ كم يبدو مختلفًا عن سابق عهده!! ماذا يا تُرى قد حلّ به خلال السنوات الماضية؟ لقد تغيرت ملامحه كثيرًا ويبدو مهمومًا وحزينًا.. وأين ابتسامته؟! تلك التي لم تكن تغيب عن وجهه يومًا؟ تلك الابتسامة الهادئة الجميلة.. هل كل هذا بسببي؟ لقد تسببت في جرح عميق لقلبه.. أعلم ذلك.. ولكن هل استطاع أن يسامحني بعد ما فعلته به أم لا؟

ولكن لم تستطع تلك السيدة أن تنتظر أكثر من ذلك وتخمن هي بنفسها إجابات كل هذه التساؤلات التي كانت تدور في رأسها، فوقفت وتوجهت ناحيته دون أن تفكر فيما تفعله ونتائج ذلك حتى وجدت نفسها أمامه ولا يفصلها عنه سوى الطاولة التي كانت تعتبر حاجزًا بينهما.

بعد لحظات كانت فيها تلك السيدة تستجمع قواها وترجو من الله أن يحل عقدة لسانها، قالت بصوت متقطع: كيف حالك يا حمزة؟

❁ ❁ ❁

قبل بضع سنوات..

-2-

استقبل الرئيس وفدًا من الكونجرس الأمريكي قد جاء لمناقشة الأوضاع التي تجري في الشرق الأوسط وكذلك إيجاد حلول للقضية الفلسطينية.. تناشد وزارة الصحة المواطنين بعدم التعامل المباشر مع الطيور إلا في حالات الضرورة وبالطريقة الصحيحة وذلك بسبب انتشار مرض أنفلونزا الطيور في كل المحافظات وارتفاع عدد الضحايا هذا اليوم إلى خمسة وعشرين.. يبدأ اليوم المنتخب الأول لكرة القدم معسكره التدريبي استعدادًا لبطولة الأمم الأفريقية والتي ستُقام مبارياتها في أنجولا.. يتوقع خبراء الطقس الاستمرار في انخفاض درجات الحرارة وكذلك سقوط أمطار في معظم أنحاء الجمهورية.. وبذلك نكون قد وصلنا إلى نهاية عناوين الأخبار ونلقاكم في تمام الثالثة مساءً ودُمتم بصحة جيدة.

أطفأ حمزة التليفزيون ونظر إلى الساعة الموجودة على الحائط فوجدها الثانية عشرة والربع، توجه ناحية الثلاجة وفتحها وظل ينظر إليها لدقيقتين كأنه يفكر فيما سيفعله، ثم مد يده وأمسك بزجاجة مياه

وشرب منها ثم وضعها مرة أخرى في نفس مكانها، وظل ينظر مرة أخرى داخل الثلاجة التي كانت مليئة بالأطعمة والعصائر ثم أغلقها دون أن يأخذ منها شيئًا.

بعد ذلك عاد حمزة ليجلس على كرسيه في "البلكونة" المطلة على الشارع وقام بوضع سماعته على أذنيه وضغط على زر التشغيل لتبدأ أغنياته التي اعتاد على سماعها وبدأ يهز رأسه متفاعلًا معها، فكان حمزة قد اعتاد الهروب من واقعه الممل من خلال تلك الموسيقى والسماعة التي أصبحت تلازمه دائمًا.

كان حمزة قد اعتاد الحياة وحيدًا بعد وفاة والدته التي وافتها المنية منذ بضع سنين ولكن دون شكوى أو تذمر لحاله، بل إنه كان دائمًا مبتسمًا ومحبًا للحياة، وكان يعمل بجد ويحتفظ بمكانة طيبة من زملائه ورؤسائه في العمل، لم يكن ينقصه شيء سوى تحقيق أهم أمانيه وهو لقاء زوجته المستقبلية والتي كان يحلم بأن يعيش معها قصة حب ولكنه أخيرًا كان قد استغنى عن ذلك الحلم ورضي فقط بأن يلقاها يومًا ما.

استيقظ حمزة متأخرًا في هذا اليوم على غير عادته؛ بسبب التعب والإجهاد الذي حلّ به لكثرة أعماله في الأيام السابقة، كان يعمل

مهندسًا في إحدى شركات الاتصالات والتي أصبح يحتل فيها مكانة كبيرة ومتميزة نظرًا لجهوده وتفوقه بالإضافة إلى طيبته وحسن أخلاقه مما جعله شخصًا محبوبًا من قِبل زملائه في العمل، ومنذ أن استيقظ حمزة وهو يشعر بسعادة كبيرة لأن الشركة التي يعمل بها ستُقيم حفلًا في مساء هذا اليوم لمرور خمسين عامًا على إنشائها، كما أنه سيحضر ذلك الحفل بعض المشاهير من الفنانين والشخصيات العامة الذين تمت دعوتهم وأيضًا سيتواجد الكثير من رجال الإعلام والصحافة لتغطية هذا الحفل، وقد ازدادت سعادته أكثر بسبب المصادفة الغريبة حيث إن اليوم أيضًا هو ذكرى مولده.

ولكن فجأة ودون مقدمات تغيرت ملامح حمزة وبدا عليه الضيق فخلع سماعته عن أذنيه وارتسمت على وجهه ملامح الحزن؛ بسبب تذكره أن الليلة ستُقام أيضًا المباراة النهائية لبطولة التنس التي كان يُتابعها منذ بدايتها وينتظر مباراتها النهائية بفارغ الصبر، وبدأ يشعر بالحيرة في اختيار الحفل أو مشاهدة مباراة التنس، فقضى معظم وقته متجولًا في الشقة وهو يستمع إلى موسيقاه وينظر من الحين للآخر إلى بريده الإلكتروني كأنه ينتظر رسالة ما ولكن لم تأته أي رسائل، كما قام

أيضًا بفتح بعض الكتب والروايات التي اشتراها منذ بضعة أيام وكان يقلب في صفحاتها دون أن يقرأ منها شيئًا فكان يبدو عليه التوتر الشديد عندما كان ينظر إلى ساعته ويرى الوقت يمر دون أن يتخذ قراره بعد.

* * *

كان الهدوء إحدى الصفات التي تتميز بها الجامعة في معظم أرجائها سوى مكان واحد دائمًا ما يكون الوضع فيه مختلفًا من حيث الزحام والضجيج، وهو ذلك المكان الذي يتواجد فيه المدرج الخاص بطلبة كليتي الصيدلة والتجارة معًا وأيضًا الكافيتريا الأشهر في الجامعة والتي كانت تقدم الأطعمة والمشروبات غير أن كثيرًا من الطلبة قد اتخذ هذا المكان مقرًا لاجتماعاتهم وأحاديثهم والبعض اتخذه مكانًا للعب وآخرون كانوا يلتقطون فيه الصور، فكان الوضع فيه يشبه النادى وليس مكانًا من أجل العلم والتعلم، وعلى الرغم من كل ذلك فكان هناك طالب قد اعتاد الجلوس للقراءة في ذلك المكان وكان يشاهد كل ما يحدث حوله وهو يدعي الله بأن يهدي هؤلاء الطلبة جميعًا.

كان هذا الطالب جالسًا يقرأ في مُصحف صغير ومن حوله الضجيج والزحام كالعادة، وكان بين الحين والآخر ينظر لساعته ثم يستكمل

القراءة مرة أخرى وبعد المرة الثالثة التي نظر فيها لساعته وقف مكانه وبصوت عالٍ بدأ يردد:

- "الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر".

فأصبح المكان فجأة يسوده السكون على غير عادته حيث إن الطلبة المتواجدين جميعًا قد التزموا الصمت والهدوء احترامًا للأذان الذي كان يردده ذلك الطالب حتى انتهى فعاد المكان مرة أخرى لوضعه السابق وكأن شيئًا لم يحدث، ولكن رجل الأمن قد توجه إلى هذا الطالب وتحدث إليه قائلًا: "كم مرة أخبرتك أننا لا نمنع الأذان ولكنه يكون في مسجد من المساجد الكثيرة داخل الجامعة؟.

- "وهل الصلاة مكانها فقط داخل المساجد؟".

ردّ بذلك الطالب متسائلًا بهدوء تبدو فيه ثقة كبيرة، فجاوبه رجل الأمن: "لا.. وأنت تعلم أننا مسلمين ونصلي مثلك تمامًا.. ولكن هذه جامعة ولها نظم وقوانين يجب احترامها.. كما أن المساجد كثيرة داخل الجامعة ولا نمنع أحدًا أن يصلي بل ونحن أيضًا نصلي فيها".

- "ولكن يجب علينا أن نحث الجميع على الصلاة.. لماذا ترفض الأذان ولا ترفض التقاط الصور واللعب في ذات المكان؟"،

قال الطالب بهدوئه المعتاد فشعر رجل الأمن بأنه تلقى صفعة على وجهه بعدما اخترق هذا السؤال أذنيه دون أن يجد جوابًا، فظل صامتًا للحظات، ثم أردف قائلًا بصوت هادئ: "جميعنا نعلم أنك طالب مجتهد ومحترم وصدقني لا أحد يريد إيذائك أو يرفض ما تفعله، ولكن هناك قوانين يجب أن نحترمها جميعًا وهذا واجبي ويجب أن أفعله".

ثم تحولت لهجته فجأة إلى لهجة تحذيرية وهو يختم كلامه قائلًا: "إنها المرة الأخيرة التي أحذرك فيها.. لا تنس ذلك".

ثم عاد رجل الأمن إلى مكانه في حين ظل الطالب واقفًا مكانه للحظات قبل أن يقرر الذهاب إلى المسجد ليصلي.

وفي طريقه للمسجد قابله مجموعة من زملائه وقد سأله أحدهم: "إلى أين أنت ذاهب يا علي؟ المحاضرة ستبدأ الآن".

- "سوف أصلي الظهر في المسجد ثم سآتي إلى المحاضرة، لماذا لا تأتون معي لنصلي أولًا ثم نعود للمحاضرة؟".

بعدما انتهت الصلاة عاد علي ومعه زملاءه مسرعين ليلحقوا بالمحاضرة قبل أن يفوتهم الكثير منها، ولكنهم قد تفاجأوا بالتجمهر

الكبير للطلبة، يشاهدون مشاجرة بين بعض الطلاب الآخرين في حين كان رجال الأمن يحاولون السيطرة على المكان وفض تلك المشاجرة، فسأل علي أحد الطلاب الموجودين: "ماذا حدث؟".

- إنها مشاجرة بين طلبة حقوق وطلبة تجارة.
- لماذا؟

سأل علي بضيق، فجاوبه ذلك الطالب بابتسامة ساخرة: "بسبب إحدى الفتيات من كلية التجارة، حاول طالب من كلية الحقوق التحرش بها، وعندما أخبرت زملاءها قاموا بضرب ذلك الطالب، وبعد دقائق عاد مرة أخرى ومعه زملاءه فتشاجروا مع الطلبة الذين ضربوه".

- ماذا تنتظرون من طلبة أصبحت التفاهات تملأ عقولهم؟!

تساءل علي بصوت مسموع، ثم ابتعد عن هذا الحشد الكبير ودخل المدرج حيث المحاضرة، في حين كان رجال الأمن قد سيطروا على الموقف وأخذوا الطلبة الذين تشاجروا وذهبوا بهم إلى مكتب رئيس الأمن الموجود داخل الجامعة.

عندما دخل علي المدرج لم يجد سوى عدد قليل من الطلبة لا يزيد عددهم عن العشرين، وبعد أن اعتذر للدكتور عن تأخره جلس ليتابع المحاضرة ولكن مثله كباقى زملائه لم يكن يتابع المحاضرة بكامل ذهنه، بل كان أيضًا مشغولًا بتلك الأحداث التي جرت في الخارج بين الطلبة حتى انتهت المحاضرة.

بعد ذلك جلس علي في مكانه المعتاد وأخرج من شنطته أحد كتبه وظل يقرأ فيه لنصف ساعة، ثم وضعه مرة أخرى في شنطته بعد أن قرر الرحيل والعودة لبيته وبينما كان يهمّ بالوقوف جاءه أحد زملائه وتحدث إليه: "كيف حالك يا علي؟".

- بخير الحمد لله.. وأنت يا عمر؟
- تمام الحمد لله.. أردت أن أستفسر منك على شيء.
- تفضل.
- دائمًا ما أشعر بأنني مقصر في حق ديني وعباداتي.. حتى أنني أصبحت لا أشعر بأن الله يتقبل مني صالح أعمالي.

كان علي يستمع بانتباه شديد وهو يشعر داخله بسعادة كبيرة لأنه قد وجد مَن يُحيي فيه أمل الصلاح والخير بين الشباب في الجامعة، فقال علي بعدما انتهى عمر من كلامه: "ما أقوله لك وببساطة شديدة إن الله يغفر كل الذنوب سوى الشرك به، فلا تقلق ولا تحزن ما دمت تخاف الله وتتمنى رضاه، وكذلك يجب أن تعلم جيدًا أن الله ليس مُتربصًا بعباده ليحاسبهم على أخطائهم، بل إنه يفرح كثيرًا بتوبتهم ورجوعهم إليه بعد أن يعصوه".

بعدما انتهى علي من كلامه تقدم إليه عمر بالشكر وقد شعر بالاطمئنان والرضا مما سمعه، ثم ذهب علي عائدًا لمنزله بعدما أخبر عمر أنه يمكنه التحدث إليه وقتما يشاء.

* * *

كان حمزة قد وصل إلى الحفل، وعندما دخل القاعة وجدها مليئة بالحاضرين سواء من موظفي الشركة أو بعض الشخصيات التي تمت دعوتهم، فكان منهم من يجري بعض اللقاءات الصحافية أو التليفزيونية وآخرون يلتقطون الصور التذكارية، وبينما كان حمزة يتابع ما يحدث

حوله سمع أحدًا يناديه وعندما التفت إليه وجده طارق زميله في الشركة، طلب منه طارق الانضمام إليه وبعض زملائهما لالتقاط الصور التذكارية معًا، فتوجه حمزة إليه وعلى وجهه ابتسامة عريضة، واستقبله طارق مُداعبًا بقوله: "ما هذا الجمال، توم كروز يقف أمامي؟!".

- لأ.. حمزة عبد العزيز.

قالها حمزة وهو يضحك، ثم التقطا بعض الصور التذكارية معًا ومع باقي زملائهما، وكانت الفرحة والضحكات على وجوه الجميع، ثم انتبه كل الحاضرين عندما صعد رئيس مجلس الإدارة للشركة وبدأ يرحب بالجميع ويشكرهم على حضورهم، ثم تحدث لدقائق قليلة عن الشركة من حيث نشأتها وإنجازاتها وأهدافها خلال الفترة القادمة، ثم قدّم شكرًا خاصًا لكل الموظفين الذين يعملون بها على مجهوداتهم الكبيرة من أجل نجاح الشركة.

وبعدما أنهى رئيس مجلس الإدارة كلمته، تحدث منظم الحفل فقدم الترحيب أيضًا بكل الحاضرين، ثم أخبرهم أن الحفل سيبدأ بفقرة غنائية ستقدمها وجه جديد قد تنبأ لها الكثيرون بمستقبل عظيم في الغناء وهي المطربة الشابة "مريم".

صعدت تلك المطربة على المنصة بثقة كبيرة وسط التصفيق الشديد لها، وكانت فتاة في منتصف العشرينيات من عمرها، ذات بشرة بيضاء وعينين عسليتين تبدوان كأنهما مرسومتان، ووجه يبدو عليه ملامح الطفولة البريئة، وكانت ترتدي فستانًا أسود طويلًا وينحدر شعرها على ظهرها، وبعد أن ألقت التحية على الحاضرين أشارت للفرقة الجالسة خلفها فبدأت العزف، وبعد لحظات كانت فيها الموسيقى تملأ المكان أمسكت مريم الميكروفون بيدها وبدأت تغني:

"معرفش ليه وأنا جنبك.. بحس نبضي جوه قلبك..

بحس إني عايشة جواك

حُبي ليك حاجة تانية.. حب عايش كل ثانية..

حب ميكنش إلا معاك".

وبمجرد أن بدأت مريم تغني شعر حمزة كأنه وجد نفسه في مكان آخر، مكان يبدو أنه جنة حيث الأزهار الملونة والرائحة العطرة والطيور التي تشدو وتغرد من حوله وتلك الفتاة، "مريم"، ترتدي فستانًا أبيض وتدور حول نفسها وهي تضحك ويتطاير شعرها من حولها، وكانت عيناها اللامعتان ينبعث منهما نورًا يملأ المكان كله، وقد ازدادت

ضربات قلبه وأصبحت سريعة جدًا عن معدلها الطبيعي، ثم توقف كل ذلك فجأة وعاد مرة أخرى لمكانه وسط الحاضرين الذين كانوا يصفقون لمريم التي أنهت أغنيتها في تلك اللحظة.

لم يستطع حمزة السيطرة على نفسه وكأن شخصًا آخر يتحكم فيه، فذهب ناحية مريم مسرعًا كأنه في سباق وقد اخترق كل الحواجز بينهما من الحاضرين حتى وجد نفسه واقفًا أمامها مباشرة ولا يفصلهما عن بعضهما البعض سوى خطوة واحدة فقال لها وبدون أي مقدمات بعد أن مدّ يده ليصافحها: "أنا بحبك".

ثم اختفى بسرعة من أمامها ليتركها واقفة مندهشة مما حدث، لدرجة أنها ظلت تُحدث نفسها وتتساءل: "هل ما حدث حقيقي، أم أنه مجرد تخيلات؟! مَن هذا الشخص؟ هل هو بشر حقًا أم أنه غير ذلك؟!".

وظلت مريم طوال الحفل تبحث عن ذلك الشخص الذي قال لها إنه يحبها ثم اختفى فجأة، ولكنها لم تجده.

لم يستغرق حمزة سوى ثوانٍ حتى أصبح داخل سيارته التي انطلق بها بأقصى سرعة حتى وصل إلى بيته، وبعد أن دخل شقته ألقى بنفسه على سريره وقد كانت سرعة ضربات قلبه تزداد، كما أن صوت مريم وهي

تغنى ما زال في أذنيه، ثم بدأ يحدث نفسه قائلًا: "ما هذا الذي فعلته؟! كيف تجرأت على فعل ذلك؟ مَن تكون تلك الفتاة؟!".

ثم وضع يديه على وجهه وبدأ يفرك عينيه بأصابعه ليتأكد أنه في وعيه ولم يكن يحلم، فوجد في يده آثار رائحة عطرها ما زالت موجودة منذ أن مد يده ليسلم عليها، فظل يستنشقها أكثر من مرة بشدة وهو يشعر بدفء يسري داخله فأغمض عينيه وبدأ يستحضر صورتها أمامه في تخيلاته حتى غفل وذهب في نوم عميق.

لم تمر سوى ساعتين حتى استيقظ حمزة مرة أخرى بسبب هاتفه الذي كان يرن بصوت عالٍ فمد يده وأمسك هاتفه فوجد طارق زميله هو المتصل فرد عليه: "آلو".

فجاءه صوت طارق متسائلًا: "أين أنت يا حمزة؟".

- في البيت.
- ماذا!! كيف ذلك، ومتى عدت للبيت؟
- سوف أحكي لك كل شيء عندما نتقابل.
- هل أنت بخير؟

- نعم.. اطمئن.
- لقد فاتك الكثير بعدما اختفيت.. وكذلك التكريم.
- هل الحفلة قد انتهت؟
- نعم.. إن الجميع قد بدأ في الرحيل الآن.
- تمام.. سأراك غدًا بإذن الله.
- مع السلامة.
- سلام.

وضع حمزة التليفون بجواره وبدأ ينظر حوله باندهاش كأنه لا يصدق كل ما يحدث، وعندما وقعت عيناه على ملابسه الخاصة بالجري شعر بحماس ونشاط كبير وكذلك رغبة في الجري، فكان حمزة يمتلك تريننج قد جعله خاصًا بممارسته لرياضته المفضلة وهي الجري، تلك الرياضة التي كان يمارسها بصفة مستمرة، وفي أقل من ربع ساعة كان حمزة قد ارتدى تلك الملابس وقام بتوصيل سماعته في تليفونه ووضعها في أذنيه وقام بتشغيل موسيقاه الصاخبة والمفضلة له ثم نزل إلى الشارع.

بدأ حمزة يجري وبعد العشر دقائق الأولى وصل إلى مكانه المفضل للجري بجوار النيل، ظل يجري ونسمات الهواء تتخبط في وجهه، وبعد أربعين دقيقة تقريبًا وجد حمزة نفسه في ميدان التحرير، وعلى غير عادته -وهي أن يكمل الجري عائدًا إلى بيته- استمر في الجري ودخل شارع قصر النيل مُتجها لوسط البلد ناحية طلعت حرب، وبالقرب من مقهى جروبي ظهرت فجأة سيارة كانت تأتي من أحد الشوارع الجانبية واصطدمت به وأسقطته على الأرض.

كانت المفاجأة وصوت الفرملة هما سبب سقوطه وليس الاصطدام الذي لم يكن بالقوة التي تجعل حالته خطيرة وإنما كانت مجرد كدمة شديدة في ركبته وبعض الجروح البسيطة في يديه من أثر سقوطه على الأرض، وعندما نزل سائق السيارة أو بالأحرى سائقتها فكانت فتاة ترتدي فستانًا أسود طويلًا ويتطاير شعرها من حولها فتلاقت عيناهما، وعندها شعر كلاهما بصدمة شديدة حتى أن المفاجأة جعلت حمزة ينسى آلامه، فكانت مريم تلك التي سيطرت على تفكيره منذ أن سمع صوتها وهي تغني، هي من نزلت من السيارة التي اصطدمت به، وظل الصمت بينهما لثوانٍ حتى بدأت هي الكلام وسألته: "مَن أنت؟".

- "حمزة"، قالها وعلى وجهه ابتسامة هادئة، فبدت علامات الاندهاش على وجه الفتاة وسألته ثانية: "هل أنت إنسان أم شبح؟".

- وهل يوجد شبح تصدمه سيارة ويسقط على الأرض؟!

فضحكت الفتاة من إجابته، فسألها حمزة: "إذن.. أنتِ مريم؟".

- تقريبًا.

جاوبته وهي تبتسم ثم سألته: "هل ما حدث بعدما انتهيت من غنائي حقيقي بالفعل؟".

- نعم.. لقد صافحتك وقلت....، ثم توقف حمزة عن الكلام لثوانٍ وقد احمر وجهه خجلًا ثم أكمل قائلًا: "بحبِك.. أنا معرفش عملت كده إزاي.. وأنا بجد آسف".

فابتسمت مريم وقد احمر وجهها خجلًا أيضًا، ثم قالت: "لا شيء يستوجب الاعتذار.. ولكن ما يدهشني أنك لا تعرفني حتى تقول لي تلك الكلمة".

وفي هذه الأثناء مرّت بجوارهما دراجة بخارية يستقلها ولدان في سن المراهقة، قال أحدهما موجهًا كلامه لحمزة: "إيه يا عم الحبيب.. بتعمل إيه على الأرض؟!".

فضحك كلًا من حمزة ومريم من تعليق الفتى، ثم قالت مريم: "اصعد.. سأوصلك".

- لا أريد أن أتعبِك معي.
- لا يوجد تعب في ذلك.

فقام حمزة مستندًا على مريم التي مدت له يدها لتساعده على النهوض، وبالفعل ركب بجوارها السيارة فسألته: "أين تُقيم؟".

- أين أنتِ ذاهبة؟
- "أعتقد أن ذلك ليس العنوان.. أين تُقيم؟"، قالتها مريم هذه المرة بصرامة شديدة فضحكا بعدها ثم قال حمزة: "المعادي".

فانطلقت مريم بسيارتها متجهة للمعادي حيث يسكن حمزة وبعد لحظات ساد فيها الصمت سألت مريم: "أين اختفيت طوال الحفل؟".

- لقد عُدت للبيت.. كنت خائفًا.

- خائف! ممَّ؟!

- مِنكِ.

- "منِّي أنا! لماذا؟!"، تساءلت مريم باندهاش حقيقي، فجاوبها حمزة بجدية: "لأنني أحببتك".

لم تعلق مريم وقد احمر وجهها خجلًا في حين كانت الابتسامة على وجه حمزة ولم تفارقه لحظة واحدة، فطال الصمت لفترة بينهما وكأن كلًا منهما يفكر في شيء ما، ثم سألت مريم لتقطع ذلك الصمت: "ماذا كنت تفعل عندما صدمتك بالسيارة؟".

- كنت أجري.

- لا تقول مني أيضًا.

فضحكا هما الاثنان بشدة بعد تعليق مريم هذا، ثم قال حمزة: "أنا بحب الرياضة عمومًا وخصوصًا الجري.. وبعد ما رجعت للبيت لم أدر بما حدث وغفلت حتى استيقظت مرة أخرى على صوت الهاتف وهو يرن.. وبعدها شعرت بطاقة كبيرة ورغبة في الجري.. لكن هل تعلمين...".

فقاطعته مريم قائلة: "لا أعلم".

فضحكا مرة أخرى ثم قال حمزة: "أعتقد أن السبب هو أن أراكِ ثانية".

- "صُدفة"، قالتها مريم وهي تبتسم، ثم أشار لها حمزة بيده وقال: "أنا أقيم آخر الشارع بجوار السوبر ماركت".

- تمام.

وقبل دقيقة كانت قد توقفت السيارة أمام بيت حمزة فقال: "كنت أتمنى أن أدعوكِ للصعود معي.. لكن الوقت متأخر".

- ربما يحدث ذلك مرة أخرى.. صدفة.

وضحكت مريم بعد كلمتها الأخيرة، فقال حمزة: "لقد تقابلنا اليوم مرتين صدفة.. لكنني لا أثق في الصدفة أن تجعلني أقابلك مرة ثالثة".

- ما هذا؟! إنك فيلسوف أيضًا.

قالت مريم وعلى وجهها ابتسامة رقيقة، ثم فتح حمزة باب السيارة ونزل منها وقبل أن يغلقه قال: "إن شاء الله غدًا الساعة التاسعة في مقهى جروبي.. المكان حيث اصطدمتي بي.. مع السلامة".

ثم تركها حمزة ودخل بيته ليترك مريم جالسة في سيارتها مندهشة مما فعله وهي تبتسم دون أن تنطق بكلمة، حتى انطلقت بسيارتها بعد أن قالت لنفسها بصوت مسموع: "مجنون".

-3-

كان علي يدرس في كلية الصيدلة ولم يتبق أمامه سوى بضعة شهور حتى يتخرج ويبدأ حياته العملية، فكان يرجو الأيام أن تمر سريعًا حتى يستطيع العمل وتحمل مصاريف بيته بنفسه، فبعد وفاة والدته ثم والده منذ كان في مرحلة الإعدادية وقد تولى الشيخ طاهر مسئولية رعايته هو وأخته الأصغر منه سنًا وتحمل كافة المصاريف التي يحتاجونها، فكان الشيخ طاهر أقرب الأصدقاء لوالده بل كان يعتبره علي عمه الذي لم تلده جدته، ورغم محاولات علي المستمرة في إقناع الشيخ طاهر بأن يعمل بجانب دراسته إلا أن الشيخ كان دائم الرفض ويخبره بأنه يمكنه العمل وقتما يتخرج.

وكان علي قد اعتاد منذ صغره على الذهاب للمسجد لحضور الدروس الدينية ودروس تحفيظ القرآن، والذي استطاع علي أن يحفظه كاملًا، وكان الشيخ طاهر هو من يتولى تلك الدروس بنفسه إلا أنه في الآونة الأخيرة قد أمر شيخًا آخر يُدعى الشيخ خالد وهو أقرب تلاميذه إليه بتدريسها.

وكان علي قد ذهب للمسجد للصلاة وحضور الدرس الديني، وبعدما انتهت صلاة المغرب خرج المصلين من المسجد في حين ظلت مجموعة من الشباب جالسين لحضور الدرس الديني، والذي كان يُلقيه الشيخ خالد، ذلك الشيخ الشاب الذي لا يتعدى عمره الثلاثين عامًا والذي كان مُقربًا لكثير من الشباب مما جعل عددهم في ازدياد مستمر لحضور درسه الذي كان يُلقيه خلال الفترة ما بين صلاتي المغرب والعشاء يومي الاثنين والأربعاء من كل أسبوع.

جلس الجميع في شكل دائري ومن بينهم الشيخ خالد الذي بدأ الحديث قائلًا: "بسم الله.. والصلاة والسلام على رسول الله.. خاتم النبيين والمرسلين.. وشفيعنا وحبيبنا إلى يوم الدين".

ثم بدأ الشيخ خالد يُلقي الدرس والذي تحدث فيه عن المحافظة على الصحة وحقوق البدن في الإسلام، وأنه من الواجب على المسلم أن يمارس الرياضة ويتمتع بصحة جيدة تساعده على العمل وتجنب الأمراض، كما تحدث أيضًا عن أضرار المخدرات وتأثيرها على الفرد والمجتمع، وكان يوجه إليه بعض الحاضرين أسئلتهم أثناء الدرس

ويناقشونه وكان الشيخ خالد يُجيب وهو مُحتفظ بابتسامته دائمًا دون الشعور بالضيق من ذلك.

ولم يكن علي من النوع الذي يسأل ويناقش كثيرًا بل كان واثقًا في كلام الشيخ دائمًا ويُثني عليه، كما أنه كان يتبعه في كل آرائه وفتواه دون المراجعة والتأكد من صحتها، وربما يعود السبب في ذلك إلى العلاقة الكبيرة التي تجمعهما منذ سنوات فكلاهما قد تولى الشيخ طاهر رعايته منذ الصغر ونشأت بينهما علاقة صداقة رغم فارق السن بينهما.

وبعدما انتهى الدرس طلب الشيخ خالد من علي أن ينتظره ليذهبا معًا إلى الشيخ طاهر الذي طلب مقابلتهما، وبالفعل انتظر علي حتى انتهى الشيخ خالد من تلك الأحاديث الثنائية التي كانت تجمعه مع بعض الحاضرين، والذين كانوا يتحدثون معه ويأخذون برأيه في بعض الأمور الخاصة بحياتهم وعائلاتهم.

وصل علي والشيخ خالد إلى منزل الشيخ طاهر الذي استقبلهما بترحاب كبير، ثم جلسوا جميعًا في غرفة الضيوف، وبدأ الشيخ طاهر الحديث موجهًا سؤاله إلى علي: "كيف حال دراستك؟".

- الحمد لله، تمام.

- لقد اقتربت الامتحانات ويجب عليك أن تجتهد أكثر حتى تتخرج هذا العام.

- إن شاء الله.

قالها علي بثقة مُتمنيًا تحقيقها اليوم قبل غد، ثم توجه الشيخ طاهر بسؤاله هذه المرة إلى الشيخ خالد: "ما هي الأخبار؟".

- كل شيء كما أمرت فضيلتك.

فهز الشيخ طاهر رأسه بعلامة الرضا وردد بعد الأذكار ثم تركهما في الغرفة وعاد مرة أخرى بعد دقائق قليلة ويحمل في يده صينية عليها ثلاثة أكواب من العصير، فقابله علي مسرعًا وحمل منه تلك الصينية ووضعها على الطاولة الصغيرة الموضوعة أمامهم.

مرت دقائق كان يتبادل فيها الشيخان الأحاديث الدينية والسياسية في حين كان علي ينصت إليهما ويُثني على كلامهما دون المشاركة، وبعدما انتهت الجلسة استأذن الشيخ خالد بالرحيل وبالطبع معه علي فأذن لهما الشيخ طاهر، ولكن قبل أن يذهبا طلب الشيخ طاهر من علي أن ينتظره ثواني كان قد دخل فيها غرفته ثم عاد مرة أخرى وفي يده ظرف صغير قد أعطاه لعلي وقال له: "إنها مصاريف هذا الشهر".

- "ربنا يجعله في ميزان حسناتك يا مولانا"، قال علي بعد أن أخذ الظرف ثم وضعه في جيبه، وذهب عائدًا إلى منزله، وفي نفسه شيء من الضيق الذي كان يأتيه في السنوات الأخيرة بعدما يتلقى ذلك الظرف الملىء بالأموال من الشيخ طاهر، حيث كان يعتقد بأنه قادر على العمل والحصول على مصاريفه بنفسه لولا رفض الشيخ لذلك.

* * *

كان حمزة يبدو متوترًا وهو ينظر إلى ساعته للمرة العاشرة والتي كانت عقاربها تشير إلى أنها في تمام التاسعة والنصف، ثم عاود النظر للمكان حوله فربما يلتقي بها ولكنها لم تكن موجودة، فقرر الرحيل بعد أن شعر باليأس وبينما كان يهمّ بالنهوض وجدها أخيرًا.

كانت مريم ترتدي فستانًا أحمر يصل إلى ركبتيها وكذلك حذائها ذي الكعب العالي كان أحمر اللون، كانت تُشبه ملكات الجمال اللاتي يظهرن على شاشات التليفزيون، هكذا كان يراها حمزة، والذي أشار إليها لتتجه إلى الطاولة التي قد حجزها لهما، وبالفعل اتجهت مريم نحوه في خطوات هادئة تبدو فيها ثقتها في نفسها، وكان حمزة واقفًا في استقبالها وقد عادت

الفرحة على وجهه مرة أخرى بعد أن كاد أن يفقدها ثم أمسك يد مريم التي مدتها نحوه لتسلم عليه ووضع قبلة خفيفة عليها، ثم سحب لها الكرسي لتجلس عليه وجلس هو على الكرسي المقابل لها بعد أن نسى ضيقه ويأسه الذي كان يراوده منذ لحظات قليلة، فقالت مريم وعلى وجهها ابتسامة عريضة: "ما هذا الجو الكلاسيكي؟!".

- ما رأيك؟
- "لا بأس به"، قالتها مريم وهي تضحك، ثم مرت ثواني ساد فيها الصمت وقد اكتفى كلاهما بالنظرات التي ربما تحمل ما لم يستطع الكلام أن يعبر عنه، ولكن قد قطع حمزة هذا الصمت قائلًا: "وحشتيني".
- بجد؟!
- "تقريبًا"، قالها حمزة وهو يبتسم، فضحكت مريم ثم قالت: "واحدة بواحدة".
- تعرفي إنك أنتِ....

- "مُزة"، قالتها مريم قبل أن يُكمل حمزة جملته، فابتسم حمزة وقال: "هذا الوصف أقل ما يمكن أن يُقال عنكِ، أنتِ أجمل امرأة رأيتها حتى الآن".

- "حتى الآن! هذا يعني أنك من الممكن أن ترى امرأة أخرى أجمل مني"، قالتها مريم ثم احمر وجهها خجلًا، فقال حمزة وهو يغمز بعينه اليمنى لها: "ربما.. ولكني لا أعتقد ذلك".

ثم توقفا عن الكلام في حين جاء الجرسون إليهما، فسألها حمزة: "ماذا تشربين؟".

- فراولة.

توجه حمزة للجرسون قائلًا: "اثنين فراولة".

- "تمام"، قالها الجرسون وهو يدوّن ذلك في دفتره ثم ذهب، فقالت مريم: "أنا عاشقة للفراولة".

- "لذلك ترتدين فستانًا أحمر"، قال حمزة مازحًا، فضحكت مريم، ثم قالت: "ألا ترى أن ما حدث بيننا شيء غريب؟".

- لا أرى سوى أنه أجمل شيء حدث في حياتي.

ابتسمت مريم وقد أعجبها ذلك الرد ثم سألت مرة أخرى: "هل تؤمن بالصدفة؟".

- لا.. أعتقد أن كل ما يحدث هو نتيجة لاختياراتنا وقرارتنا ولا يوجد ما هو صدفة.
- "حتى بعد كل ما حدث بيننا؟"، تساءلت مريم مندهشة، فجاوبها حمزة: "نعم.. لأنني من اخترت الذهاب للحفلة وعدم مشاهدة مباراة التنس، أيضًا لأنني من قررت النزول للجري رغم الوقت المتأخر لحظتها".
- "وهل أنت أيضًا من قررت الاصطدام بسيارتي؟!"، قالت مريم وهي تضحك ثم أكملت: "آسفة.. ولكن اسمح لي أن أختلف معك في ذلك".
- "بالطبع.. الاختلاف في الرأي لا يفسد مع مريم حُبي لها"، قال حمزة وهو يبتسم، ثم عاد الصمت بينهما مرة أخرى حتى قالت مريم: "ألا ترى أنه لم يمر بيننا الوقت الكافي حتى تستطيع القول إنك تحبني؟! حتى أنك لم تعرف عني كل شيء بعد".

- لا أريد أن أعرف شيئًا سوى أنني.. أحبك.
- "طيب.. يا عم الحبِّيب"، قالتها مريم وهي تضحك ثم قالت: "احكي لي عن نفسك".
- "حاضر"، قالها حمزة ثم عدّل من وضعيته على الكرسي وأخذ نفسًا عميقًا ثم بدأ يحكي بجدّية عن نفسه قائلًا: "حمزة عبد العزيز.. الابن الوحيد لأمي وأبي.. رحمهما الله.. ثلاثين عامًا.. أعزب.. مهندس اتصالات.. طموح جدًا.. بحب الحياة.. بحب الخير لكل الناس.. تقريبًا كل أحلامي تحققت باستثناء حاجة واحدة هي "الحب"".
- "هل تعني أنك لم تتعرف إلى أي فتاة من قبل؟"، سألت مريم وعلى وجهها ابتسامة ماكرة، فجاوبها حمزة: "بالتأكيد تعرفت إلى فتيات في الجامعة وأيضًا في العمل وهن زميلات لي.. ولكن ما قلته إنني لم أحب من قبل سوى علاقة طفولية لا داعي لذكرها الآن".

ثم سكت حمزة لثوانٍ وقال: "لكنني الآن عرفت السبب؟".

- "ما هو؟"، سألت مريم بعد تردد وهي تتوقع الجواب، ولكن حمزة قال دون أن يجاوبها مباشرة عن سؤالها: "في البداية كنت مذهولًا بصوتك.. لكن الآن أصبحت مذهولًا بأشياء أخرى كثيرة".
- "مثل ماذا؟"، سألت مريم وهي تنظر إليه بجدية، فأجابها حمزة: "مثل.. الصدفة".

وبمجرد أن سمعت مريم ذلك انفجرت ضاحكة حتى أنها كانت تدمع من شدة الضحك دون أن تبالي بمن حولها من الناس، والذين كانوا ينظرون إليها في اندهاش وهم يتساءلون في أنفسهم ما الذي أضحكها لهذه الدرجة؟!

وبعد أن هدأت مريم واستطاعت السيطرة على نفسها قالت: "أنا أيضًا يذهلني فيك أشياء كثيرة".

- مثل ماذا؟
- عينيك.
- "ما بها؟"، تساءل حمزة متوقعًا إجابة ضاحكة وغير جدية، ولكن جاءه الجواب غير ما توقعه: "غامضة".

- "كيف ذلك؟"، سأل حمزة باندهاش، فقالت مريم: "لم أستطع قراءتها بعد.. على الرغم من صدق نظراتها".

فأومأ حمزة برأسه متفكرًا في ذلك ثم سألها: "ماذا أيضًا؟".

- "هذا يكفي الآن"، قالتها مريم وهي تضحك كطفلة صغيرة، ثم قال حمزة: "أريد أن أخبرك بتعليق صغير عنكِ ولكن.. اوعديني أنك لن تغضبي".
- أوعدك.. تفضل.
- بالطبع لكِ كل الحرية في اختيار ملابسك وأحترم ذلك.. لكنني لا أريدك أن ترتدي تلك الملابس القصيرة مرة أخرى.

كانت مريم تسمتع إليه بإنصات شديد فهذه المرة الأولى التي يُعلق فيها حمزة على شيء يخصها وقد تغيرت ملامحها قليلًا أثناء ذلك، ثم قالت وهي تضحك: "حاضر.. يا سي السيد".

بعد ذلك فتحت مريم شنطتها وأخرجت منها دعوة أعطتها لحمزة وأخبرته أنها دعوة لحفل ستغني فيه بعد يومين وأنها تدعوه للحضور، شعر حمزة بسعادة كبيرة لذلك، وأخبرها أنه سيكون أول من يحضر.

بعدما انتهى اللقاء عاد حمزة إلى بيته وهو يشعر بفرح شديد بسبب هذا اللقاء حتى أنه كاد يغني ويرقص طوال الليل، ثم توقف فجأة وتغيرت ملامحه وبدا عليه الغضب من شيء ما وقال لنفسه: "ما هذا الغباء؟ إنها المرة الثانية التي أراها فيها ولم آخذ رقم هاتفها!".

ثم نظر إلى الدعوة التي كانت أمامه على السرير فألقى بنفسه جوارها ومد يده وأمسكها، ثم قربها لأنفه وظل يستنشق العطر الذي ما زالت آثاره موجودة عليها وهو نفس العطر الذي تضعه مريم، ثم بدأ يضع قبلات على هذه الدعوة وهو يسترجع في ذهنه تلك اللحظات التي قضاها بالقرب منها، ثم قال لنفسه مرة أخرى: "يارب أعطني القدرة على الصبر خلال هذين اليومين حتى أراها مرة أخرى".

* * *

كان حمزة يجلس مع طارق زميله وأحد العملاء في مقابلة خاصة بالعمل حيث كانوا يتفقون فيها على شراء بعض الأجهزة الحديثة التي تحتاجها الشركة التي يعملون بها، ولكن كان حمزة طوال المقابلة مشغولًا بشيء آخر وقد لاحظ ذلك طارق زميله، والذي حاول السيطرة على

الحديث خلال الحوار حتى لا يلاحظ العميل ذلك وبالفعل قد نجح طارق وتوصل إلى اتفاق متميز لشركته.

وبعدما انتهت المقابلة خرج طارق مع العميل ليوصله إلى مكان سيارته خارج الشركة وقد أخبر حمزة أنه سيعود إليه مرة أخرى، وعندما وجد حمزة نفسه بمفرده وقد سيطر لقاء الأمس على ذهنه وكانت مريم هي كل ما تشغل تفكيره أخرج من شنطته الصغيرة التي كان يحملها معه دائمًا مفكرة كان قد اشتراها منذ أيام قليلة دون أن يعرف فيما يستخدمها، ولكنه قد وجد لها أهمية في ليلة الحفل وبعدما أوصلته مريم لشقته حيث إنه اتخذها مفكرة لخواطره وأشعاره فقد وجد في نفسه موهبة جديدة لم يكن يعرفها من قبل، وعندما فتحها حمزة لفت انتباهه الصفحة الأولى التي قد كتب فيها بعض الكلمات ليلة الأمس بعدما عاد لبيته بعد مقابلة مريم، وقام حمزة بقراءة ما كتبه وهو يشعر بأنه يقرأ ذلك لأول مرة غير مصدق أنه هو من كتب ذلك، وكانت كلماته هي: (إن الحب هو الشيء الوحيد الذي يمكنه تغيير مسارات الحياة، ويستطع أن يأخذك من الظلام إلى النور، كما أنه يمكنه العكس ولكن هذه الحالة هي الاستثناء،

وعندما يأتيك الحب يجب عليك أن تختار شيئًا من اثنين فقط، أولهما أن تكون حذرًا جدًا له، والثاني أن تترك نفسك له وتنجرف في أنهاره مُستسلمًا للمكان الذي يأخذك إليه، ويجب أن تعلم شيئًا آخر وهو أنه رغم أن الحب فيه كل شيء جميل إلا أنه مُخادع كبير لمن لا يُعطيه قدره الحقيقي).

كان حمزة مُندهشًا ولا يصدق أن تلك الكلمات هو الذي استطاع كتابتها بيده فلم يكن يكتب من قبل، حتى قراءة الروايات والأشعار لم يكن يقرأ فيها إلا قليلًا، ثم أمسك حمزة قلمه وكتب في الصفحة الثانية: (أسعد اللحظات هي التي يقضيها المرء مع من يُحب، وهو الشخص الآخر الذي يعتبره الجزء الثاني المُكمل له أو توأم روحه كما يقولون، فإنه الحبيب الذي يستطع بحبه أن يُغنيه عن كل شيء.. الأصدقاء والعائلة وحتى عن ذاته).

وبعدما انتهى حمزة من كتاباته وأغلق مفكرته كان طارق قد عاد إليه ودخل المكتب وجلس أمامه ثم تحدث إليه قائلًا: "ما الذي قد حلّ بك؟".

- ماذا تعني بذلك؟

- طوال المقابلة كنت مشغولًا بشيء آخر ولم تبدِ الاهتمام بها.. ولولا ستر الله لكُنا فقدنا تلك الصفقة.. ما الأمر؟

بدأ حمزة يحكي له عن كل شيء منذ اللحظة الأولى التي سمع فيها صوت مريم وحتى لقائهما ليلة الأمس، وأخبره أنه يحبها ولا يتخيل حياته إلا بوجودها معه فهي التي قد أعادت إليه روحه وحياته مرة أخرى، هي التي جعلته يشعر بوجوده وبذاته، هي التي أصبحت كل شيء بالنسبة إليه.

كان طارق يُنصت لحمزه باهتمام ويبتسم لما يسمعه ثم أخبره بسعادته لذلك ودعا له أن يوفقه الله في علاقته هذه وأن يُتمها على خير، ثم نصحه بألا يجعله هذا الحب مُقصرًا في عمله، لأنه دون ذلك العمل ونجاحه لن يستطيع أن يبني تلك الحياة التي يتخيلها مع مريم، فأبدى حمزة موافقته على ذلك ثم قال مبتسمًا: "ما أجمل الحب!".

❁ ❁ ❁

-4-

بعد أن أغلقت خديجة باب غرفتها بإحكام عادت لتجلس مع صديقتها علياء التي جاءت لزيارتها، وكانت الصداقة بينهما قد بدأت منذ ثلاث سنوات عندما تعرفتا على بعضهما البعض خلال الدروس الخصوصية للثانوية العامة، ثم استمرت بينهما هذه الصداقة بعد أن جمعتهما الرغبة والصدفة معًا في نفس الكلية وازدادت بينهما المحبة والثقة حيث إن كلًا منهما كانت تحكي للأخرى على كل أسرارها، وعندما جلست خديجة بجانب صديقتها سألت الأخيرة: "ماذا حدث بينك وبين وليد؟".

- لقد حدث الكثير.
- أخبريني إذن.

فسكتت خديجة للحظات وقد احمرت وجنتاها خجلًا ثم قالت بصوت هادئ: "لقد قال لي إنه يحبني".

- "كان شيئًا متوقعًا؟"، قالتها علياء ببرود شديد وكأنها تعلم الغيب، فسألتها خديجة باندهاش: "كيف؟!".

فابتسمت علياء التي شعرت بالعظمة في نفسها كأنها تعرف كل خبايا هذا الكون ثم قالت بثقة كبيرة: "إن وليد منذ اللحظة الأولى التي رآكِ فيها وهو معجب بكِ، وعندما تعرف عليكِ ووجد فيكِ الحنان والطيبة وحسن الأخلاق قد أصبح مغرمًا بكِ".

فهزت خديجة رأسها بالموافقة على ما قالته صديقتها، ثم سألتها علياء: "ولكن ماذا فعلتِ؟".

- أخبرته أنه لم يمر على تعارفنا سوى فترة قصيرة فكيف تأكد من مشاعره هذه تجاهي؟
- وماذا قال؟
- أخبرني أنه متأكد من مشاعره تجاهي وأنه لا يريد أن تكون بيننا علاقة سرية أو في الخفاء لأنه لا يرضى بذلك، وإنه يريد أن تكون علاقتنا أمام الجميع وذلك بأن يتقدم ليخطبني.
- "ماذا؟!!"، قالتها علياء وبدا على وجهها الاندهاش كأنها تسأل نفسها كيف لم تتوقع ذلك أيضًا، أليست هي من تملك كل خبايا هذا العالم؟! ثم سألت دون أن تتوقع شيئًا هذه المرة: "وما هو رأيك؟".

فابتسمت خديجة وقد زاد خجلها ثم قالت: "أظن أنني لدي نفس المشاعر تجاهه".

فظهرت فرحة عارمة على وجه علياء، فضمت خديجة بين أحضانها وقالت لها بمشاعر صادقة: "ألف مبروك يا حبيبتى.. ويارب يتممها على خير".

- الله يبارك فيكِ.. لكن الموضوع كله مجرد كلام فقط ولم يحدث شيئًا بعد.
- "إن شاء الله خير"، قالتها علياء ثم أخرجت هاتفها المحمول وقامت بتشغيل إحدى الأغنيات الخاصة بمناسبات الأفراح وقالت: "إذن دعينا نفرح قليلًا".

ثم أمسكت علياء بأيدى خديجة ورقصتا معًا وهما تضحكان، وبعد أن انتهيتا من الرقص فتحت علياء شنطتها وأخرجت منها بعض أدوات الزينة ثم قالت لخديجة بطريقة صارمة: "اتركي نفسك لي خمس دقائق فقط".

- ماذا ستفعلين؟
- سترين بنفسك.

وبالفعل قامت خديجة بتلبية هذا الطلب، فقامت علياء بنزع الحجاب الذي كان على رأس خديجة ثم بدأت بتمشيط شعرها، ذلك الشعر الأسود الطويل الذي تبدو نعومته مثل الحرير الذي يتم صنعه، وبعد ذلك بدأت تضع أدوات التجميل على وجه خديجة وشفتيها وقامت أيضًا بوضع الكحل حول عينيها، وبعدما انتهت علياء كانت خديجة تبدو كأنها إحدى العرائس التي سيُقام حفل زفافها ولا ينقصها سوى الفستان الأبيض، فكان ما فعلته علياء أنها أظهرت ذلك الجمال الذي خلقه الله، ثم قامت علياء بتقبيل خديجة وأخبرتها أنها هي التي ستقوم بتزيينها يوم زفافها فشكرتها خديجة على ما فعلته معها، وقد أطلق وجهها بريقًا يدل على فرحة كبيرة ثم رفعت يدها للسماء وقامت بالدعاء لله بأن تظل صداقتهما إلى الأبد.

* * *

كانت خديجة قد جلست على الكرسي أمام المرآة بمفردها بعد أن تركتها صديقتها علياء التي رحلت لتأخر الوقت، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تظل فيها خديجة لوقت طويل جالسة أمام المرآة وهي تتفحص شكلها وتتبين شدة جمالها، وقد خلعت حجابها عن رأسها

ووضعت شعرها حول كتفيها لينزل على صدرها والذي قد كشفت جزءًا منه بعد أن فتحت أزرار قميصها، لتظهر أمامها العلامة التي خُلقت بها والموجودة فوق نهدها الأيسر فحركت إصبعها حول تلك العلامة فشعرت بنشوة كبيرة وبرودة بدأت تسري في جسدها، ثم قامت وألقت بنفسها على السرير وبدأت تظهر في مخيلتها تلك اللحظات التي قد تعرفت فيها على وليد للمرة الأولى.

كان يومها الأول في الجامعة وعندما ذهبت للحصول على جدول محاضراتها وجدت زحامًا شديدًا من الطلبة حول الجداول التي كانت معلقة داخل مبنى الكلية فلم تستطع الحصول عليه، وبينما كانت واقفة على بُعد خطوات تنتظر أن يقل هذا الزحام الشديد لتحصل على جدولها تحدث إليها أحد الطلاب والذي بدا كأنه ظهر فجأة أمامها حتى ظهرت عليها الصدمة والارتباك فلم تكن تتوقع أن يتحدث إليها أحد لا تعرفه وخصوصًا إذا كان ولدًا، والذي قال دون مقدمات وهو يقدم إليها ورقة: "هذا جدول المحاضرات الخاص بكِ.. وإذا قررتِ الانتظار فستظلي لساعات واقفة هكذا".

- لكن...

لم تستطع خديجة في تلك اللحظات أن تكمل كلامها كأن الكلمات قد توقفت في حلقها ورفضت أن تخرج، فقال هذا الطالب بثقة كبيرة وغريبة: "أنا اسمى وليد أحمد.. طالب في السنة الرابعة.. قسم ميكانيكا.. وكل ما أردته هو تقديم المساعدة فقط وليس أكثر من ذلك".

ثم ذهب وليد وتركها واقفة في مكانها وعلى وجهها علامات الاندهاش كأنها لا تصدق كل ما حدث، حتى أدركت ما يدور حولها مرة أخرى عندما سمعت فتاة تناديها باسمها فنظرت تجاه الصوت فوجدت علياء صديقتها هي التي تنادي عليها، فذهبت إليها وعلى وجهها فرحة لمقابلتها وقد زادت فرحتها بعد أن عرفت منها أنها معها في نفس الكلية.

وفي وقت لاحق من نفس اليوم وبينما كانت خديجة تجلس مع علياء رأت وليد واقفًا على مقربة منها مع زملائه، كما أنه أيضًا قد لمحها وهي تنظر إليه فابتسم لها في حين كانت هي تحاول أن تُخفي نظراتها إليه، وقد لاحظت علياء ذلك فسألتها عما بينها وبين هذا الطالب الذي تتبادل معه

تلك النظرات فأخبرتها خديجة بكل ما حدث، ولم تندهش علياء مما سمعته بل إنها قد نصحت خديجة بألا تفكر فيه كثيرًا وأن هناك الكثير من الشباب يفعلون ذلك كطريقة للتعارف على الفتيات فلا يجب عليها أن تنخدع بذلك، فهزت خديجة رأسها علامة الموافقة ولكن دون اقتناع داخلها؛ حيث إنها كانت تشعر بصدق حدسها رغم عدم تجربتها من قبل لأي علاقة سواء كانت حب أو صداقة.

ولم يمر سوى أسبوع واحد كانا فيه يتبادلان تلك النظرات من الوقت للآخر دون أن يشعر بهما أحد من حولهما، حتى جاء اليوم الذي تحدث فيه وليد مرة أخرى إلى خديجة وأخبرها أنه يريد التعرف عليها وأن تكون بينهما علاقة أساسها الاحترام المتبادل، وكان وليد مهذبًا في طلبه كما أنه أخبرها أنها إذا رفضت ذلك فلن يضايقها يومًا أو يتحدث إليها مرة أخرى، فوجدت خديجة نفسها تقبل عرضه دون أن تفكر فيه أو حتى أن تملي بشروطها، كل ما فعلته أنها أخبرته أنها ليس لديها مانع في التعرف عليه بل إنها أيضًا قدمته إلى صديقتها علياء التي جاءت إليها أثناء حديثهما هذا.

ورغم مخاوف علياء من تلك العلاقات التي تنشأ في بدايات الدراسة الجامعية إلا أنها لم تستطع أن تخيب ظن صديقتها فيها وقررت الوقوف بجانبها محاولة حمايتها من أي سوء قد تتعرض له، كما أنها لم تستطع أن تنكر طيبة وليد وحسن أخلاقه التي ظهرت منذ الكلمات الأولى بينهما والذي لم يكن احترامه مصطنعًا بل كان حقيقيًا.

* * *

استيقظ حمزة بعد الفجر وعلى وجهه ابتسامة عريضة، وكان السبب في ذلك هو أن والدته قد جاءت إليه في منامه ولم تغب تلك الصورة التي قد رآها في الحلم عن ذهنه منذ أن استيقظ من نومه، حيث إنه قد رأى والدته ترتدي عباءة بيضاء وكان وجهها يشع نورًا وضحكاتها عالية تملأ المكان حولهما، ثم اقتربت منه ووضعت قبلة على خده وقالت له: "يبدو أنك سعيد يا بني".

- "طالما أنتِ راضية عني يا أمي"، هكذا كان رد حمزة إلى والدته التي احتضنته وربتت على ظهره وقالت بصوت عذب ملىء بالحنان: "نعم يا بني إنني راضية عنك دائمًا".

ثم تركته وبدأت تبتعد عنه وهي ما تزال تضحك إليه بعد أن أخبرته ألا ينسى وصاياها الثلاثة، واستيقظ حمزة من نومه بعدما اختفت أمه، وكان أول شيء فعله بعدما استيقظ هو أنه أمسك مفكرته وكتب فيها: (لقد وهبنا الله نعمة من نعمه لا يشعر بها الكثيرون.. وهي الأحلام.. فما أجمل أن ترى أناسًا كنت قد فقدتهم في الحياة.. وليس ذلك فقط بل وإنك تتفاعل معاهم وتعيش معهم لحظات لا تخلو منها المشاعر كأنها حقيقية.. فيمكنك تبادل الأحاديث معهم واحتضانهم متناسيًا خجلك ودون المبالاة بمن حولك من الناس الذين دائمًا ما كان يمنعك وجودهم من تلك اللحظات التي أردتها دائمًا).

بعد ذلك ارتدى حمزة ملابسه ونزل ليذهب إلى عمله كعادته ولكنه كان قد قرر الذهاب إلى قبر والدته لقراءة الفاتحة والدعاء لها أولًا.

وبالفعل وصل حمزة إلى المقابر ووقف أمام قبر والدته وقرأ لها الفاتحة، وبمجرد أن بدأ بالدعاء لها نزلت دموعه عندما ظهرت في ذاكرته تلك اللحظات التي فارقت فيها والدته الحياة.

فكان يومًا غريبًا منذ بدايته وذلك عندما تشاجر حمزة مع صديق له في الجامعة وعاد إلى بيته باكرًا على غير عادته بسبب تلك المشاجرة وكان

على وجهه تعابير غضب شديد، وعندما دخل البيت وجد أمه قد ازدادت حالتها سوءًا وبلغ مرضها أقصاه حيث إنها بدأت تنزف دمًا من فمها وأنفها فشعر حمزة بالفزع داخله، وعندما همّ ليحضر الطبيب نادته أمه وأخبرته أنه قد فات الأوان على ذلك وأنه قد حانت نهايتها، فبدأ حمزة بالبكاء مثل طفل رضيع يحتاج لأمه فتحدثت إليه والدته وقالت بصعوبة: "لا تبكِ يا بني.. فأنا ذاهبة لمكان أفضل بكثير مما أنا عليه الآن".

- لكنني أحتاجك بجواري يا أمي.
- إذن فلتتقرب دائمًا إلى الله وستجدني وقتها بجوارك.

فهدأ حمزة قليلًا بعد أن قالت له والدته ذلك ومدت يدها لتمسح دموعه، فأمسك حمزة يدها وظل يقبلها، ثم أخبرته والدته بوصايا ثلاث وأخذت منه وعدًا ألا ينساها أبدًا ويقوم بها دائمًا حتى ترضى عنه، ثم توقف قلبها عن النبض تمامًا وفارقت الحياة وهي تضع رأسها على صدر ابنها الوحيد، وكان حمزة يردد بصوت مسموع "إنا لله وإنا إليه راجعون".

وقد ذهب حمزة ومعه جيرانه وأصدقاءه إلى المقابر لدفن والدته في مشهد ظل يحكي الناس عنه كثيرًا، حيث الأعداد الكبيرة والناس الذين جاءوا من كل مكان ليشاركوا في الدفن دون أن يعرف حمزة الكثير منهم.

ولكن حمزة قد حاول السيطرة على نفسه بأن طلب من تلك الذكريات أن تختفي عنه في تلك اللحظات ومسح دموعه وهو ما يزال يدعي لوالدته بالرحمة، ثم ذهب مغادرًا للمقابر بعد أن ألقى التحية على شاب كان جالسًا بجوار أحد المقابر ودموعه تنهمر على خده، وقبل أن ينطلق حمزة بسيارته إلى عمله ظل يردد في سره تلك الوصايا الثلاث التي لم تغب عن ذهنه يومًا وهي:

1- مهما حدث لك في هذه الدنيا لا تفقد أبدًا الإيمان بالله ولا تيأس من رحمته.

2- لا تدع وجهك مصدر بغض الناس لك وابتسم لهم دائمًا.

3- إذا قابلت أبيك يومًا ما لا تنس أنه أباك واغفر له وسامحه.

* * *

لم يتخل علي عن تلك العادة التي قد اعتاد عليها منذ أربع سنوات، وهي ذهابه مرة كل أسبوع بعد صلاة الفجر إلى المقابر لقراءة الفاتحة والدعاء لمروان صديق عمره والذي كان يشاركه في كل شيء، فكان مروان الصديق الوفي والمقرب إليه، ولكن هذه المرة كانت مختلفة عن غيرها حيث إن ذلك اليوم كان بالمصادفة هو الميعاد السنوي لذلك اليوم المشئوم الذي تُوفي فيه مروان أو قُتل كما يعتقد علي، وبينما كان يجلس علي بجوار القبر الذي دُفن فيه صديقه انهمرت دموعه فجأة عندما بدأ يتذكر ما حدث في ذلك اليوم.

كان علي ومروان قد ذهبا إلى الجامعة حيث إنهما كانا يدرسان معًا في كلية الصيدلة وكانا في سنتهما الأولى في ذلك الوقت، وعندما دخلا الجامعة قد لاحظا شيئًا غريبًا لم يكن موجودًا من قبل وهو اللافتات الموجودة في كل مكان والتي كانت مكتوبًا فيها بخطوط عريضة "إلا رسول الله"، كما أنه كان هناك بعض الطلبة يقومون بتوزيع المنشورات التي كانت فيها معلومات عن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، كانت تتحدث عن صفاته العظيمة وأنه جاء رحمة للعالمين وداعيًا للأخلاق الحميدة، وفي نهاية تلك المنشورات رفض للصور

المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام من قِبل بعض المجلات الأوروبية، وكذلك دعوة إلى التظاهر بعد صلاة العصر أمام الجامعة وبعد أن قرأ علي ومروان تلك المنشورات قد شعرا بالاستياء والضيق الشديد لما تفعله تلك المجلات التي لم تتوقف عن الإساءة للرسول، ثم تساءل علي بضيق قائلًا: "لماذا تصر هذه المجلات على الإساءة للرسول؟".

- "لأنها تريد الشهرة وزيادة مبيعاتها"، هكذا ردّ مروان، ثم قال علي: "ما رأيك في أن نشارك في هذه المظاهرة؟".
- وبماذا ستفيد؟
- يجب أن يكون لنا رد فعل على تلك الإساءات.

فابتسم مروان مستنكرًا ثم قال بأسى: "بالتظاهر والشعارات! أليس الأجدر بنا أن نتبع سنة نبينا عليه الصلاة والسلام بنشر المحبة والأخلاق؟ أليس الأجدر بنا أن نكون مرآة جيدة لديننا وننشر تعاليم الإسلام الحقيقية من خلال معاملتنا؟".

وبعد ساعات كان قد حضرا خلالها علي ومروان محاضراتهما وأثناء خروجهما من الجامعة للعودة إلى البيت، كانت المظاهرة قد بدأت

فعالياتها مما أثارت في نفس علي شيئًا ما وحثته على المشاركة فنظر إلى مروان نظرة يحثه فيها أيضًا على المشاركة معه فقال مروان: "دعنا نذهب إلى البيت ونذاكر أفضل، فلم يتبق لنا سوى أيام قليلة على الامتحانات".

- إنها ربع ساعة فقط سنشارك فيها ثم نذهب.

ولم يستطع مروان يومًا أن يرفض طلبًا لعلي فانضما إلى المتظاهرين، وكانت الهتافات تعلو لرفض تلك الإساءات واتخاذ قرارات من المسئولين بذلك وبمقاطعة منتجات تلك الدول تمامًا، وقام بعض المتظاهرين بحرق أعلام هذه الدول وأصبحت الهتافات في تصاعد مستمر، حتى ازدادت شعلة الحماس داخل نفوس الجميع فهتفوا ضد النظام الحاكم وأنه ضعيف لا يفعل شيئًا للإسلام.

وعندما أُلقيت أول طوبة على أحد ضباط الشرطة الموجودين حول المظاهرة بدأت خراطيم المياه تظهر والقنابل المسيلة للدموع تُطلق، من أجل تفريق المتظاهرين وفض تلك المظاهرة التي بدأت تتحول إلى فوضى وتخريب، وبدأ التدافع بين المتظاهرين الذين كانوا يحاولون الجري والهروب بعدما بدأت قوات الشرطة تُلقي القبض على البعض

منهم، وأثناء ذلك كان علي ومروان قد ابتعدا عن بعضهما البعض وتفرقا، ولم تمر سوى دقائق قليلة حتى انفضت تلك المظاهرة وهرب من هرب وأُلقي القبض على البعض في حين كان علي ما يزال يبحث عن مروان الذي اختفى وسط تلك الجموع، حتى تجمدت عيناه وبدا عليه الاندهاش والرعب معًا وذلك عندما رأى مروان مُلقى بجوار الرصيف، فذهب إليه مُسرعًا فوجد جسده ووجهه مليئًا بالدماء من أثر الكدمات وعلامات الأحذية التي كانت بسبب التدافع والزحام، كما أن نبضه كان ضعيفًا جدًا ويكاد يكون متوقفًا فصرخ علي مستنجدًا بمن حوله من رجال الشرطة والناس العاديين، فتحول الجميع إلى علي تلبيةً لندائه كما أن أحد ضباط الشرطة قد قام بطلب الإسعاف في حين كان علي يحاول أن يقوم ببعض الإسعافات السريعة التي ربما تساعد مروان في محنته، ولم تمر سوى دقائق قليلة حتى جاءت سيارة الإسعاف ونزل منها الطبيب ومساعده فابتعد الجميع وأفسحوا المكان لهما لكي يقوما بعملهما إلا علي الذي كان ما يزال موجودًا بجوار صديقه مروان ولم يبتعد عنه، وبعد لحظات حاول فيها الطبيب إسعاف مروان توقف عن عمله بعدما فقد الأمل وتأكد من الوفاة فبدأت صرخات علي تملأ المكان

ودموعه تنهمر من عينيه في حين كان يحمل الطبيب ومساعده الجثة لكي يضعاها في السيارة، وحاول الجميع مواساة علي وتخفيف آلامه وأحزانه ولكن دون جدوى لذلك، فكيف سيتوقف عن آلامه وأحزانه وهو يعلم أنه السبب في موت صديق عمره؟

لماذا طلبت منه المشاركة في هذه المظاهرة؟ لماذا لم أسمع كلامه ونعود للبيت لكي نذاكر؟ لماذا يموت مروان بالذات؟

كانت هذه التساؤلات هي التي يصرخ بها علي موجهها لنفسه ورغم تلك الآلام والأحزان التي يشعر بها علي وكل من حوله إلا أن ذلك لم يمنع ضابط الشرطة أن يطلب من علي الذهاب معه إلى قسم الشرطة لعمل محضر وللتحقيق في تلك الواقعة.

لم يستطع علي أن ينسى تلك المشاهد التي آلمته كثيرًا، ولكنه قد عاد ليشعر بما يدور حوله مرة أخرى وذلك عندما ألقى عليه شاب أكبر منه سنًا التحية وهو يغادر المقابر.

-5-

كان حمزة يجلس في الصف الأول مُنتظرًا صعود مريم على المسرح، وكان ينظر حوله مُتفحصًا هذا المكان الرائع الذي شعر فيه بشيء من العظمة والرهبة في نفس الوقت، فكانت هذه هي المرة الأولى له التي يحضر فيها حفلًا في دار الأوبرا، وقد بدأ يتخيل نفسه جالسًا في ذلك المكان بمفرده وتقف مريم أمامه على المسرح لتغني له فقط دون أن يشاركه أحد في صوتها، فكان يتمنى لو كانت مريم ملكًا له فقط ولكن هذه ضريبة يجب عليه دفعها وهي أن يتقبل مشاركة المعجبين له فيها.

وقد عاد مرة أخرى ليشعر بما يدور حوله وذلك عندما بدأ التصفيق الشديد الذي استقبل به الحاضرين مريم عند صعودها على المسرح، وكانت مريم ترتدي فستانًا أسود طويلًا عليه بعض النقوشات الذهبية وكذلك حذاء ذا كعب طويل ذهبي اللون، فقامت مريم بتقديم الشكر والتحية لهم ثم عاد السكون وبعد لحظات بدأ العزف ثم انطلقت مريم لتشدو بأغنيتها، فشعر حمزة أنها بصوتها قد أخذته إلى عالم آخر، عالم ملىء بالجمال، عالم يحكمه قوانين الحب والسلام.

إن الموسيقى غذاء للروح يمكن أن تسمو بها لدرجات أعلى، كما أنها الشيء المشترك لكل المخلوقات، فإن الكون كله من حولك يتناغم على أوتار وسلالم موسيقية لا تختلف كثيرًا عن بعضها البعض.

بعدما انتهى الحفل كان حمزة يقف بمفرده على بُعد خطوات من مريم ينتظرها حيث قد التف حولها بعض المعجبين ليلتقطوا معها صورًا تذكارية، وكان حمزة يشعر بسعادة كبيرة بداخله من هذا النجاح الذي وصلت إليه مريم ومن تقدير الناس وحبهم لها فلم يكن في قلبه شيء من الغيرة أو الحقد لذلك.

وبعد دقائق قليلة وبعدما انتهت مريم من معجبيها ذهبت لحمزة وعلى وجهها ابتسامة عريضة فاستقبلها حمزة بقبلة على خدها وقال لها: "كنتِ رائعة الليلة".

- ميرسي.. أنت أيضًا تبدو أنيقًا هذه الليلة.
- "هذا حالي دائمًا"، قالها حمزة وهو يبتسم، فقالت مريم: "لم أكن أعرف أنك مغرور هكذا".
- "هذا حالي دائمًا أيضًا"، قالها حمزة فضحكا معًا ثم أمسك حمزة يد مريم وقال بجدية: "أعتقد أنني لست مثل هؤلاء المعجبين.. لذلك لا يكفيني صورة تذكارية فقط".

- أعلم ذلك.

فبدا على حمزة الاندهاش من ذلك الرد الذي لم يكن يتوقعه، فأكملت مريم: "عندي ليك مفاجأة".

- حقًا!

- نعم.. هيا بنا.

* * *

انطلقت مريم بسيارتها ومعها حمزة الذي كان يفكر فيما ستكون تلك المفاجأة، وبعد دقائق قليلة كانت مريم قد توقفت بسيارتها أمام إحدى العمارات الموجودة في المهندسين، ثم نزلت ومعها حمزة وصعدت به إلى الدور السابع وقد تأكد حمزة من حدسه عندما فتحت مريم باب شقتها ودعته للدخول، فدخل حمزة بعد تردد كان يشعر به في داخله فأغلقت مريم الباب وأخذته من يده وذهبت به للغرفة المُطلة على الشارع والتي كان لها سور دائري يبدو كبلكونة للغرفة، وكانت مريم قد أعدت كل شيء قبل ذهابها للحفل، فكانت الأنوار هادئة تمامًا حيث تنبعث الإضاءة في المكان من خلال بعض الشموع وضوء القمر الذي كان مُكتملًا في السماء، وكانت أيضًا قد وضعت طاولة صغيرة وكرسيين

متقابلين حولها، ثم تركته مريم لثوانٍ وعادت وهي تحمل صينية عليها كأسين بهما عصير الفراولة وقامت بتشغيل إحدى إسطواناتها المفضلة والتي كانت عبارة عن بعض المقاطع الموسيقية الهادئة.

جلس حمزة أمام مريم وهو ينظر لها مُتسائلًا في نفسه: "كيف تستطيع تلك الجميلة أن تفعل كل ذلك؟ وكم أنا محظوظ بأن أكون معها في تلك اللحظات؟ وكم هذا القدر مُنصفًا وعادلًا بل كريمًا مع من يصبر ويرضى به في كل الأحوال؟".

بينما كانت مريم تتساءل أيضًا: "كيف استطاع حمزة أن يأخذني في هذا العالم الخاص الذي فقدت الأمل في أن أجده يومًا؟ وكم كنت أحتاج لمثل حمزة بجواري في هذا الوقت؟ وكم هو حقًا شخصًا لا يجده الكثير من الناس في حياتهم؟".

ثم قطع حمزة هذا الصمت الخارجي الموجود بينهما ليتحول الحديث من حديث داخلي لا تسمعه سوى النفس إلى حديث يسمعه كلًا منهما عندما قال: "كم أنتِ رائعة يا مريم؟".

- أنت أيضًا.

- بحبِك.

- أنا كمان بحبَك.

لم يصدق حمزة أنه سمع الكلمة الصحيحة فسألها بلهفة فاضحة: "ماذا قلتِ؟".

- بحبَك.

لم يستطع حمزة السيطرة على تلك الدمعة الخائنة له والتي نزلت من عينه أمام مريم، فلم يرفع يده مسرعًا ليمسحها ولم يشعر بفضيحة كبيرة على خطيئة قد ارتكبها بنفسه ولم يشعر بضعف قد اجتاحه ليأخذ منه رجولته أمام مريم، بل إنه قد ترك نفسه مُستسلمًا لمشاعره أن تقوده هي هذه المرة إلى حيث تشاء دون الندم على ذلك أو حسبان للنتائج التي قد يصل إليها، لقد ترك نفسه للحب، فقط الحب.

فأمسكت مريم بيده وقبلتها ثم قالت له: "هل لي برقصة معك؟".

فهز حمزة رأسه موافقًا على طلبها ذلك بل إنه كان يفكر في نفس الأمر لكنه تردد قليلًا حتى سبقته هي، وبالفعل وقفا وبدءا يرقصان معًا وسط أنغام الموسيقى التي تملأ المكان حولهما وقد وضعت مريم رأسها على صدر حمزة لتشعر بتلك الضربات التي كانت تنبع من قلبه الصادق، وكان حمزة يضمها إليه وهو يشعر بأنهما يندمجان مع بعضهما البعض ليس

فقط بالجسد وإنما بالروح أيضًا فكان يشعر أنهما روحًا واحدة متمثلة في هذين الجسدين.

كان كلًا منهما يشعر بالنشوة واللذة الكبرى دون أن يمارسا الجنس بل بصدق مشاعرهما والحب الكبير الذي يجمعهما، فلم يكن أيًا منهما في حاجة إلى إقامة علاقة جسدية بينهما بل كانا في حاجة إلى شعور بالأمان، شعور بالذات التي وجدها كلًا منهما مع الآخر، كانا في حاجة إلى هذا السلام الداخلي وقد وجداه بالفعل في تلك اللحظات الحميمية.

* * *

كانت خديجة تجلس مع صديقتها علياء بعد المحاضرة فجاء إليهما وليد وجلس معهما بعد أن ألقى التحية، ثم سأل خديجة دون أن يبالي بوجود علياء معهما: "ما القرار؟".

فنظرت خديجة لعلياء كأنها تريد أن تتأكد من الإجابة قبل أن تنطق بها فرأت نظرات الموافقة في عيني صديقتها فقالت لوليد: "إننا موافقتان.. ولكن بشرط ألا نتأخر".

فابتسم وليد بعد أن شعر بالراحة من تلك الإجابة وقال وقد بدت عليه سعادة كبيرة: "بالتأكيد لن نتأخر".

لم يكن وليد يصدق أنه سيخرج لأول مرة مع خديجة ويذهبا لمكان خارج الجامعة فرغم محاولاته الكثيرة إلا أنها كانت دائمًا ما تنتهي بالفشل بسبب رفض خديجة لذلك، ولكن هذه المرة بعد أن قدم وليد اقتراحًا، وهو أن تخرج علياء معهما ويأتي هو بصديق له، حصل أخيرًا على الموافقة.

ذهب وليد بصحبة خديجة وعلياء وصديقه كريم إلى إحدى المنتزهات الواقعة بجوار النيل والموجود بها كثير من الكافيهات والمطاعم، وبينما كانوا جالسين معًا اقترح وليد أن يلعبوا لعبة تسمى الصراحة وهي تبادل الأسئلة والإجابات بينهم فوافق الجميع على ذلك فبدأت علياء الأسئلة موجهة سؤالها لوليد: "كم فتاة قلت لها إنك تحبها؟".

اندهشت خديجة من هذا السؤال وقد أدركت ما تقصده صديقتها بذلك السؤال، وكذلك كان وليد قد فهم المعنى الباطني للسؤال فابتسم وبثقة كبيرة أجاب: "فتاة واحدة".

ثم انتظر وليد لحظات وأكمل قائلًا: "وهي تجلس معنا الآن".

فتوجهت الأنظار كلها تجاه خديجة التي قد بدا عليها الخجل الشديد فلم تكن تتوقع أن يبدأ الحوار بهذه السخونة، ولكن قد أنقذها وليد بسؤاله لعلياء: "كم مرة كنتِ تغارين من صديقة لك؟".

فضحكت علياء وقد أدركت ما يلمح إليه وليد في سؤاله وهو أنها تغار من صديقتها خديجة على قصة حبها معه، فقالت: "أبدًا.. لأنني مقتنعة وراضية دائمًا بما يكتبه الله لي كما أنني أسعد كثيرًا بسعادة صديقاتي".

فحاولت خديجة تهدئة ذلك الحوار الذي قد اشتعل منذ اللحظة الأولى، وذلك بسؤالها الذي وجهته لكريم وهو: "حدثنا عن نفسك يا كريم؟".

فابتسم كريم بعد أن أصبح له دور في تلك الجلسة ثم قال: "اسمي كريم.. طالب في سنة رابعة تجارة.. بشتغل في مطعم عشان أقدر أحصل على مصاريفي.. متفائل دائمًا وعندي أحلام كتيرة بجتهد إني أحققها.. بحب الشعر والروايات وبكتب أحيانًا".

كانت علياء تنظر إليه باهتمام هذه المرة بعد أن اكتشفت أنه شخص يستحق الاحترام وليس شابًا تافهًا كما كانت تظنه كذلك من قبل أن

يتحدث، وبعدما انتهى كريم وجه سؤالًا لعلياء فقال: "وأنتِ يا علياء.. ماذا تعرفين عن الحب؟".

رغم قسوة السؤال إلا أنه كان بريئًا ولا يقصد به كريم الإساءة أو الاستفزاز وقد وضح ذلك لعلياء قبل أن تجيبه قائلة: "أعرف عنه الكثير.. لذلك لا أثق في أي أحد يتحدث عنه".

وبدأت تتوالى الأسئلة والإجابات من الجميع فيضحكوا أحيانًا ويبدو عليهم الضيق والحزن أحيانًا أخرى، فكانوا يتحدثون عن ذكريات قد ظنوا أنهم نسوها وتكلموا عن أشياء كانوا يتمنونها، وقد شعر الجميع بسعادة ورغبة بأن يحكي الكثير فربما كانوا جميعًا في حاجة إلى الحديث وإلى مَن يستمع إليهم ويهتم بكلامهم وأمورهم.

وبعد أن مرّ الوقت سريعًا دون أن يشعر به أحد وقبل أن يأتي ميعاد الرحيل بدقائق اقترح وليد أن يتجولوا ويمشوا في المكان قليلًا فربما كان يريد أن يجد فرصة يتحدث فيها مع خديجة بمفردهما، ولكن قد شاء القدر أن يُلقي إليه بهدية لم يكن يطمع في أكثر منها وذلك عندما قال له كريم: "يمكنك أن تتمشى أنت وخديجة بمفردكما ونبقى هنا أنا وعلياء لأنني أريد أن أحدثها عن الحب الحقيقي الذي لم تعرفه بعد".

ابتسمت علياء موافقة على ذلك وقد شعرت بالفضول لأن ترى ما يمكن أن يفعله كريم في ذلك، وبالفعل ظل كريم وعلياء جالسين في حين ذهب وليد وخديجة بمفردهما.

وقف كريم وجلس على الكرسي المقابل لعلياء ثم سألها: "لقد قلتِ إنكِ لا تثقين بأحد يتكلم عن الحب.. هل ذلك لأنك خائفة من الحب؟".

لم يكن سؤالًا سهلًا هكذا، اعتقدت علياء وهي تفكر فيه وتتساءل في نفسها: "هل هذه جرأة كبيرة من كريم؟! أم أنها وقاحة منه بأن يصفني بأنني خائفة؟! وهل الخوف اتهام لها أم أنه أحيانًا يكون شيئًا من التعقل والتدبر؟!".

فقررت ولأول مرة منذ سنوات أن تفتح قلبها وتُخرج كل ما فيه من أسرار لهذا الشخص الذي لم تتعرف إليه سوى من ساعات فقط، فتحدثت علياء عن قصة الحب التي قد بدأتها مع أحد جيرانها منذ الطفولة، وعن الحياة التي رسمتها في خيالها مع ذلك الحبيب، وعن مشاعر الطفولة الجميلة التي لا تعرف خداعًا أو نفاقًا، تحدثت عن المشاعر الصادقة والحب الذي لا يقف في طريقه أي مصلحة أو عقبة،

كانت تعتقد أن الحب كافي لبناء الحياة الأبدية بينهما، فلم يفكر أحدهما أنهما سوف يحتاجان لشقة أو لأموال أو لغيرها من الأشياء التي تجبرنا العادات والتقاليد عليها، وكان كريم يستمع إليها باهتمام محاولًا تحليل تلك الشخصية التي تجلس أمامه.

بينما كانت خديجة تمشي بجوار وليد وهي تشاهد بعض المناظر الجميلة في ذلك المكان من أزهار ملونة وأشجار ذات أشكال مختلفة، كما كانت تهرب بعينيها إلى مياه النيل حتى لا تنظر في عينيّ وليد لأنها دائمًا ما كانت تشعر بالضعف تجاهها وذلك ليس فقط لجمالها بل لصدق الصورة التي تعكسها كمرآة صافية لنفسها، وكان وليد يشعر بنبضات قلبه تزداد في سرعتها وربما تسمع خديجة صوتها وهي تدق كعقارب الساعة، فكان يشعر بأنه قد حقق أغلى أمانيه وهي الحب الصادق العفيف.

تحدثت خديجة إلى وليد وأخبرته أنها قد وثقت فيه وفي مشاعرها تجاهه منذ لحظة تعارفهما، وأنه دائمًا ما يُثبت لها أنه كان يستحق تلك الثقة، وعندما سألها وليد عما تريده بعد أن وعدها بأنه سيلبي لها كل ما يخطر على بالها ما إذا كان في استطاعته ذلك، لم تطلب منه خديجة أن

تعيش في قصر أو أن تسافر معه العالم كله، لم تطلب منه الأموال والمجوهرات والأزياء الأحدث موضة في العالم، طلبت منه فقط الاحتواء.. المشاركة.. الصدق.. الود.. الأمان.

ظلت علياء تحكي عن جرحها العميق الذي انكسر له قلبها عندما افترقت هي وحبيبها بسبب سفر عائلته إلى الخارج وقد أخذوه معهم، أخبرته عن اللحظات القاسية التي تتكرر فيها المواقف التي كانت تشاركه فيها ولكن هذه المرة بمفردها دون وجوده بجوارها، أخبرته أن الحب ليس عادلًا ولا رحيمًا بأحد، وأن الحب ليس إلا مصدر أوجاع لا تنتهي أبدًا.

دون أن يشعر وليد بالسيطرة على نفسه أو ربما بكامل إرادته مدّ يده وأمسك يد خديجة وتشابكت أصابعهما مع بعضهما البعض، ورغم أن خديجة شعرت برعشة تجري في جسدها مما حدث، ورغم رهبة ذلك الموقف الذي يحدث لها لأول مرة في حياتها إلا أنها لم تفعل شيئًا سوى الاستسلام لمشاعرها، بعدما أعطت وليد الثقة الكاملة وقد شعرت بصدق حبه لها فأمسكت يده بقوة كأنها لا تريد أن يفترقا أبدًا، أمسكت يده وهي تشعر بشيء ما داخلها وقالت لنفسها: "ماذا تريد الفتاة غير أن

تشعر بحب صادق وأنها في أمان مع من تحبه ويحبها؟! ماذا تريد الفتاة غير أن تجد من يحفظ لها عزّتها وكرامتها؟! ماذا تريد الفتاة غير أن تجد مَن يكن مستعدًا لمواجهة العالم كله من أجلها؟!".

دون أن يبالى كريم بمن حولهما مد يده ومسح دموع علياء التي كانت قد تساقطت من عينيها في غفلة منها، فظهر ضعفها لأول مرة على عكس طبيعتها دائمًا ولكنها لم تشعر بالحرج لذلك، بل وإنها لم تمنع كريم مما فعله، وبعد أن مسح كريم دموعها قال لها: "ربما لست قادرًا على أن أتخذ وعدًا على نفسي إلا أنني سأفعل.. أوعدك ألا تنزل هذه الدموع مرة أخرى سوى فرحًا وسعادةً".

❁ ❁ ❁

-6-

إن الحب قد أصبح حلمًا يرواد الجميع صغارًا وكبارًا ذكورًا وإناثًا حتى أنك إن بحثت عنه فستتأكد أنه من الصعب إيجاده، وأتحدث هنا عن الحب الحقيقي الذي يغير حياة صاحبه، الحب الذي يمكنه أن يبني قصورًا ومدنًا بل أوطان، الحب الذي يمكنه أيضًا أن يتسبب في حروب وصراعات بين قبائل وشعوب، وليس الحب الذي ينشأ في نظرة وكلمة، ليس الحب الذي يُبنى في رسالة نصية من الهاتف أو على برامج التواصل الاجتماعى، إن الحب هو الشيء الوحيد القادر على تغيير مسارات الحياة.

كان حمزة قد بدا عليه التغيير خلال الأيام القليلة الماضية فكان أكثر مرحًا ولطفًا مع زملائه في العمل، كما أنه كان أكثر سعادةً حتى لاحظ زملاؤه هذا التغيير فبدأوا يتساءلون مع بعضهم البعض عن السر وراء ذلك، وكان طارق الصديق الأقرب لحمزة هو فقط من يعلم ذلك السر، وهو الحب، فالحب دائمًا صانع المعجزات.

وفي يوم ما بعد أن وصل حمزة مقر عمله ودخل مكتبه وكعادته الجديدة التي أصبحت الأهم بالنسبة له أخرج هاتفه وطلب الرقم الذي

يحفظه كاسمه، وبعد لحظات جاءه الصوت العذب صاحب التأثير الأكبر فيه عندما ردت مريم قائلة: "لقد تأخرت أربعين ثانية عن الموعد المحدد".

- كانوا بالنسبة لي أربعين عامًا.

فضحكت مريم، ثم قالت: "أسامحك هذه المرة ولكن لا تتأخر مرة ثانية".

- أوامرك مطاعة يا حبيبتي.. وحشتيني.

- أنت أيضًا.. وحشتني.

- ماذا تفعلين؟

- إنني ما زلت على السرير.

وفي هذه الأثناء سمع حمزة طرقًا على باب مكتبه فطلب من مريم أن تنتظر معه على الخط، وقال بصوت هادئ: "تفضل".

فدخل عليه زميله طارق وهو يبتسم ثم قال: "لم أكن أريد إزعاجك.. ولكن أردت التأكيد عليك".

- ما الأمر؟

- ألم تخبرك نورا؟

- تخبرني عن ماذا؟!

تساءل حمزة متعجبًا، فجاوبه طارق: "لقد تم اختيارنا أنا وأنت للسفر لكندا لحضور المؤتمر السنوي هناك".

- "متى؟"، سأل حمزة وقد بدت عليه الدهشة، فجاوبه طارق: "اليوم.. التاسعة مساءً".

- "اليوم! ولماذا لم يخبرني أحد من قبل؟"، قال حمزة بطريقة يتخللها الضيق والعتاب، فردّ طارق قائلًا: "كان هاتفك مغلقًا طوال أمس".

فتذكر حمزة أنه قضى أمس بأكمله مع مريم وقد قام بغلق تليفونه حتى لا يزعجه شيء، فقال لطارق: "سأكون جاهزًا في الميعاد".

- سنتقابل في المطار.

- طيب.

وخرج طارق من المكتب وقد ترك حمزة جالسًا يفكر في ذلك السفر المفاجئ الذي قد يحرمه من حبيبته لبضعة أيام حتى يعود، ثم تذكر أن

مريم ما زالت على الخط فأمسك تليفونه وقال: "آسف يا حبيبتى.. لقد نسيت أنك ما زلتِ على الخط".

- مفيش مشكلة.. ولكن ما موضوع السفر هذا؟
- هل سمعتِ ذلك الحوار؟
- نعم.. ولكني لم أفهم منه سوى أنك ستسافر لحضور مؤتمر في ألمانيا تقريبًا.
- لا.. سيكون في كندا، إنه مؤتمر سنوي تقوم به بعض شركات الاتصالات الكبرى لتبادل الخبرات مع بعضها البعض.
- "وهل ستسافر الليلة حقًا؟"، جاءه صوت مريم متسائلًا بنبرة يتخللها الحزن، فردّ حمزة: "نعم.. للأسف"، قال حمزة وقد بدت عليه تعابير الحزن والضيق لذلك أيضًا، فقالت مريم: "إذن سوف أمرّ عليك في المنزل لأجهز معك شنطة السفر".
- سوف أكون في انتظارك.

* * *

كان وليد على متن القطار المُتجه للأقصر حيث يعيش أهله، فقد قرر السفر لقضاء إجازته الشهرية التي قد اعتاد على السفر فيها لرؤية عائلته والاطمئنان عليهم، وكان وليد الولد الوحيد بين أخواته البنات واللاتي كان عددهن ثلاثة كما أنه كان أصغرهم سنًا، ولذلك فكانت طلباته كلها مجابة من قبل والديه حتى أنهما لم يرفضا سفره وغربته من أجل الدراسة في القاهرة رغم خوفهما وقلقهما الدائم عليه.

وكانت الرحلة هذه المرة على عكس عادتها دائمًا، فلم يشعر فيها وليد بالضيق أو الملل، وكان السبب في ذلك هو تفكيره في خديجة والذي لم ينقطع لحظة واحدة طوال الفترات التي كان فيها مُستيقظًا، كما أنه كان يفكر في الطريقة التي سيتحدث بها إلى والديه ليقنعهما بقبول زواجه من خديجة.

عندما وصل وليد إلى الأقصر وخرج من محطة القطار كان قد وجد والده في انتظاره والذي جاء ليأخذه بسيارته إلى البيت كما كان يفعل معه دائمًا، فتبادلا الأحضان وقبّل وليد يد والده ثم ركب معه السيارة وذهبا إلى البيت.

وعندما وصلا إلى البيت وجد وليد والدته في استقباله وعلى وجهها سعادة كبيرة لرؤيتها له، وكذلك الحال مع أخواته فكان البيت يعمُّ بالأفراح لتجمع العائلة كلها معًا، كما أن والدته كانت قد أعدت كل الأكلات التي يحبها أولادها ليتناولوها معًا على الغداء.

جلست العائلة كلها على المائدة ليتناولوا الطعام وأثناء ذلك قرر وليد أن يفتح موضوع زواجه، فتحدث إليهم قائلًا: "طوال حياتي ولم يرفض أحد فيكم طلبًا لي.. ولكن هذه المرة لا أعرف هل ستلبون طلبي أم لا؟".

فنظر إليه الجميع باندهاش وقد توقف البعض عن مضغ الطعام وآخرون قد ابتلعوا الطعام دون أن يمضغوه، كل ذلك من أجل الانتباه لذلك الطلب الذي ينوي وليد طلبه منهم، فأكمل وليد قائلًا: "إننى أريد أن أتزوج".

وبمجرد أن انتهى وليد من كلمته الأخيرة ظهرت السعادة على وجوه الجميع وانطلقت الزغاريد من حلق والدته لتملأ المكان كله، ولكن والده كان الوحيد الذي ينتبه جيدًا ليسمع باقي الكلام ويريد أن يعرف

من التي ينوي وليد أن يتزوجها، ولكن قد قطعت زوجته أفكاره عندما تحدثت إلى وليد ابنها قائلة: "بالطبع ستتزوج هدى بنت خالتك".

ولكن وليد لم ينطق بكلمة وظل صامتًا للحظات وقد بدا على وجهه تغييرًا كان الجميع قد لاحظه، فسأله والده: "مَن التي تريد أن تتزوجها؟".

فنظر الجميع إلى والده مُندهشين لهذا السؤال وكأن هناك فتاة أخرى غير هدى يريد وليد الزواج منها، فهدى ابنة خالته ذات الجمال والأخلاق الحميدة التي نشأت معه منذ صباه والتي يعلم الجميع أنهما سيكونان زوجين عندما يكبران نظرًا لقربهما لبعضهما البعض ومشاركتهما لأيام الطفولة كلها، فتحدث وليد بخجل قائلًا: "إنها زميلة لي في الجامعة.. وتتميز بحُسن خُلقها وتدينها".

كانت تلك مفاجأة لكل الموجودين وخاصةً والدة وليد التي كانت تتمنى أن يتزوج ابنها ببنت أختها هدى، والتي تعرف عنها كل شيء وكانت قد تحدثت إلى أختها ووعدتها بأن ابنتها ستكون لوليد.

بينما كان وليد يتحول بنظره إلى وجوه الجميع مُنتظرًا منهم الموافقة ومشاركته فرحته بذلك، ولكن قد اختفت البهجة من وجوه الجميع

فتحدث والده الذي كان يراقب نظرات الاستغراب من الموجودين قائلًا: "جميعنا كُنا نتمنى زواج وليد بهدى تلك الفتاة الطيبة بنت الأصول التي يشهد لها الجميع بكل شيء طيب وجميل.. ولكن هذا الشيء الوحيد الذي يجب على وليد اختياره بنفسه.. لأن زوجته هي التي ستعيش معه طوال حياته وهي التي ستشاركه في كل شيء.. وطالما الفتاة التي اختارها حسنة الخلق فيجب علينا أن نفرح معه ونشاركه في ذلك وندعو له بالتوفيق".

فانطلقت زغرودة كان مصدرها حلق أخته التي سعدت بكلام أبيها، ثم أقبل الجميع بالتهاني لوليد وعادت الفرحة مرة أخرى تملأ المكان بعد أن قالت أمه: "إنك ابني الوحيد ولا أتمنى لك سوى السعادة يا بُني.. وما دامت سعادتك ستكون مع تلك الفتاة التي اخترتها فأنا موافقة وراضية عنك في كل الأحوال".

فشعر وليد بسعادة كبيرة في قلبه فقام وقبّل أيدي والديه، ثم استأذن ودخل غرفته بعد أن توضأ وصلى ركعتين شُكر لله على نعمه وكرمه معه.

في مساء نفس اليوم كان وليد يعرف ما عليه فعله جيدًا فقد قرر الذهاب لزيارة خالته والتحدث مع هدى بشأن زواجه، فكان يفضل أن تعرف من خلاله هو ولا أحد غيره حتى لا تشعر بانكسار في نفسها رغم علمه أن ذلك سيكون أصعب موقف سيمر به في حياته، حيث إنه يعلم جيدًا كم هو من الصعب على هدى سماع ذلك فهي صاحبة القلب الطيب والمشاعر الرقيقة، ولكن كما كان يعتقد دائمًا فإن وجع قريب لا يدوم سوى قليل أفضل من وجع بعيد لن ينتهي أبدًا.

جلس وليد أمام هدى صاحبة العينين الزرقاوتين شديدة البياض التي تبدو مثل فتيات أوروبا والتي كانت نظراتها تخترق قلب وليد كأسهم حادة أثناء تفكيره في الطريقة التي سيخبرها بها عن زواجه من خديجة، ولكن هدى كعادتها حيث يمكنها قراءة أفكار وليد من خلال عينيه قالت له: "يمكنك ألا تتحمل هذا العبء والهمّ الذي يبدو عليك وحدك.. فأنا أعرفك جيدًا وأعلم أن هناك أمرًا ما تخفيه عني".

- إنك تعرفين جيدًا مدى حبي واحترامي لكِ وأنني....

ولكن هدى قاطعته قائلة: "تحدث في الموضوع مباشرة.. فأنا لا أحتاج مثل هذه المقدمة".

فأخذ وليد نفسًا عميقًا كأنه يستجمع به قواه ثم تحدث قائلًا: "لقد تعرفت على فتاة تُدعى خديجة.. ولقد أحببتها حقًا.. وسوف أتزوج منها بإذن الله".

بعدما انتهى وليد من كلماته اتجه بنظره لأسفل مُحاولًا الهروب من النظر في عيني هدى لأنه يعرف مدى الحزن والألم اللذين سيبدوان من خلالها، ولكن هدى كانت قد شعرت بمثل ذلك مسبقًا وقد هيأت نفسها لمثل ذلك الموقف الذي كانت تتوقع حدوثه، فبلعت ريقها ثم تحدثت بنبرة يتخللها بعض الحزن قائلة: "لا أستطيع أن أنكر حُبي لك.. وإنني كنت أتخيل حياتي المستقبلية كلها معك.. ولكنني لن أنسى الوعد الذي اتخذته على نفسي وهو البقاء بجوارك ومساندتك دائمًا.. فأريدك أن تعلم جيدًا أنني أتمنى لك كل السعادة وأنك ستظل الأخ والصديق المقرب بالنسبة لي".

لم يتخيل وليد أن ذلك الموقف المؤلم سيمر عليها سريعًا هكذا، بعدها استأذن ورحل مغادرًا بيت خالته وهو يشعر بأن الثقل الذي كان يحمله فوق قلبه قد انزاح تمامًا وأصبح الآن ذهنه غير مشغول سوى بحبيبته خديجة.

بينما دخلت هدى غرفتها وألقت بنفسها على سريرها وظلت تبكي بشدة وقد انهارت دموعها ليس حزنًا ولا ألمًا على ما أخبره وليد به، وإنما كأنها كانت تطرد كل ذكرياتها وآلامها بتلك الدموع حتى تستطيع البدء في حياة جديدة، حياة بلا توقعات أو أمنيات سوى تحقيق ذاتها وتخرجها من كلية الإعلام والعمل بالصحافة بعد أن احتلت هذه الأمنية المرتبة الأولى لديها.

* * *

عندما فتح حمزة الباب وجد مريم واقفة وعلى وجهها ابتسامة عريضة وتحمل في يدها صندوقًا صغيرًا، فرحب بها حمزة ودخلت مريم الشقة وأغلق حمزة الباب في حين كانت مريم قد توجهت بنظرها إلى الصورة الموجودة بالقرب من الباب فتحدث إليها حمزة قائلًا: "إنها أمي.. الله يرحمها".

- الله يرحمها.. إن الشبه كبير بينكما.

فلمعت عينا حمزة وقد جاءت صورة والدته في ذهنه، ثم ابتسم وحاول أن يخفي دموعه ولكنها قد سبقته عندما نزلت دمعة على خده،

فضمته مريم في حضنها وهي تحاول أن تخفف عنه وقالت: "أنا آسفة.. لم أقصد ذلك".

- إنها دموع الاشتياق فقط.. ولكني راضي تمامًا بهذا القدر.

وبعد أن مسح حمزة دموعه بيده قال وقد عادت ابتسامته إلى وجهه: "كفانا أحزان وهيا نُحضر الشنطة".

فهزت مريم رأسها بالموافقة، ثم دخلا غرفة حمزة والتي كانت عبارة عن مكان واسع ومزدحم إلى حدٍ ما حيث يوجد سرير ودولاب صغير بجواره مكتب موضوع عليه بعض الأوراق والكتب ولاب توب.

وقد أعدّ حمزة شنطته بمساعدة مريم التي اختارت له بعض الملابس ليرتديها والتي كانت ألوانها متناسقة تمامًا وقد وثق حمزة في اختيارها لذلك، ثم قدمت له مريم تلك العلبة الصغيرة التي كانت تحملها في يدها فسألها حمزة: "ما هذا؟".

- افتحها وسترى.

وعندما فتح حمزة العلبة وجد بها مصحفًا صغيرًا فوضع ثلاث قبلات عليه، ثم نظر إلى مريم وهو يشعر بفرحة كبيرة لتلك الهدية التي

قدمتها له، فقال لها قبل أن يضع قبلة على خدها: "إنها أجمل هدية جاءتني يومًا".

- ميرسي.
- بحبِك.
- وأنا كمان بحبَك.

ثم اقترب حمزة من مريم واحتضنها، وفي تلك اللحظة رن جرس الشقة فظهر القلق على وجه مريم وقد لاحظ حمزة ذلك فحاول طمأنتها بقوله: "لقد طلبت لنا الطعام ويبدو أن عامل "الدليفري" قد وصل".

ابتسمت مريم وقد اطمأنت لذلك، فذهب حمزة ناحية الباب وعندما فتحه كان قد وجد عامل توصيل الطلبات بالفعل فاستلم منه الطعام ودفع له المال، ثم عاد مرة أخرى لمريم التي كانت جالسة على الأريكة في الغرفة التي تتوسط الشقة، فوضع حمزة الطعام على ترابيزة صغيرة موجودة في نفس الغرفة وجلس على كرسي أمام مريم وفتح الطعام ليتناولاه معًا.

فكانا يتبادلان الأحاديث ويضحكان أثناء تناولهما للطعام، كما أن حمزة ظل يحكي لها بعض مواقفه المُضحكة أثناء طفولته في البيت مع

والدته وأيضًا في المدرسة مع المدرسين، وكانت مريم قد ضحكت كثيرًا وبشدة فلم تضحك هكذا من قبل وكان ذلك اعترافها لحمزة عندما أخبرته أنها لم تجد مثل هذه السعادة يومًا من قبل.

كان حمزة قد وصل المطار ومعه مريم والتي قد أصرت على توصيله بسيارتها، وكان حمزة قد وجد طارق في انتظاره والذي استقبله بالأحضان كأنه لم يره منذ زمن بعيد، إلا أنه في حقيقة الأمر كانت هذه إحدى صفات طارق وهي المرح والضحك، فأشار حمزة لمريم وقدّمها لزميله: "مريم".

فمد طارق يده ليصافحها في حين كان حمزة يقول مُشيرًا إليه: "طارق".

وبعد أن تصافحا قال طارق موجهًا كلامه لمريم: "أنا وحمزة بيننا عِشرة عُمر.. أنا أعرفه منذ سنة فقط لكنه طيب وجدع.. ورومانسي أيضًا".

فضحكت مريم وقالت: "أعرف ذلك".

- إذن سأخبرك بشيء لا تعرفينه.. إن حمزة رغم ابتسامته التي لا تفارقه أبدًا إلا أنه مُعقد وفي داخله حزن كبير.

- "أعرف ذلك أيضًا"، قالتها مريم وهي تضحك بينما كان حمزة يتابع ذلك الحوار وعلى وجهه ابتسامته، في حين ظهر الاندهاش على وجه طارق فتوجه لحمزة قائلًا بمرح: "يبدو أن حبيبتك تعرف عنك كل شيء".

- بالطبع.

ثم ضحكوا جميعًا وذهب طارق ليتركهما مع بعضهما البعض بمفردهما في هذه الدقائق القليلة، والتي مرت كلحظات سريعة لم يتبادلا فيها أي كلام ولكنهما اكتفيا بالنظر لبعضهما البعض وقد اشتبكت أيديهما، ثم عاد طارق وأشار لحمزة من بعيد بأنه لم يعد لديهما وقت آخر، فقال حمزة لمريم مودعًا: "هتوحشيني".

- وأنت كمان.. خلي بالك من نفسك.

- حاضر.. وأنتِ كمان.

ثم ضمها حمزة في حضنه ووضع قبلة على خدها دون أن يبالي بالناس الموجودين حولهما، ثم تركها حمزة وصعد للطائرة ومعه طارق في حين رحلت مريم.

بعدما صعد حمزة إلى الطائرة ومعه طارق الذي كان جالسًا بجواره، أخرج حمزة مفكرته من شنطته الصغيرة والتي كان يُعلقها على كتفه دائمًا وأخرج قلمه أيضًا وبدأ يكتب: (دائمًا ما نطالب بالمزيد في كل شيء.. المادي والمعنوي أيضًا.. حتى وصلنا لدرجة أننا إذا أدركنا السقف النهائي لأي شيء.. فإننا نفكر في اختراق هذا السقف أو إزالته لنحصل على المزيد).

ثم أغلق مفكرته ووضعها في شنطته مرة أخرى، ثم نظر لطارق فوجده مشغولًا مع رسائله الإلكترونية فلم يزعجه وقرر النوم.

* * *

كانت الأيام تمر سريعًا ولم يكن يتبقى سوى أيام قليلة على بدء الامتحانات مما جعل علي يهتم أكثر بدراسته، وبعد يوم طويل كان علي قد حضر فيه أكثر من محاضرة جلس أمام المدرج ليرتاح قليلًا قبل أن يرحل، وكانت فترات الراحة هذه بالنسبة له عبارة عن دقائق قليلة يقضيها بالذكر والتسبيح، وأثناء انشغاله في تسبيحه وبعد أن أغمض عينيه سمع صوتًا قريبًا جدًا يقول: "السلام عليكم".

ففتح علي عينيه وتوجه بنظره لمصدر الصوت والذي كان صوتًا أنثويًا رقيقًا قد استطاع علي تمييزه منذ اللحظة الأولى، ولكنه لم يكن يتخيل أن يتوجه هذا الصوت لمحادثته يومًا ما، ليس فقط لأنه يمتنع عن الكلام مع أي فتاة داخل الجامعة أو حتى خارجها والجميع يعرف ذلك عنه، وإنما لكونها هذه الفتاة بالذات، فمَن هي تلك الجريئة والشجاعة التي قررت أن تُقدم على مثل هذه الخطوة؟!

كانت آخر فتاة يتوقع علي أن يسمح لنفسه بالتحدث معها في يومٍ ما، ليس فقط لتشدده بل لأنها كانت في نظره الفتاة الأكثر انحرافًا وفسوقًا، وقد كان يحكم عليها بذلك دون أن يعرف عنها شيئًا سوى ما كان يراه دائمًا بعينيه، سواء كانت طريقة ملابسها الضيقة التي تُظهر كل معالم جسدها بل وتفاصيله أيضًا، أو طريقة معاملاتها مع زملائها من الشباب والتي كان يصفها علي بالانحراف والفجور بينما يعتبره آخرون من الطلبة تحررًا، ولذلك اكتفى علي بالنظر إليها باندهاش دون أن يرد عليها، فقالت الفتاة: "كنت أعتقد أن رد السلام واجب على المسلمين حتى لو كان لغير المسلمين على الرغم من أنني مسلمة والحمد لله".

- "وعليكم السلام"، قالها علي وقد شعر بإحراج شديد من كلامها، لكنه عاد ليتساءل في نفسه: "مَن أنتِ حتى تتكلمين عن الإسلام والمسلمين؟! وكيف تصفين نفسك بأنك مسلمة وأنتِ لا تطبقين من الإسلام شيئًا؟! ليس في ملابسك شيء من الإسلام.. ليس في أخلاقك ومعاملاتك شيء من الإسلام.. ليس..."، ولكنها قد قطعت تفكيره الصامت عندما أكملت قائلة: "ليس تبجحًا مني أن آتي وأتحدث إليك ولكنني لدي اعتراف لم أستطع أن أحتفظ به لنفسي".

فتغيرت ملامح علي وقد زاد اندهاشه وقال في نفسه: "اعتراف!! ماذا تكون قد ارتكبت هذه الفتاة من خطايا؟ هل قامت بالكذب أم السرقة؟ أم الزنا؟ ولماذا تعترف لي بخطاياها؟ هل تظنني الشيخ الذي ستعلن توبتها على يده؟ وهل تظنني من يصلح لذلك حقًا؟!"، ولكنها لم تتركه يُكمل خيالاته وقاطعت تفكيره مرة أخرى عندما قالت: "منذ أول مرة رأيتك فيها وأنا أشعر بشيء غريب تجاهك.. كنت أظنه مجرد إعجاب لشخصية غير تقليدية ولم أر مثلها في حياتي.. ولكنني تأكدت من مشاعري تجاهك.. إنني أحبك".

كانت كلماتها هذه تفوق خيال أي شخص بل حتى ما قد يحدث في القصص والأفلام مما أصاب علي بشيء من الصدمة قد جعله يبدو وكأنه أبكم لا يتكلم، وبعد دقائق مرت كلمح البصر بدأ علي يستعيد حاسة التحدث مرة أخرى عندما انطلق بكلمات حادة هو نفسه لا يعرف كيف استطاع أن ينطقها وذلك عندما أخبر تلك الفتاة، أنه لا يليق به أن يتحدث مع فتاة مثلها فماذا لو كانت تطلب أكثر من ذلك، وأنها في نظره بل وفي نظر الإسلام فتاة فاسقة فاجرة ينتظرها غضب وعقاب شديد من الله، وكثير من هذا الكلام الذي لم يتذكر علي معظمه ولا يعرف كيف تجرأ على قوله.

ولم يكن قد شعر بالذنب تجاه تلك الفتاة مما قاله لها، حتى بعد أن ظلت تبكي أمامه وهي تسمع كلامه، وحتى بعد أن أخبرته أن الإسلام والإيمان ليس فقط في المظاهر والشكل بل هو شيء في القلب وعلاقة بين الإنسان وربه، بل إنه كان يسخر من كلامها هذا ويرد عليها بأن كل ذلك مبررات قد صنعناها لنبرر بها أفعالنا.

خرج علي من الجامعة مُسرعًا متوترًا من حديثه مع تلك الفتاة التي أخبرته أنها تحبه دون أي معرفة به أو حديث معه من قبل، التي أخبرته

أنها تحبه دون أن تعرف صفاته وطبائعه، فـ"كيف ذلك؟!"، كان هذا هو السؤال الذي سأله علي لنفسه وهو يمشى على الرصيف بجوار سور الجامعة، ثم توقف فجأة وبدا على وجهه الاندهاش فجلس بجوار السور وقال لنفسه بصوت مسموع: "فيم تفكر يا علي؟!".

لقد فتحت تلك الفتاة الأبواب المُغلقة منذ زمن بعيد في قلبه، لقد أشعلت المصابيح التي طالما ما كان علي يريدها منطفئة، لقد حثت الذكريات المنسية على الظهور مرة أخرى في ذاكرته، كل هذا بكلمة واحدة فقط.

بدأت كل المشاهد والمواقف التي ذُكر فيها تلك الكلمة تظهر متتالية للحظات في ذهنه، فعادت إليه وجوه كان قد نسيها تمامًا وظهر وجه آخر هو الوحيد الذي لم يستطع علي نسيانه أو بالأحرى لم يكن يريد نسيانه رغم معاناته النفسية التي مرّ بها بسبب صاحبة ذلك الوجه ولكنه يعرف جيدًا أن لكل ذلك حكمة لا يعرفها سوى الله عزّ وجل.

ولكن قد قطع تلك الأفكار التي تدور في ذهن علي رنين هاتفه المحمول، وكان المتصل هو زميله معاذ والذي أخبره أن ميعاد الدرس الديني قد تم تقديمه ليصبح بعد صلاة العصر بدلًا من ميعاده المعتاد

بعد صلاة المغرب، وبعدما انتهت المكالمة نظر علي لساعته فوجدها الثالثة فوقف وقرر الذهاب للمسجد مُسرعًا لكي يلحق بالصلاة والدرس.

* * *

كانت سلمى تعيش في مصر الجديدة مع أسرتها التي تتكون من والديها وأختها الأكبر "ميادة" المتزوجة والتي لديها ابنة في الخامسة من عمرها، وكانت أسرتها ثرية إلى حد ما حيث يمتلك والدها شركة هندسية كبرى وتعمل والدتها مديرة في أحد البنوك، وكانت سلمى قد عُرفت منذ صغرها بصفتين لم تفارقاها طوال عمرها وهما الجرأة والعناد، فكانت جرأتها كثيرًا ما تسبب لها المشاكل أثناء طفولتها وحتى في شبابها، كما أنها إذا أصرت على فعل شيء لن يستطيع أيًا ما يكون أن يوقفها، فهى الابنة الجميلة الرقيقة التي تمتلك أنوثة تميزها عن غيرها من البنات وأيضًا هي صاحبة الشخصية القوية التي لا يمتلكها الكثيرون من النساء والرجال أيضًا.

وقد اختارت سلمى التحاقها بكلية الصيدلة رغبةً منها حيث كان والدها يريدها أن تلتحق بكلية الهندسة حتى تتبع خطاه وتعمل معه في

شركته، لكنها دائمًا ما كانت تريد معرفة أسرار التركيبات المختلفة للأدوية التي يمكنها معالجة المرضى وتخفيف آلامهم فأصرت على رغبتها وبالفعل حصلت عليها، كما أنها كانت فتاة متحررة من الكثير من العادات والتقاليد التي ربما تقف عائقًا أمام أي فتاة في مجتمعنا وساعدتها على ذلك أسرتها التي كانت تعيش في مستوى ثقافي واجتماعي لم يكن عائقًا لها، فكانت سلمى قد تعلمت السباحة وتدربت على العزف على البيانو كما أنها انضمت لفريق كرة الطائرة بنادي هليوبوليس لمدة سنتين، كما أنها قرأت العشرات من الكتب والروايات في مختلف المجالات فكانت حقًا تمتلك شخصية عظيمة ولديها خبرات تفوق عمرها بمراحل.

وفي يوم ما عادت سلمى إلى بيتها وعلى وجهها علامات الحزن والضيق الذي لم يعتده والداها عليها فسألتها والدتها: "ما الأمر؟".

- لا شيء.

قالتها سلمى، ثم دخلت لغرفتها وأغلقت بابها بالمفتاح حتى لا يدخل عليها أحد، ثم جلست على سريرها ووضعت يديها على وجهها وظلت تبكي بشدة وهي تشعر لأول مرة بانتهاك كرامتها وضعفها عن

محاولة الدفاع عن نفسها وذلك لما حدث معها في الجامعة بعدما أخبرها ذلك الطالب الذي قد أحبت شخصيته أنها فاسقة وفاجرة واتهمها في شرفها دون حتى أن يعرفها.

كانت مشاعرها متخبطة ولا تدري ما هو شعورها الحقيقي، فهل هي نادمة على التحدث إليه؟ أم أنها قد اكتشفت شيئًا لم يكن في بالها؟ وهو أنه ربما قد يسيء أي شخص الظن بها من تصرفاتها الجريئة والتي لم تكن تفكر بها من قبل.

بعد أن هدأت سلمى وفكرت في كل ما حدث لها قررت أن تقوم بحسبان كل خطوة تخطوها وأن تجعل بينها وبين الجميع حدودًا أكثر صرامة في التعامل فأدركت في تلك اللحظة أنه مهما كانت درجة ثقافتها وتحررها ومهما كان مستواها الاجتماعي فإنها تخضع للعادات والتقاليد التي تحكم مجتمعنا الشرقي وأن الناس ما يزالون يصدرون أحكامهم على غيرهم من الأشخاص بمجرد مظهرهم وتصرفاتهم الخارجية دون النظر لما هو داخلهم، فالناس لا يبالون بما هو باطن وكل ما يهمهم هو المظاهر حتى ولو كانت خادعة.

* * *

بعدما انتهت الصلاة جلسوا كعادتهم في شكل دائري وبينهم الشيخ خالد، والذي تحدث في هذا الدرس عن كيفية اختيار الزوجة الصالحة، المُسلمة المُطيعة التي تستطيع أن ترعى زوجها وأبناءه، وقد اشترك الجميع في هذا الحديث فمنهم من كان يتوجه ببعض الأسئلة ويجيبه عنها الشيخ خالد وآخرون كانوا يؤكدون اقتناعهم وإيمانهم بما يقوله الشيخ، وكان علي يتساءل في نفسه قائلًا: "لماذا يتحدث الجميع اليوم عن الحب والزواج؟!".

وبعدما انتهى الدرس رحل الجميع ولكن علي انتظر الشيخ خالد، حيث إنه قد طلب منه ذلك وأخبره أنه يريد التحدث معه في أمر ما، وبالفعل كان قد خرج الشيخ خالد ومعه علي من المسجد وبينما كانا يمشيان في الشارع بدأ الشيخ خالد حديثه بأن سأل علي: "كيف حالك.. صحتك ودراستك؟".

- الحمد لله بخير.
- قد لاحظت عدم مشاركتك كعادتك في الدروس هذا اليوم.. ما رأيك في موضوع الدرس اليوم؟
- موضوع مهم جدًا.. ولكنني مُتعب قليلًا.

- "ماذا بك؟"، سأل الشيخ خالد وهو يُبدي الاهتمام، فجاوبه علي: "إنني أشعر بالإرهاق فقط.. لا تقلق يا مولانا".

ابتسم الشيخ خالد ودعا الله أن يحفظ لعلي صحته وحياته، ثم قال له: "في الحقيقة أردت التحدث إليك في موضوع خاص"

- "ما الأمر؟"، قالها علي مندهشًا، فانتظر الشيخ خالد للحظات كأنه يفكر فيما سيقوله ثم بدأ يتحدث: "لقد أمرنا الإسلام باختيار الزوجة الصالحة.. المُتدينة.. حسنة الخُلق.. التي تحفظ بيت زوجها وترعى أبناءه.. صاحبة الأصل الكريم.. وفي الحقيقة لقد وجدت كل هذه الصفات موجودة عند فتاة وأريد الزواج بها".
- إنه أمر عظيم.. ولكن ما علاقتي بذلك؟
- إنها أختك.

شعر علي بصدمة كبيرة بعدما أنهى الشيخ كلمته الأخيرة، فبدأ علي يتساءل في نفسه ويقول: " أختي! ماذا يعرف عنها الشيخ ليتحدث عنها ويطلبها للزواج؟! متى يكون قد رآها من قبل أو عرفها؟! كيف يكون ذلك؟!".

ولكن قد شعر الشيخ بأن علي قد تراوده بعض الأفكار السيئة فسارع للتحدث مرة أخرى موضحًا له الأمر كله عندما قال: "لا تسئ الظن بي يا علي.. في الحقيقة أنا لم أرها سوى مرة واحدة للحظات فقط عندما أتيت أنا وباقي الإخوة لزيارتك في البيت أثناء مرضك منذ شهرين، وأنا لم أتحدث معها قط ولكن ثقتي الكبيرة في حسن خلقها وتدينها ينبع من البيت الكريم الذي تعيش فيه ومنك أنت خصوصًا.

فشعر علي بالارتياح بعدما سمع ذلك واستغفر الله في نفسه على سوء ظنه، ثم قال للشيخ: "ولكنك متزوج ولديك أبناء".

- وما المانع ما دمت قادرًا.. فقد أحل الله لنا الزواج من أربع وأنت تعلم ذلك جيدًا.
- ولكنها في السنة الأولى في الجامعة ولابد أن تكمل دراستها.
- لا أمانع في ذلك.. ويمكنها أن تكمل دراستها بعد الزواج بأن تذاكر في البيت وتذهب للجامعة وقت الامتحانات.

وجد علي الرد جاهزًا عند الشيخ كأنه أعدَّ إجاباته مسبقًا ولم يعرف ما هو القرار الصحيح الذي يجب عليه أن يتخذه، ولكن أخيرًا وبعد تفكير عميق قال: "إنك شيخ عظيم ويتشرف أي شخص أن يُناسِبك وأنا لا

مانع عندي في طلبك هذا، ولكن يجب أن أتحدث إليها أولًا وأن أعرض عليها ذلك".

- بالطبع.. يجب أن تتحدث إليها.. ولكن لا تنس أنك ولي أمرها وأنك يمكنك أن تختار لها الأفضل فهي قد لا تعرف ما هو الأفضل لها.
- سوف أتحدث إليها ولكن بعدما تنتهي الامتحانات.. وسوف أخبرك بالرد.. إن شاء الله.
- إن شاء الله.. وأنا سأنتظر.

❁ ❁ ❁

-7-

ظل وليد يذهب ويعود بين الفينة والأخرى وينظر لعلياء دون أن تراه، والتي كانت جالسة مع إحدى صديقاتها التي كانت منتقبة متسائلًا في نفسه عن عدم مجيء خديجة هذا اليوم، رغم أنه كان في انتظارها ليبلغها بموافقة أهله على زواجهما كي تشاركه فرحته بذلك، ولكنه لم يستطع الانتظار فذهب ناحية علياء حتى وقف أمامها ثم قال: "السلام عليكم".

- وعليكم السلام.

ردّت علياء وصديقتها، فظل وليد للحظات صامتًا لا يعرف كيف يبدأ حديثه ثم قال موجهًا كلامه لعلياء: "لماذا لم تأت خديجة اليوم؟! هل هي بخير؟".

فانطلقت من علياء ضحكة كبيرة رغمًا عنها.

فظل وليد ينظر إليها متسائلًا عن سبب ذلك، حتى قالت علياء وهى تشير إلى صديقتها التي بجوارها: "لقد قلت لكِ إنه لم يتعرف إليكِ".

فنظر وليد ناحية تلك الفتاة متسائلًا: "خديجة؟!".

- "نعم"، جاء صوتها حزينًا من خلف النقاب، فسألها وليد متعجبًا: "وما هذا الذي ترتدينه؟!".
- "إنها أوامر عليا من ولي الأمر"، قالتها علياء بطريقة ساخرة، فقالت خديجة: "لقد قلت لكِ أن لا تتحدثي بهذه الطريقة الساخرة مرة أخرى".

فشعرت علياء بالإحراج مما فعلته فتجمدت ملامحها وعادت لصمتها، في حين سأل وليد: "ما الأمر؟".

- لا شيء.. ولا أريد التحدث في ذلك الآن.
- "طيب"، قالها وليد وعلى وجهه علامات الاندهاش، ثم تذكر الموضوع الذي كان يريد أن يتحدث معها فيه فقال: "كنت أريد أن أخبرك بشيء ما ولا أعرف هل تريدين ذلك الآن أم لا؟".
- ما هو؟
- "لقد وافقت عائلتي على زواجنا"، قالها وليد وقد عادت الفرحة مرة أخرى على وجهه، في حين كانت هناك فرحة عارمة على وجه خديجة الذي كان مختفيا خلف ذلك النقاب الذي

كانت ترتديه فقالت بصوت يظهر فيه فرحتها: "إنه أجمل خبر سمعته في حياتي.. الحمد لله".

فظهرت الفرحة على وجه علياء أيضًا والتي احتضنت خديجة بعد أن قالت: "ألف مبروك يا حبيبتي".

- الله يبارك فيكِ.. متزعليش مني يا علياء.
- بالتأكيد.. فأنا مستحيل أن أزعل منكِ.

وجلس وليد مع خديجة وعلياء وقد انضم إليهم كريم أيضًا، وكانوا جميعهم يشعرون بسعادة كبيرة لما وصلت إليه الأمور بين وليد وخديجة، التي وعدها وليد بأنه سيتحدث مع أخيها ويطلبها للزواج منه بعدما تنتهي الامتحانات والتي لم يكن يتبقى عليها سوى أيام قليلة.

* * *

كانت الفوضى تعمّ في الغرفة حيث الألعاب المُلقاة على الأرض في كل مكان، وكان يجلس بينها طفلان أحدهما ولد في سن السادسة من عمره والذي كان يقوم بتفكيك قطار صغير، والأخرى فتاة في الخامسة من عمرها وكانت تمسك دمية صغيرة تشبهها في الشكل حيث الشعر

الأصفر والعينين الزرقاوتين، وبينما كانت الطفلة تمشط شعر لعبتها نظرت للولد وقالت له: "أريد أن أخبرك شيئًا".

- "ما هو؟"، قالها الولد دون أن ينظر لها وهو ما يزال يقوم بتفكيك قطاره الصغير، ثم قالت الفتاة بصوت رقيق هادئ: "أنا بحبك أوي.. وسأظل ألعب معك دائمًا".
- "أنا أيضًا"، قالها الولد هذه المرة بعد أن نظر إليها وقد لمعت عيناه التي تظهر فيها براءة الأطفال، ثم فُتح باب الغرفة ودخلت منه سيدة كبيرة قد وقفت للحظات تنظر للطفلين ثم قالت بصوت لطيف موجهة كلامها لذلك الولد: "لقد تركتك ترتاح ويجب عليك أن تقوم بعمل واجبك الآن يا حمزة".
- سوف أقوم به يا أمي.. ولكن اتركينى ألعب بعض الوقت أولًا
- اعمل واجبك أولًا ثم العب كما تشاء.

ثم توجهت السيدة للطفلة وقالت: "أنتِ أيضًا يا أمنية والدك قد عاد من العمل ويريدك".

- "حاضر يا خالتو"، قالتها الطفلة وبدا عليها الحزن قليلًا ثم وقفت واقتربت من الباب بخطوات بطيئة كأنها لا تريد أن

تخرج منه وتظل مكانها تلعب مع حمزة، ثم توقفت أمام الباب وقالت للسيدة: "ممكن أسألك سؤال؟".

- طبعًا يا حبيبتى.. اسألي.

- ماذا تفعل ماما عند ربنا؟ ومتى ستعود؟

لم تكن تتوقع السيدة أن تسمع مثل هذا السؤال فلمعت عيناها وضمت الطفلة في حضنها وقد نزلت دموعها من عينيها، ولكنها مسحتها بسرعة حتى لا تراها الطفلة ونظرت لحمزة طفلها الوحيد كأنها ترجوه ألا يخبرها بذلك ثم قالت: "ماما عند ربنا في الجنة.. أجمل مكان وبه أشياء رائعة.. وهي لن تعود ولكن نحن سوف نذهب لها".

فظهرت فرحة عارمة على وجه الطفلة ثم قالت بعفوية: "إذن.. متى سنذهب لها؟".

فضحكت السيدة وقالت: "بعدما تكبرين.. سنذهب إليها".

- يارب أكبر بسرعة لكي نذهب إلى ماما.

قالت الطفلة، فنظرت السيدة إليها بنظرات مليئة بالحنان والعطف ثم قالت لها: "يجب أن تذهبي الآن حتى لا يغضب والدك".

- حاضر.

ثم توجهت الطفلة لحمزة وقالت له قبل أن ترحل وهي تشير بيدها: "مع السلامة".

- "مع السلامة"، ردّ حمزة وقد أشار إليها بيده أيضًا ثم عاد إلى قطاره ليُكمل تفكيكه، ولكن أمه قد أمرته بلهجة شديدة أن يترك القطار ويقوم بعمل واجبه أولًا، وبالفعل نفذ حمزة ذلك وقد أخرج من شنطته كتاب الرياضيات.

* * *

عندما وصل حمزة بصحبة طارق إلى كندا كانت هناك سيارة خارج المطار في انتظارهما وكان سائقها هو المندوب الذي أرسلته الشركة التي تُقيم المؤتمر لاستقبالهما، والذي قدم ترحيبًا كبيرًا بهما وأثناء توصيله لهما للفندق الذي سيقيمان فيه أخبرهما كل شيء عن البرنامج الخاص بهما خلال تلك الزيارة والمواعيد والأماكن التي سيكون معهما فيها.

بعدها اتفق حمزة وطارق على أن يتقابلا في العشاء وصعد كلًا منهما إلى غرفته، وكان أول شيء فعله حمزة أنه ألقى بنفسه على السرير وأخرج هاتفه المحمول ليتصل بمريم التي طلبت منه أن يتصل بها بعد أن يصل

حتى تطمئن عليه، وظل حمزة يسمع ذلك الجرس الذي طالما ما كان يكرهه حيث إنه يكره الانتظار دائمًا ولكن لم يأته صوتها، فعاود الاتصال بها مرة أخرى ولكن هذه المرة جاءه صوت أنثوي آخر والذي قال: "الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا أو غير مُتاح".

فشعر حمزة بالانزعاج والضيق وبدأ يقلق على مريم ويتساءل في نفسه: "ماذا يكون قد حدث لها؟ لماذا لم ترد على الهاتف؟ ولماذا أغلقت هاتفها؟".

ولكن لم يكن بيده شيء يفعله سوى الانتظار حتى يتحدث إليها ويجد إجابات لكل هذه التساؤلات، فقام حمزة ودخل الحمام وظل واقفًا لربع ساعة تحت الدش حيث تتساقط عليه المياه ولكن تفكيره كله كان في مريم التي لم ترد على اتصاله، وبعدما خرج من الحمام ألقى بنفسه مرة أخرى على السرير وأغمض عينيه لكنه لم يستطع النوم، فأمسك هاتفه مرة أخرى وظل يتصل بمريم مرات عديدة ولكن في كل مرة كانت تجيبه صاحبة الصوت المميز وتخبره أن الهاتف الذي طلبه ربما يكون مغلقا أو غير متاح.

كان حمزة قد فقد الأمل في أن يسمع صوت مريم هذه الليلة وقد اشتد قلقه عليها فقام بغلق هاتفه ضيقًا مما حدث، وتذكر وعده لطارق بأن يقابله وقت العشاء ليتناولا الطعام معًا فارتدى ملابسه وقرر أن ينزل لمقابلته، وقبل أن ينزل كان قد أخرج مفكرته وكتب فيها: (ما أسوأ لحظات الانتظار.. وما أسوأ تلك اللحظة التي يظل فيها المرء بين الحين والآخر ينظر إلى هاتفه ليرى إن كان قد جاءه رسالة أو مكالمة من شخص ما يريد أن يسمع صوته ويطمئن عليه.. وما يؤلم حقًا هو أنه يجد هاتفه لم يستقبل أي رسالة أو مكالمة).

جلس حمزة مع طارق على نفس الطاولة وأمامهما الطعام ولكن لم يكن لحمزة رغبة في أن يأكل شيئًا، فسأله طارق عن سبب القلق الذي يبدو على وجهه فأخبره حمزة بكل شيء، وقد حاول طارق طمأنته بأنه ربما يكون الهاتف قد تعطل أو الشبكة ربما بها شيء ولكن لم تنجح تلك المحاولة ولم يقتنع حمزة بذلك، وبعد محاولات طارق الكثيرة قد نجح أخيرًا في أن يجعل حمزة يتناول معه الطعام وكان قد تحدث إليه عن المؤتمر وأهميته بالنسبة للشركة وأنهما يجب عليهما أن ينصبا كل تركيزهما على

المؤتمر، فأخبره حمزة أن ما حدث لن يؤثر على تركيزه وتحضيره للمؤتمر فارتاح طارق لما قاله حمزة ودعا الله أن يكون ذلك حقيقيًا.

* * *

كان علي يجلس في غرفته ويفكر في أمر كان يشغل ذهنه طوال الأيام القليلة السابقة منذ أن تحدث إليه الشيخ خالد وأخبره أنه يريد الزواج من أخته، فكان رجلًا يتميز بحسن خلقه وقدوة لجميع الإخوة الذين يحضرون معه الدروس الدينية، فهو شخص يثق فيه على أن يأتمنه على أخته لأنه سيتقي الله في معاملتها ولن يظلمها أبدًا فهكذا كانت صفاته حيث الكرم والعدل والتدين.

كما أن علي كان يفكر أيضًا في الشيخ طاهر الذي قد وقف بجواره هو وأخته بعد وفاة والديهما، وكان يرسل لهما الأموال كل شهر حتى يستطيعا أن يُكملا دراستهما فكان علي وأخته يعيشان من خلال تلك الأموال وبعض الأموال الأخرى التي يحصل عليها من إحدى الجمعيات الخيرية والتي كان يرأسها أيضًا الشيخ طاهر، فهو صاحب

الفضل الأكبر في مساعدته كما أنه كان يضع الشيخ خالد في مكانة عظيمة بالنسبة إليه ويعتبره ابنًا له، وربما يكون هو من حثه على اختيار أخته زوجة له.

كل ذلك كان ما يشغل تفكير علي والذي لم يعرف كيف سيتحدث مع أخته في ذلك الموضوع، كما أنه يخشى رفضها فيقع هو في موقف محرج مع الشيخين ولا يعرف حينها كيف سيواجههما، وأثناء تفكيره وهو جالس على سريره جاءه صوت أخته من خلف الباب تناديه ليتناولا الطعام بعد أن أعدته لهما.

جلس علي أمام أخته ليتناولا الطعام وأثناء ذلك كان ينظر إليها من الحين للآخر دون أن ينطق بكلمة، فكان ما يزال مترددًا ويخشى أن يتحدث معها في ذلك الأمر فدون سبب كان يشعر برفضها لهذا الموضوع وكان يعتقد أن السبب أنها تريد أن تكمل دراستها، ولكن الشيخ خالد قد وعده بأنه سيجعلها تُكمل دراستها بل وإنه سيحثها على ذلك.

فما الداعي للقلق؟!

كان علي يسأل نفسه، وقد لاحظت أخته شيئًا غريبًا لم تره من قبل في أخيها وهو ذلك القلق الذي يبدو عليه وعدم تناوله الطعام بالطريقة المعتاده فسألته: "ما الأمر؟".

- "نعم؟"، قال علي الذي لم يكن منتبهًا لسؤالها ويبدو أنه كان قد غرق في تفكير عميق فكررت أخته السؤال مرة أخرى: "ما الأمر؟".

صمت علي للحظات كان يفكر فيها كيف سيبدأ حديثه، ثم قال: "في الحقيقة إنه موضوع شديد الأهمية.. وهو خاص بكِ".

- خاص بي؟!
- نعم.
- "كيف؟"، قالت أخته وبدا عليها الاندهاش، فتحدث علي قائلًا: "لقد تحدث معي شخص ما وأخبرني أنه يريد الزواج منكِ".

* * *

كانت خديجة تجلس أمام أخيها وتنصت لكلامه باهتمام شديد خاصةً بعدما أخبرها أنه قد تحدث إليه شخص وأخبره أنه يريد الزواج منها،

وكانت قد ظهرت في ذهنها صورة وليد وقد تساءلت في نفسها: "متى تحدث وليد إلى علي؟ ولماذا لم يخبرني أنه قد تحدث إليه؟".

ولكن أخيها أكمل قائلًا: "إنه شخص متدين.. حسن الخُلق.. كريم.. مثقف.. يتقِي الله في كل شيء ويحبه الجميع ويقدره".

لم تكن خديجة تصدق ما تسمعه بأذنيها، فكيف استطاع وليد أن يؤثر في أخيها بهذه الدرجة؟! وكيف قد أعجب به علي بهذا القدر من مقابلة واحدة فقط؟! كانت خديجة تشعر بأن الله قد استجاب لدعائها وكانت تشكره في قلبها وقد شعرت بسعادة كبيرة تملأ كيانها، وقد ازداد وجهها نورًا وفرحًا عندما سمعت كلمات أخيها الأخيرة والذي قال: "وإنني لا أجد سببًا واحدًا يجعلني أن أرفضه ولكن يبقى رأيك أنتِ".

كانت خديجة تريد أن تنطقها بعلو صوتها وتخبره بل وتخبر الدنيا كلها أنها موافقة وأنها لا يمكنها أن ترفضه أبدًا، فهو مَن وجدت معه الأمان والعشق الحقيقي، هو الذي قد اختاره قلبها وعقلها أيضًا، هو الذي وعدها وقد أوفى بوعده.

وعندما رأى علي الفرحة في عيني أخته قد شعر بالطمأنينة والراحة، فغابت عنه مخاوفه وانتهى قلقه وشعر بأن الله قد وقف معه في ذلك

الموقف الصعب فقال: "إذن على بركة الله نحدد ميعادًا لنقرأ فيه الفاتحة وتتعارفا".

فهزت خديجة رأسها بالموافقة وقد بدا عليها الخجل، فقال علي: "سوف يسعد كثيرًا الشيخ خالد .. وليكتب الله لكِ السعادة معه".

* * *

كانت خديجة تبكي في غرفتها بعدما نهضت فجأة وتركت الطعام من يدها في حين كان علي مُندهشًا لهذا التصرف الغريب الذي فعلته أخته، لكنه لم يسألها عن السبب وقرر أن يتركها قليلًا ثم يتحدث إليها ثانية ويفهم منها سبب ما قامت بفعله.

لم تصدق خديجة كل ما حدث وكانت تشعر بأنها تحلم، فلا تعرف لماذا يكون القدر قد تآمر عليها بهذه الصورة؟! لماذا بعدما أعطاها الأمل والفرحة يأخذها بهذا الشكل ودون سبب؟! ماذا تكون قد ارتكبت من ذنوب حتى يعاقبها هكذا؟! وحتى لو كانت قد ارتكبت ذنوبًا لماذا لم يغفر لها؟! لماذا كل هذا الألم الذي يسببه لها؟!

لم تكن خديجة تعرف ما يجب عليها فعله، ولكنها دون تفكير وجدت نفسها قد أمسكت هاتفها وطلبت الرقم الذي تحفظه ولا تستطيع

تسجيله على هاتفها حتى جاءها صوته، ظلت لحظات لا تعرف فيها ماذا تقول فلم يكن لديها سوى دموعها وصوت بكائها الذي قد اخترق أذنيه فسألها وليد: " ما الأمر؟".

لكنها لم تجبه وبعد دقائق ظل فيها وليد معها ينتظر أن تخبره بأي شيء حتى قالت له بصوت هامس: "أريد رؤيتك ضروري؟".

-8-

انتهى المؤتمر وأثبت حمزة وطارق جدارتهما وشهد لهما الجميع بتفوق شركتهما مما جعلهم سعداء أثناء عودتهم من تلك الرحلة، إلا أن حمزة كان مشغولًا طوال الرحلة أثناء عودته من كندا في مريم التي لم يسمع صوتها خلال الأيام الماضية، وكان ما يزيد قلقه وخوفه أن هاتفها كان دائمًا مقفول أثناء اتصاله بها، وكان مُندهشًا أيضًا من عدم اتصالها به أو حتى إرسال أي رسالة إلكترونية تطمئنه فيها عن حالها أو لكي تطمئن عليه، فكان يأمل أن يجدها في انتظاره عندما يصل القاهرة.

ولكن عندما وصل حمزة ومعه طارق زميله لم يجد مريم في استقباله، لم يجد سوى "ميادة" زوجة طارق ومعها رضيعها والتي قد جاءت لاستقبال زوجها فألقى حمزة عليها التحية وقضى معهما دقائق قليلة حتى ذهبوا، ورغم أنه منذ سنين طويلة وهو يعيش بمفرده إلا أنها كانت المرة الأولى التي يشعر فيها بوحدته، فربما السبب في أنه قد شعر بمن يهتم بأمره ويشاركه في حياته، قد وجد من يتحدث معه يوميًا ويسأله عن أحواله، ولكن أين هي الآن؟! كان هذا السؤال الذي يدور في ذهن حمزة

ولم يكن باستطاعته أن يجد إجابة له، وظل حمزة واقفًا لدقائق لا يعرف إلى أين يتجه أو يذهب ولكنه قد اتخذ القرار أخيرًا فأوقف تاكسي وطلب منه أن يوصله للمهندسين.

صعد حمزة درجات السلم ولم يستخدم المصعد الكهربائي، ربما ليجد فرصة يستطيع أن يتراجع من خلالها إذا أراد ذلك، أو ربما كان خوفه أكبر من أن يمر الوقت به سريعًا ويجد نفسه أمام باب شقتها، ولكنه قد وجد نفسه بالفعل واقفًا أمام باب شقتها وبعد تردد ضغط على جرس الشقة فسمع صوت رنينه في الداخل، ولكن لم يأته رد فضغط مرة ثانية وثالثة ورابعة وظل يضغط لمرات عديدة حتى يأس من أن يرد عليه أحد أو أن تفتح مريم الباب وتجده أمامها.

ورغم حزنه من اختفائها هذا إلا أن قلقه وخوفه عليها كان أكبر، فمنذ لقائهما الأول ولم تغب عنه يومًا ولم تمر بضع ساعات إلا وكانا يتحدثان في الهاتف، فلماذا هذا الغياب والانقطاع المفاجئ؟! وأين يبحث عنها ليجدها؟! فهو لا يعرف عنها شيئًا لا يعرف عائلتها ولا أصدقائها، لا يعرف أي شخص قريب منها أو يمكنه أن يسأله عنها.

- "كيف لا أعرف عنها شيئًا؟!"، سأل حمزة نفسه مندهشًا رغم علمه أنه لم يكن في حاجة لذلك حتى أنه لم يطلب منها يومًا أن تحكي له عن نفسها أوعائلتها، ولم يكن حمزة يعرف عنها الكثير بل لم يكن يعرف عنها سوى بضع معلومات يستطيع الجميع معرفتها ولكنه لم يكن في حاجة لمعرفة المزيد عنها، فكان يكفيه فقط أن يعرف أنها هي التي يعشقها ويجد معها ذاته.

عاد حمزة لبيته حزينًا خائب الرجا وكان قد وجد كل شيء حوله له نفس الإحساس كأن جدران شقته تشعر به وتشاركه أحزانه، ولم لا؟ وهي التي عاشت معه منذ مولده وحتى الآن، فلم تضق به أو تمل منه يومًا عندما كان يتحدث إليها ويشكي همومه، وكذلك عندما كانت تشهد على سعادته ورقصه أمامها دون حياء أو خجل هي فقط من شهدت كل أسراره.

فأحيانًا قد يشعر بنا الجماد حين لا يشعر بنا بنو آدم، ولم يفعل حمزة شيئًا سوى أنه أخرج مفكرته وكتب فيها: (من يعتني بي؟).

ثم وضع سماعته حول أذنيه وقرر أن ينام على صوت موسيقاه التي قام بتشغيلها حتى يهرب بعيدًا، يهرب من أفكاره وهواجسه التي لم تتركه والتي كانت تحثه على سوء الظن والقلق الدائم.

كان حمزة قد سيطرت عليه الكآبة وبدا عليه الحزن على غير عادته ولم تكن ابتسامته تظهر سوى للحظات عندما يتحدث مع أحد لكي يُخفي أوجاعه وليظل محتفظًا بتنفيذ وصية والدته، ثم يعود الحزن مرة أخرى على وجهه، كما أنه أيضًا كان يُعاني من آلام تأتيه في رأسه وكان بسببها لا يستطع التركيز في عمله، ولولا طارق زميله الذي كان دائمًا ما يحمل عنه ثقل أعماله لكان حمزة قد واجه صعوبات ومشاكل كبيرة مع رؤسائه في العمل.

ولم يستطع حمزة أن ينسى مشاجرته مع أحد العملاء الذين يتعاملون مع الشركة والتي قد وصلت بينهما لتبادل الألفاظ السيئة أمام الموظفين ولولا طارق الذي حاول تهدئتهما لكان الشجار قد وصل لمرحلة الاشتباك بالأيدي، وبعدما هدأ الرجلان وفكر حمزة في الأمر كان قد شعر بخطأه وأنه المذنب في هذا الأمر فقرر ودون خجل أن يعتذر

للرجل، بل إنه أيضًا طلب منه أن يسامحه على خطأه وأخبره أن السبب في كل ذلك أنه يمر بظروف مؤلمة في حياته الخاصة ولم يكن يجب عليه أن يخلط بين عمله وحياته الخاصة، فتقبل الرجل الاعتذار بل وإنه قد اعتذر أيضًا على ما قاله من شتائم ومرّ هذا الموقف على خير ولم تتدهور الأحوال كما كانت تبدو في طريقها.

وفي وقت آخر من نفس اليوم تحدث طارق لحمزة وأخبره أنه لديه عمل سيقوم به في الإسكندرية، وأنها أيضًا فرصة مناسبة ليغير تلك الحالة التي يعيش فيها ويحاول أن يعود كما كان في السابق، وقد وجد حمزة تلك فرصة جيدة كما أخبره طارق فوافق على سفره إلى الإسكندرية.

عاد حمزة لبيته وكان قد قرر ألا يدع أحزانه تؤثر على حياته فهذه ليست المرة الأولى التي يواجه فيها مثل تلك المشاعر، ولن تكون الأخيرة.

لكنه أيضًا كان قد شعر باشتياق للأيام الخوالي ولأمه التي كانت دائمًا ما تخفف عنه همومه والتي كانت مصدر سعادته الحقيقية، فأخرج حمزة شنطة صغيرة من دولابه والتي كانت بها كل الصور الفوتوغرافية

القديمة التي تجمع كل ذكرياته خاصةً مع والدته، تلك الصور التي كانت لها مشاعر حقيقية يدق لها القلب غير الصور التي نحملها اليوم على هواتفنا وأجهزة الكمبيوتر.

مرت ساعة كاملة كان حمزة ينظر فيها لتلك الصور ويتذكر معها كل اللحظات التي كانت تحملها بداخلها، لم يكن يعرف ماذا عليه أن يفعل، هل يبتسم من أجل تلك اللحظات الجميلة؟ أم يبكي على رحيلها وعدم وجود فرصة يستطيع فيها أن يعيش مثلها؟

وبينما كانت دموعه تنزل على خده، أمسك حمزة مفكرته وبدأ يكتب فيها: (كم أشتاق لفراق ظل فيه الأحبة بعيدًا.. وكم أشتاق لدموع ذكرتني بمواقف ولحظات معهم.. وكم أشتاق لوسادة أحتضنتها كأنها جزء منهم.. فكم أشتاق لمشاعر افتقدتها!).

* * *

كان علي يمشي في خطوات متثاقلة وهو يفكر فيما سيقوله إذا سأله الشيخ عن موضوع الزواج من أخته، فلم يكن قد أخذ منها جوابًا نهائيًا أو رغبة أكيدة في ذلك الموضوع عندما تحدث إليها، وقد حيره ما فعلته من ذلك التصرف الغريب عندما دخلت غرفتها فجأة وأغلقت بابها

بعدما عرفت أن الشخص الذي قد تقدم للزواج بها هو الشيخ خالد المُعلم والإمام.

عندما دخل علي المسجد كان قد وجد مفاجأة لم يكن يتوقعها وهي وجود الشيخ طاهر الإمام الأكبر والمُعلم القائد، ذلك الرجل الذي يُدين علي إليه بفضل كبير لما يأتيه منه من خير كثير.

في بداية الأمر شعر علي بسعادة كبيرة لوجود الشيخ طاهر، ولكن سرعان ما اختفت تلك السعادة وحلّ محلها قلق شديد لما ظنّ علي أنه قد يكون السبب في مجيء الشيخ طاهر هذا اليوم، وهو أنه ربما يكون قد أخبره الشيخ خالد عن طلبه للزواج من أخته، فجاء الشيخ ليسمع ردّه أو يحثه على الموافقة.

وبالفعل لم يخب ظنه فبعد انتهاء الدرس الديني وبينما كان علي جالسًا مع الشيخين بعد ذهاب جميع الموجودين سأله الشيخ عن رده فيما طلب منه الشيخ خالد، ولم يكن علي باستطاعته أن يتسبب في شعور الشيخ طاهر بالحزن لرفض علي أمر يريده الشيخ فكانت المرة الأولى التي يكذب فيها طوال حياته عندما قال: "إنها موافقة بالطبع.. بل وإنها

سعيدة وواثقة تمامًا بما تختاره فضيلتك، ولكنها تحتاج فقط لبعض الوقت حتى تستعد لتحضيرات الزواج".

فشعر الشيخان بفرحة كبيرة كانت قد ظهرت على وجه كلًا منهما وقدم الشيخ طاهر التهاني لعلي وللشيخ خالد أيضًا ودعا الله أن يُتم ذلك ويوفقهما.

لم يفكر علي في هذا الذنب الذي قد ارتكبه عندما كذب، ولم يفكر في مدى كرهه الدائم للكذب والكذابين، لم يفكر في رأي أخته وموافقتها على هذا الأمر، لم يفكر في العقبات التي قد يواجهها في حالة رفض أخته للزواج من الشيخ خالد ولكن لماذا ترفض؟! فالشيخ خالد رجل تتمناه أي فتاة لتدينه وأخلاقه وكرمه، وكيف يمكنها هي أن تعرف ما هو الأفضل لها؟! فهو الأخ الأكبر والذي يعرف مصلحتها أكثر منها.. إنه وليّ أمرها.. لم يفكر سوى في أن يجد مخرجًا لذلك الموقف الذي وجد نفسه فيه عندما سأله الشيخ طاهر عن ردّه.. لم يفكر سوى في نفسه.

* * *

كانت خديجة تعتقد بأن الكون قد تآمر عليها وخدعها لما تواجهه من صعوبات وانكسارات في حياتها، وبعد عدة مرات كانت تنظر فيها

لساعتها أمسكت هاتفها المحمول وطلبت الرقم الذي كانت تحفظه ولا تجرؤ على تسجيله في الهاتف باسم صاحبه، حيث إنها كانت تخشى أن يرى علي هذا الاسم فيقوم بفتح تحقيقات واستجوابات لها.

وبعد لحظات لم يطل فيها الجرس جاءها صوت وليد: "آلو يا حبيبتي".

- "أين أنت؟"، قالتها خديجة بغضب على غير عادتها، فجاوبها وليد: "ثواني وهكون قدامك".

وبالفعل لم تمر سوى ثواني وكان وليد يقف أمامها ثم جلس على الكرسي المقابل لها بعد أن اعتذر على تأخيره، ثم قال: "إيه اللي حصل؟ قلقتيني".

ظل وليد جالسًا في صمت وهو يضع يديه على وجهه ويفكر فيما سيفعله بعد أن وجد نفسه أمام مشكلة كبيرة لم يتوقعها أبدًا بعدما أخبرته خديجة بكل شيء وكانت كلمات خديجة عندما أخبرته بطلب الشيخ للزواج منها وأن أخيها موافق على ذلك ويجده شخصًا مناسبًا ولا يوجد سبب لرفضه مثل صفعات يتلقاها وليد على وجهه والتي كانت كافية لقتله إذا تحققت.

ساد الصمت بينهما طويلًا وكأن كلًا منهما قد فقد النطق، ثم وقفت خديجة وطلبت من وليد أن يسيرا بعدما أخبرته أنها لم تعد تحتمل الجلوس، وبالفعل كانا يسيران في ذلك المكان الهادئ بجوار النيل وقد صاحبهما الصمت أيضًا حيث كان وليد يفكر فيما يجب عليه فعله، بينما كانت خديجة تفكر في ضعفها وعجزها في مواجهة مشكلاتها والاضطهاد الذي تجده من القدر فسالت دموعها رغمًا عنها، ولم يدر وليد كيف استطاع أن يفعل ما قام به عندما مدّ يده ليمسح دموع خديجة ثم ضمها إلى صدره واحتضنها بين ذراعيه، في حين كانت خديجة قد استسلمت لذلك الأمر ولم تمنعه فربما كانت في حاجة لهذا الدفء الذي وجدته بين أحضان وليد، والذي تحدث أخيرًا بنبرة واثقة فقال: "لا يوجد سوى حل واحد فقط".

- "ما هو؟!"، قالتها خديجة بلهفة كأنها وجدت طوق النجاة الذي سينقذها من الغرق في بحر الظلمات والأحزان الذي قد وجدت نفسها بين أمواجه، فجاوبها وليد: "يجب أن أقابل علي وأتحدث معه".

* * *

لم تتخل سلمى يومًا عن تلك الصفة التي عرفها الجميع بها بل إنها كانت قد أحبت كونها شخصية عنيدة، وقد امتنعت سلمى عن ذهابها للجامعة طوال الشهر الماضي منذ ذلك اليوم الذي تحدثت فيه إلى علي والذي قد كان لكلامه تأثير سلبي في نفسها، ورغم محاولات أصدقائها وعائلتها في معرفة السبب في هذا التغيير الذي قد لحق بها إلا أن أحدًا لم يصل لشيء، ولكن عندما بدأت الامتحانات وجاء موعد امتحانها الأول اضطرت سلمى للذهاب إلى الجامعة.

وكانت سلمى قد انشغلت كثيرًا بالتفكير في أمر آخر غير مذاكرتها وامتحاناتها وهو أن تتحدث مرة ثانية إلى علي لتعرِّفه على حقيقة شخصيتها محاولة الدفاع عن نفسها وشرفها، وبالفعل بعدما انتهى الامتحان لم تأبه بكل من حولها ولا بردة فعل علي التي لم تضع لها توقعًا فذهبت إليه مباشرة حيث كان يجلس في مكانه المعتاد، وعندما لم يكن يفصلهما سوى خطوة واحدة قالت: "أريد التحدث إليك".

فنظر إليها علي وقد جاء في ذهنه حديثهما الأول، والذي كان علي دائمًا ما يحاول نسيانه إلا أنه لم يستطع ذلك، كما أن مشاعره كانت متغيرة كلما تذكر حديثه مع تلك الفتاة حيث إنه كان يشعر في بعض الأوقات

بالندم عما قاله واتهامه لها وفي أحيان كثيرة كان يشعر بأنه لم يخطأ ويراها مذنبة حقًا، ولكن هذه المرة بعدما جاءته تطلب التحدث إليه بصورة لم يكن يتوقعها قرر أن يعطيها الفرصة لذلك، وعندما نظر إليها علي قد أدهشه مظهرها حتى تأكد بأنه كان على حق، وذلك حيث كانت ترتدي سلمى ملابس فضفاضة غير التي كانت ترتديها في السابق كما أنها كانت ترتدي حجابًا ولم تُظهر شعرها كما اعتاد الجميع أن يراها.

استجمعت سلمى قواها وأعادت ترتيب كلماتها ثم تحدثت قائلة: "الآن وبعد أن ارتديت الحجاب وأصبحت ملابسي واسعة.. يمكنك أن تتراجع على اتهامي بما قلته في حقي.. بل إنك ربما تصفني الآن بأنني المسلمة المؤمنة الصالحة.. ولكن دعني أخبرك أمرًا.. فإنني وإن كنت قد تغيرت من خلال مظهري الخارجي فأنا لم أتغير من الداخل.. بمعنى أن إيماني بالله والتقرب إليه والمحافظة على عباداتي لم يكن مرتبطًا بهذا الزي أبدًا.. فإذا كنت أصلي وأصوم الآن فهذا ما كنت أفعله في السابق أيضًا.. إذا كنت أساعد الفقراء وأقدم الصدقات فهذا ما كنت أفعله في السابق أيضًا.. ولكنني أردت أن أثبت لك عمليًا بأنك ومَن مثلك يصدرون أحكامهم على غيرهم من خلال المظهر فقط.. فإن الحديث الذي يدور

بينك وبين نفسك الآن هو ما أردته لك فربما يهديك الله فأنت حقًا من تحتاج تلك الهداية".

وفي حقيقة الأمر كان يدور بداخل علي حديث يبدو كصراع بين شخصين كلاهما هما علي نفسه، ولم يكن يتخيل علي أن يكون لتلك الكلمات التي سمعها من سلمى كل هذا التأثير عليه، فبدا كأنه تحول لشخص آخر فابتسم لها وقال: "وماذا الآن؟".

فازدادت ثقة سلمى بنفسها بعد أن نجحت في مخططها وقامت بخطوتها الثانية التي قد أعدت لها، فقامت سلمى بخلع حجابها وإزالته عن شعرها ثم سألت: "هل بعد أن قمت بخلع حجابي الآن يمكنك أن تتراجع مرة أخرى وتتهمني بأنني قد عدت فاسقة؟".

- "لا"، قالها علي بتلقائية غير مصطنعة وبصورة بدا فيها مقتنعًا بما قاله، فوجدتها سلمى فرصتها المناسبة لتلقي بآخر أوراقها فقالت: "إذن.. هل يمكنني بأن أحظى بفرصة نتعرف فيها على بعضنا البعض وأن تصبح بيننا علاقة يسودها الود والاحترام؟ فإنني أود أن أعترف لك بأنه رغم كل ما حدث فإعجابي بك ما زال قائمًا".

فابتسم علي ثم قال بجدية: "الحقيقة أنني لست مستعدًا لذلك الآن.. وهذا لا يعني رفضي نهائيًا لتلك الفكرة.. ولكن ربما سيأتي الوقت المناسب فيما بعد".

على الرغم من أن سلمى لم تحظ بتلك الفرصة التي كانت تتمناها إلا أنها قد تولد بداخلها الأمل في أنه ربما ستتحقق أمنيتها يومًا ما، كما شعرت بثقتها في نفسها وقد حظيت بطمأنينة لم تجدها من قبل فوجدت أن ذلك الوقت المناسب لارتدائها الحجاب وعدم التخلي عنه، كما قررت أن تعطي لتصرفاتها ومظهرها الخارجي أهمية لا تقل عن حقيقتها الداخلية فربما هذا هو السبيل الذي يمكنها من خلاله أن تجبر الناس على احترامها.

* * *

كان حمزة في طريقه للإسكندرية وكان من النوع الذي يفضل القيادة بسرعة نموذجية فلا يتعدى مؤشر سرعته الرقم مائة أبدًا، وأثناء مروره باستراحة موجودة على الطريق والتي كان بها مطعم ومقهى قرر حمزة أن يقف بسيارته قليلًا وينزل ليشرب قهوة حتى تزيد من تركيزه.

وبينما كان حمزة جالسًا يتناول القهوة وينظر إلى هاتفه المحمول ليتابع الأخبار على الإنترنت ويدخل ليرى بعض المواقع على الفيس بوك، كان قد لفت انتباهه شيء غريب في الصفحة الخاصة بشركته وهو أن الصفحة كانت تنشر صورة لأحد عملائها، وهو نفس الرجل الذي قد تشاجر معه حمزة بالأمس وكان مكتوب فوق الصورة "تتقدم شركة.... بخالص الأسى والعزاء للمهندس عبد العزيز الأحمدي"، فاتصل حمزة على الفور بطارق زميله ليسأله عن تفاصيل ذلك الخبر الموجود مع الصورة، وبينما كان حمزة يسمع تلك التفاصيل من طارق لم يستطع أن يمنع دموعه من النزول والتي كان سببها ما قاله طارق، والذي أخبره أن هذا الرجل قد توفي فجر اليوم في حادث على الطريق الصحراوي بعدما اصطدمت سيارته بإحدى عربات النقل التي كانت تحمل أسمنت.

بعد أن سيطر حمزة على دموعه ومسحها قرأ الفاتحة وقام بالدعاء لهذا الرجل أن يكتب له الله الجنة، ثم أخرج مفكرته وكتب: (يجب أن نُحسن اختيار كلماتنا وخاصةً التي نُنهي بها أحاديثنا مع الآخرين.. فلا نعلم إذا كان بإمكاننا الحديث معهم مرة أخرى أم لا؟ فالموت يأتي مفاجئًا

للجميع.. وحقًا نحن لا نريد سوى ترك مشاعر الحب والاحترام بيننا وبين الآخرين).

ثم صعد حمزة لسيارته وأكمل طريقه حتى وصل إلى الإسكندرية، ثم توجه إلى الفندق الذي كان قد اعتاد على الإقامة فيه والسبب في ذلك أنه كان يعشق منظر البحر الذي كان يراه من شرفة الغرفة التي يحجزها دائمًا، فكان لذلك المنظر جمال خاص وإحساس لم يعرفه حمزة سوى في هذا المكان.

مرّ اليومان سريعًا وانتهى حمزة من أعماله التي كان قد سافر من أجلها فقرر أن يقوم بزيارة الخالة فاطمة قبل عودته للقاهرة، تلك السيدة العجوز صديقة والدته والتي كانت دائمًا ما تحكي له عنها وعن حبها لها، والتي ظل حمزة يزورها لفترات بعد وفاة أمه ثم توقف عن تلك الزيارات بسبب انشغاله في عمله، ولكن قد جاءت إليه الفرصة هذه المرة لكي يزورها ويصل الأرحام كما كانت تحثه والدته دائمًا.

وبالفعل ذهب حمزة لزيارة الخالة فاطمة في منطقة العامرية حيث تعيش، وصعد إلى شقتها وقام بالطرق على الباب ولكن لم يفتح له أحد

ولم يأته رد حتى فقد الأمل في وجودها، ثم نزل إلى الشارع وسأل عنها الرجل العجوز صاحب محل البقالة الموجود أمام البيت، والذي أخبره أنها تقضي اليوم كله جالسة عند المقابر وتعود آخر الليل لتنام في بيتها.

فذهب حمزة إلى المقابر بعد أن وصف له ذلك الرجل مكانها وبالفعل قد وجدها جالسة على الأرض بجوار المقابر، فوضع حمزة يده على كتفها بعد أن جلس على ركبتيه بجانبها وقال: "إزيك يا خالة فاطمة".

فنظرت الخالة إليه طويلًا دون أن تنطق، فتأكد حمزة من حدسه حيث كان يتوقع أنها لم تتعرف عليه فقد كانت زيارته الأخيرة لها منذ أربع سنوات كما أنها قد كبرت في السن وضعف نظرها، فتحدث إليها حمزة ثانية وقال: "أنا حمزة يا خالتي.. ألا تتذكريني؟".

- "ابن الغالية"، قالتها الخالة وقد ضمت حمزة في حضنها وظلت تبكي حتى تأثر حمزة ونزلت دموعه أيضًا ثم قال: "سامحيني يا خالتي".
- على إيه يا ابني؟

- إني مقصر معكِ طوال الفترة الماضية.

- يابني الدنيا مشاغل.. وربنا يعين الناس على اللي فيها.

ومرّت لحظات كان حمزة يفكر في أمر ما، ثم تحدث قائلًا وهو يهمّ بالوقوف: "يجب أن تأتي معي يا خالة".

فقالت السيدة العجوز: "على فين يابني؟".

- البيت.

- هنا البيت بتاعي يابني.. أنا دلوقتي بعيش اليوم ومش طمعانة في إني أعيش يوم بعده.. هنا كل الحبايب اللي وحشوني.. أنا بتونِس بوجودي هنا معاهم.. بكلمهم ويكلموني.. بسمعهم ويسمعوني.. أنا بس كل اللي نفسي فيه وبرجوه من الرحمن إني ألقاهم وأشوفهم.

لم يتوقف حمزة عن البكاء أثناء سماعه لكلام الخالة فاطمة، وتركها بعد أن تأكد أنها لن تغادر مكانها ذلك، حتى الأموال التي عرضها حمزة

عليها لم تقبل أن تأخذها وطلبت منه أن يعطيها للفقراء الذين سوف يقابلهم في طريقه وما أكثرهم.

فعاد حمزة لسيارته وقد زاد حزنه مما رآه وسمعه من الخالة فاطمة التي كانت كلماتها موجعة بالنسبة له، وقبل أن ينطلق عائدًا للقاهرة أخرج مفكرته وكتب فيها: (العاقل هو من ينتظر الموت دائمًا ويستعد له).

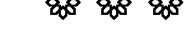

-9-

كان كريم يجلس في غرفته أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به وتبدو عليه الحيرة والتوتر من شيء ما، وبعد عدة مرات كان يكتب فيها شيئًا ثم يتراجع ويمسحه مرة أخرى، قرر أخيرًا ألا يتراجع ويستمر فيما ينوي فعله فكتب كلمة واحدة ثم قام بإرسالها: "إزيك".

على الجانب الآخر أصدر الهاتف تلك الرنة الخاصة بالرسائل الإلكترونية، فأمسكت علياء هاتفها لتقرأ الرسالة والتي وجدتها عبارة عن كلمة واحدة هي: "إزيك".

كما وجدت أن المُرسل هو كريم فابتسمت، ثم تساءلت في نفسها عن سبب تلك الابتسامة وكانت قد وجدت إجابتين لا تعرف أيهما الأصح، الأولى أنها كانت تتوقع أن تأتيها تلك الرسالة من كريم، والثانية أنها كانت تتمناها، فكتبت له ردًا على رسالته: "تمام.. وأنت؟".

ثم أرسلت تلك الرسالة القصيرة والتي قررت علياء ألا تزيدها عن تلك الكلمتين فقط حتى لا تُظهر لهفتها على المحادثة معه، وكذلك حتى لا يظن كريم أن مُحادثتها أمرًا سهلًا يمكن أن يفعله وقتما يشاء.

ولكنها لم تكن تعرف أن كريم سيكفيه هاتين الكلمتين ليبدأ الحوار وقد شعر بسعادة كبيرة لردها عليه بهذه السرعة، فأرسل رسالته الثانية والتي اندهشت علياء عند قراءتها وكادت لا تصدق عينيها مما تقرأه، فكان وليد قد أرسل لها: "أنا عارف إنك مُعجبة بيَّ.. زي ما أنا مُعجب بكِ.. وأنا مقدرش أقول إني بحبك لأن دي كلمة كبيرة مش بالسهل إنها تتقال.. لكن أقدر أقولك وده وعد مني إني هسعدك".

لم تكن علياء تعرف شعورها الحقيقي بعد قراءة هذه الرسالة، فهل ينبغي عليها أن تثق في كريم وكلماته وتسعد بذلك لأنها أخيرًا وجدت من يهتم بها ويوعدها بأنه سيسعدها، أم تخف من تلك الكلمات التي ربما تحمل شيئًا آخر تُخفيه بين حروفها وخصوصًا أنها ليست المرة الأولى التي قد سمعت فيها علياء مثل هذه الكلمات.

وبعد دقائق قليلة كان ينتظر فيها كريم أن يأتيه الرد على رسالته ولكن دون جدوى حيث إنه لم تأته أي رسائل بعد، قرر أن يكتب رسالته الأخيرة والتي كانت: "لن ألومِك على عدم ثقتك بي.. ولن ألومك إذا لم تصدقي تلك الكلمات التي مصدرها القلب.. ولكن ألا ترين أنه هناك أناس يستحقون ولو فرصة واحدة ليثبتوا فيها أنفسهم

ووعودهم؟! وإذا كُنتِ ترين ذلك فلا تحرميني من تلك الفرصة التي طالما ما كنت أبحث عنها".

كان لهذه الرسالة أثر كبير على تفكير علياء، والتي قررت منح كريم تلك الفرصة التي ينتظرها، بل والتي كانت هي تنتظرها أيضًا، فأرسلت له: "إنك الآن تمتلك تلك الفرصة.. فعليك أن تثبت لي أنك تستحقها".

لم يصدق كريم عينيه التي رأى بها تلك الرسالة وظهرت فرحة عارمة على وجهه، ثم ألقى بنفسه على السرير الذي كان بجواره واحتضن الوسادة الموجودة عليه واحتضنها بشدة ثم أغمض عينيه واستدعى من ذهنه صورة علياء التي ظهرت في مخيلته لحظتها.

* * *

كانت خديجة تجلس أمام أخيها علي ويبدو عليها توتر شديد لأنها تعلم أنه سيتحدث معها عن موضوع زواجها، وكانت تخشى الاتهامات التي ستتلقاها عندما يتحدث أخوها عن علاقتها بوليد والذي أصرّ على مقابلة أخيها والتحدث إليه، وخصوصًا أنها لم تتحدث إلى وليد ولم تعرف منه كيف جرت المقابلة، لذلك كان عليها الانتظار حتى تتبين الأمور أمامها.

بدأ علي حديثه بلطف شديد عندما أخبرها أنه لا يهمه سوى مصلحتها، وأنها أخته الوحيدة وكل ما تبقى له في الدنيا بعد وفاة والديه، لذلك فإنه لا يريد أن يخسرها أو تحدث مشكلة بينهما.

اطمئنت خديجة بعد سماعها لتلك الكلمات وشعرت بأن الأمور سوف تسير على ما يرام وكما تتمناها، ولكن سرعان ما تغيرت وجهة نظرها لذلك عندما سألها علي قائلًا: "أخبريني.. ماذا تعرفين عن الحب والزواج؟".

لم تكن خديجة تتوقع أبدًا أن تسمع مثل هذا السؤال وخاصة في بداية الحديث، فكانت تنتظر أن تسمع الأسئلة التقليدية التي تُقال في مثل تلك المواقف فلم يكن السؤال كيف بدأ التعارف بينك وبين وليد؟ منذ متى وأنتِ تعرفينه؟ ماذا تعرفين عنه؟ هل تثقين في مشاعرك تجاهه؟

ولكن قد قرر علي أن يبدأ من النهاية بالسؤال الأهم والأصعب، فازداد التوتر على وجه خديجة التي لا تعرف كيف يمكنها أن تجاوب على هذا السؤال، هل تتحدث عن مشاعرها تجاه وليد؟! هل تتحدث عن شعورها بالأمان معه وثقتها فيه؟! هل تتحدث عن احتوائه لها؟!

هل تتحدث عن سعادتها بجواره؟! هل تتحدث عن حالة العشق بينهما؟!

ولكن.. كيف؟!

هى تعلم يقينًا أن أخيها لن يعترف بكل ذلك، فهو يعتقد بأنه لا يوجد ما يسمى بالحب في الدين، وإنما يوجد المودة والرحمة بين الزوجين، يعتقد بأن اختيار الزوج أو الزوجة الصحيح يكون من خلال التدين والأخلاق فقط.

وهي لا تختلف معه في أن التدين وحُسن الأخلاق شرط أساسي وواجب.. ولكن ليس كافيًا إذا لم يكن التوافق والقبول موجودًا.. ليس كافيًا إذا لم يكن للقلب دوره بأن يشعر بكل احتياجاته في شريك الحياة.. ليس كافيًا إذا لم يكن الاختيار بإرادة حرة مطلقة.

وأخيرًا وافقت خديجة على أن تدخل اللعبة التي بدأها علي بسؤاله غير المتوقع فجاوبته بسؤال آخر: "ماذا ينبغي أن أعرف عن الحب والزواج؟".

لم يكن علي يتخيل أن أخته بهذا الذكاء ولكنه قد أعجبته طريقة اختيارها للإجابة فعاود سؤاله مرة أخرى وقال: "ما هي صفات الزوج الصالح؟".

- نفس صفات الزوجة الصالحة.

كانت خديجة قد جاوبت هذه المرة بسرعة وعفوية شديدة كأنها قد استعدت تمامًا لتلك الأسئلة مُسبقًا، فابتسم علي وسأل: "وما هي؟".

فنظرت إليه خديجة بثقة كأنها تُعلن التحدي ثم قالت: "هناك قواعد وصفات يتفق عليها الجميع ويجب توافرها عند اختيار الزوج أو الزوجة، ولكن.. هناك البعض قد يختلف فيهم شخص عن الآخر.. وبالنسبة لي فإنني وجدت وليد شخص يحترمني ويحترم ذاتي ويمكنني أن أثق فيه بأنه سيحميني ويحاول أن يُسعدني دائمًا".

لم يندهش علي من تلك الثقة التي تتحدث به أخته عن وليد، ذلك الشاب الذي قد ترك أثرًا طيبًا في نفسه منذ لقائهما.

فقد وجده علي شابًا طيبًا.. من عائلة كريمة قد تربى فيها على مبادئ الإسلام.. حسن الخُلق.. مُثقفًا.. متفوقًا في دراسته.. طموحًا جدًا.

ولكن كل ذلك لم يكن كافيًا بالنسبة لعلي بأن يشفع له الذنب الذي ارتكبه، وهو أن يتعرف بفتاة ويتحدث إليها ويخبرها أنه يحبها بل وأنه سمح لنفسه بأن يخرج معها ويمسك يدها دون أن يعرف أهلها أو أن تربطهما علاقة شرعية لا يُحرمها الدين، لكنه كان مُعجبًا أيضًا بشجاعته وصراحته عندما أخبره بكل ذلك بإرادته الحرة.

وبعد لحظات ظل فيها الصمت بينهما تحدث علي قائلًا: "سأكون صريحًا معك، إنني وجدت وليد شخصًا جيدًا حقًا.. لكنه ليس مناسبًا لكِ.. وأنا أرفضه".

- "لكنني أحبه"، قالتها خديجة بتلقائية ولم تستطع أن تمنع نفسها من أن تنطق ذلك، فنظر إليها علي بغضب شديد وقال بعصبية: "لا أريد أن أسمع هذه الكلمة مرة أخرى"، ثم صمت للحظات وأكمل: "أنا وليّ أمرك وأعلم ما هي مصلحتك، لذلك.. فإنني قد وافقت على زواج الشيخ خالد منكِ.. وسوف يكون الزفاف يوم الخميس المُقبل".

ثم نهض علي بعدما قال ذلك، ليتركها وحيدة تجلس مُنهمرة في البكاء لا تعرف لماذا يحدث لها كل ذلك؟!

جلست خديجة وحيدة لا يشاركها أحد في أحزانها ولا تجد من تستنجد به حيث أنه كان من الصعب عليها أن تتحدث مع وليد مرة أخرى بعدما أخذ علي هاتفها ومنعها من استخدامه، فظلت خديجة تبكي وهي تتساءل بصوت لم يسمعه غيرها: "لماذا أصبح مُحرمًا عليّ أن أسعد بحياتي؟!".

* * *

كان حمزة جالسًا على كرسيه ويضع سماعته في أذنيه التي قام بتوصيلها بهاتفه المحمول، وكان يتمايل ويهزّ رأسه مُتأثرًا بالموسيقى والأغاني التي كان يستمع إليها، ولكنه توقف عن ذلك فجأة بعدما تداخلت أصوات أخرى في أذنيه فخلع إحدى السماعتين فسمع طرقًا على باب شقته.

لم يصدق حمزة عينيه بعدما فتح باب شقته ووجد مريم واقفة أمامه ويبدو على وجهها تعابير الخجل، فكان قد بدأ يعتاد على غيابها ويحاول أن يعود لحياته كما كانت من قبل، ولكن بعدما عادت ماذا سيفعل؟!

كانت الأفكار والتساؤلات كلها تدور في ذهن حمزة في نفس الوقت كأنها تتسابق على أن يختار منها.

هل يضمها في حضنه ويفرح بعودتها؟!

هل يتوجه إليها باللوم الشديد على غيابها دون سبب؟!

هل يُغلق الباب في وجهها ويُعلن رفضه مقابلتها؟!

كانت الأفكار والتساؤلات كثيرة، ولكن قد قرر حمزة أن يفعل شيئًا آخر، وهو اللاشيء، فلم يُظهر أي تعابير لرؤيتها مرة أخرى بل إنه لم ينطق حتى بكلمة واحدة، فكان كل ما فعله أنه تحرك قليلًا مُبتعدًا عن الباب ليدعوها للدخول، فدخلت مريم في صمت تام دون أن تنطق هي الأخرى ثم أغلق حمزة الباب خلفها.

جلست مريم على الأريكة وجلس حمزة أمامها على الكرسي وظلا يتبادلان النظرات دون أن ينطق أحدهما بكلمة، لكن في نفس الوقت كانت تُقال مئات الكلمات ولكن بداخل كل منهما.

كانت مريم تتحدث في نفسها وتتساءل: "هل سيغفر لي حمزة ويسامحني على غيابي؟ هل أحكي له كل ما مررت به لأبرئ نفسي أمامه؟ هل ما بدا عليه برود حقيقي يشعر به حمزة أم أنه يتظاهر فقط بهذا الشعور كتعبير عن غضبه؟ هل... هل... هل...؟".

بينما كان حمزة يتحدث قائلًا بصوت غير مسموع: "كم كنت أشتاق لرؤيتها بعد تلك الفترة الطويلة التي غابت فيها؟! لماذا لم تنطق بكلمة واحدة حتى الآن لتبرر غيابها؟! ما هذه السعادة التي ملأت قلبي فجأة رغم غضبي منها؟! كم هي جميلة حقًا؟!".

ولكن أخيرًا قررت مريم أن تُعلن المشاركة في حديث علني فقالت بصوت يبدو فيه حزن كبير: "وحشتني".

رغم أنها كلمة واحدة فقط هي التي نطقت بها مريم، إلا أنها كانت كافية لتمحي كل الغضب والضيق الذي كان يشعر به حمزة بداخله، كانت كافية لتعيد إليه حياته مرة أخرى، تلك الحياة التي شعر فيها بذاته وبقيمته وذلك بوجود مريم بجواره، والتي أصبحت سببًا يحيا من أجله.

- أنتِ وحشتيني أكتر.

لم يدر حمزة كيف قالها، ولا يعرف ما إذا كان هو الذي قالها أم شيء آخر بداخله يتحكم في حواسه، لكنه في كلتا الحالتين كان راضيًا عما نطق به.

ولم تدر مريم بنفسها عندما نزلت دموعها فجأة بتلقائية غير مصطنعة لما شعرت به، فكانت طوال فترة غيابها لم تشعر لحظة واحدة بهذا الأمان

الذي تشعر به في تلك اللحظات أثناء وجودها مع حمزة، لم تشعر بنبضات قلبها التي تدق فرحًا بالحياة سوى معه في هذه اللحظات.

اقترب حمزة من مريم وجلس بجوارها على الأريكة، ولم يفعل ما كان ينويه عند لقائها، فلم يلمها، ولم يُظهر غضبه، ولم يُملِ شروطه للبقاء معها، لم يسألها عن سبب غيابها، لم يسألها عن عدم اتصالها به، لقد نسى كل ذلك ولم يفعل سوى شيء واحد، وهو أنه مدّ يديه ليمسح دموعها ثم ضمها إلى صدره.

تلاقت أرواحهما في مكان يبدو كالجنة، واندمج الجسدان مع بعضهما البعض كأنهما جسد واحد، ودارت الأحاديث بينهما ليس بالكلمات عن طريق اللسان ولكن كانت أحاديث صامتة قد نطق بها جسد كل منهما عندما كانا يتداخلان ويتفاعلان كأنهما أمواج تُداعب رمال الشاطئ.

شعر كلًا منهما بنشوة لم يكن يتخيلها من قبل، كانت نشوة العشق، نشوة الانتصار على هذا الكون بكل ما فيه من صعاب قد يواجهها أي مخلوق يعيش على أرضه، نشوة مَن قهر كل شيء وأصبح وحيدًا يملك كل شيء، هكذا كانا يشعران.

* * *

كانت علياء قد شعرت بصدمة كبيرة عندما دخلت بيتها ووجدت والدتها مُلقاة على الأرض وقد أغمى عليها، ولم تعرف ماذا يجب عليها أن تفعل، فوجدت نفسها دون أن تدرى تُخرج هاتفها من شنطتها وتتصل بكريم لتستنجد به، ورغم بكائها وحالة الانهيار التي قد بدأت تسيطر عليها إلا أنها استطاعت أن تُخبره بما حدث ووصفت له عنوانها.

كان كريم قد كتب العنوان في ورقة ونزل مُسرعًا ليتجه لمنزل علياء، وأثناء طريقه إليها بعدما ركب تاكسي كان يفكر فيما حدث وهو لا يعرف ما هي حقيقة شعوره لذلك، فكان يشعر بقلق شديد وخوف على علياء التي كلمته وهي في حالة ضعف وبكاء وكذلك كان قلقًا على والدتها، لكنه في نفس الوقت كان يشعر بسعاده لاتصالها به وطلبها لمساعدته، كان سعيدًا بأنه أول شخص قد جاء في ذهنها لتستنجد به.

فكم هو جميل ذلك الشعور بأنك الشخص الأول الذي يظهر في ذهن من تحبه!

عندما وصل كريم لبيت علياء كان قد وجد بعض الجيران موجودين معها وقد ساعدوها على استعادة والدتها لوعيها مرة أخرى، وبعد أن اطمأن الجميع على والدة علياء وهمّوا بالرحيل تقدم إليهم كريم بالشكر

على مساعدتهم، فكان يشعر بمسؤليته تجاه علياء ووالدتها كأنه رجل البيت.

وكانت علياء قد أخبرته في أحاديثهما السابقة أن والدها قد توفي منذ خمس سنوات، وأنها الابنة الوحيدة وتعيش مع أمها بمفردها دون أقارب يسألون عنهما أو يصلوا بهما الأرحام، وأن والدتها رفضت الزواج بعد وفاة والدها وكرست نفسها لتربيتها، فكانت قد اشترت ماكينة خياطة لتعمل عليها في البيت فأصبح لها زبائن كثيرون تقوم لهم بتفصيل وتصميم ملابسهم، وكان يشهد لها الجميع بكفاحها ويبدون إعجابهم بها حتى أنها قد تم تكريمها أكثر من مرة بالأم المثالية في المسابقة التي كانت تقوم بها إحدى الجمعيات التي تحث المرأة على حقوقها.

تحدث كريم إلى والدة علياء وبعدما اطمأن عليها طلب منها أن تعتبره ابنًا لها، كما أخبرها أن لعلياء منزلة كبيرة في قلبه وأنه لن يتخلى عنها أبدًا سواء في مشكلاتها وأحزانها أو في أوقات سعادتها وفرحها، فابتسمت إليه والدة علياء وقد شعرت ناحيته بالطمأنينة والمحبة منذ أن رأته.

بعد دقائق قضاها كريم في الحديث مع علياء ووالدتها استأذن ليرحل على الرغم من أنه كان يتمنى البقاء وألا يُغادر أبدًا، لكنه لم يكن يوجد سبب لبقائه لوقت آخر، فشكرته علياء على كلامه وعلى استجابته لها، وأخبرته أنها لم تجد أحدًا تثق فيه وتطلب منه المساعدة غيره فابتسم كريم وقال: "لقد وعدتك بأنني سأسعدك ولن أتخلى عنكِ يومًا.. وأستطيع أن أوفي بوعدي دائمًا".

ابتسمت علياء وسألته: "هل ذلك ثقة أم غرور؟".

- "بالتأكيد غرور"، قالها كريم مازحًا فضحكا معًا واستطاع أن يُنسيها أحزانها وأن يُزيح عنها التوتر لتعود إليها ضحكتها مرة أخرى.

خرج كريم عائدًا لبيته وهو يشعر بسعادة كبيرة للقائه بعلياء وقربه منها وكان يُرجع الفضل في كل ذلك لهذا الموقف الذي شاء القدر أن يحدث بهذه السرعة ودون ترتيبات، فرغم محاولاته الكثيرة للقائها والخروج معها إلا أنها كانت تعتذر وترفض دائمًا حتى جاءت تلك اللحظة التي التقى بها حتى لو كانت الظروف مختلفة عما كان يريدها.

فبالطبع لم يكن لقاءً رومانسيًا كما كان يتمناه كريم إلا أنه كان يكفيه النظر لعينيها ورؤيتها أمامه، فإن العاشق الحقيقي لا يهمه سوى رؤية حبيبه أيًا كانت الظروف والأجواء المُحيطة بهما.

في نفس اليوم وبعد أن اطمأنت علياء على والدتها وتركتها بعدما غلب عليها النوم، دخلت علياء غرفتها وجلست على سريرها وظلت تفكر في تلك اللحظات التي كان كريم قريبًا منها، كانت مندهشة لأنه أول شخص قد جاء في مخيلتها في ذلك الموقف وهو الوحيد الذي طلبت منه المساعدة، ولكنها لم تندهش من استجابته السريعة ومجيئه إليها تلبية لطلبها فهي قد رأت في عينيه منذ لقائهما الأول شيئًا عميقًا لا تستطيع وصفه بالكلمات، كما أنها الآن باتت متأكدة من أنه قد استحق ثقتها وأثبت له جدارتها.

لم تكن علياء تتخيل أنها من قامت بهذا الأمر وهو أنه أمسكت هاتفها وقامت بإرسال رسالة إلى كريم كانت كلماتها: "إذا أخبرتك أنني أريد أن أخرج معك غدًا.. فأين ستأخذني؟".

❁ ❁ ❁

-10-

كان حمزة قد ذهب لعمله وقد عادت إليه سعادته مرة أخرى، فقد لاحظ عليه زملاؤه تقلب أحواله خلال الفترة السابقة وكانوا يتساءلون في أنفسهم عن سبب ذلك ولكن لم يكن يجرؤ أحد على أن يسأله، سوى طارق زميله المُقرب إليه بل وصديقه الوحيد الذي كان يعرف عنه كل شيء.

وعلى غير عادته لم يأت طارق للعمل هذا اليوم، فاندهش حمزة لذلك الأمر حيث إنه يعرف جيدًا أن طارق من الأشخاص الذين يُكرسون العمل ولا يغيب أبدًا إلا إذا كانت لديه ظروف تُجبره على ذلك، فشعر حمزة بالقلق على زميله فقرر أن يتصل به للاطمئنان عليه، وكان قد وجده بصحة جيدة ولكن زوجته هي التي كانت تعاني من مرض شديد، وعرف أيضا أنه سيقوم لها الأطباء بإجراء عملية في مساء هذا اليوم.

ذهب حمزة ليقف مع صديقه ويسانده في المحنة التي يمر بها ولكي يطمئن على زوجته، فطالما ما كان يشاركه طارق في كل شيء وقد حان وقت ردّ الجميل بل الواجب كما كان يعتقد حمزة.

كان حمزة يجلس بجوار صديقه وبين الحين والآخر كان يُربت على كتفه ويُطمئنه بأن زوجته سوف تستعيد صحتها بإذن الله، بينما كان طارق يُثبت عينيه على ذلك الباب الذي يُخفي خلفه ما يقوم به الأطباء مع زوجته، حيث يقومون لها بإجراء عملية في القلب لاستئصال الورم الذي كانت تعاني منه.

كان طارق ينظر للباب وينتظر أن تخرج زوجته ويراها مرة أخرى وقد استعادت صحتها، فلم يتوقف عن الدعاء وقد لجأ لله الواحد القادر على كل شيء، وكان يتساءل في نفسه: "ماذا لو لم يُقدر الله نجاتها؟".

ولكنه كان يثق في رحمة الله، وخصوصًا أن زوجته كانت تستحق تلك الرحمة فهي التي علمته معنى الإيمان بالله في المصائب قبل الفرح، هي التي علمته حب الخير والكرم، هي التي علمته كل شيء.

وقد استجاب الله لدعائه حيث خرج الأطباء وعلى وجوههم الفرح ليُطمئنوا طارق أن زوجته بخير ولا تحتاج سوى بضع دقائق حتى تستعيد وعيها من المُخدر، فسجد طارق على الأرض شاكرًا لله على نعمه وفضله بينما كان حمزة يمسح دموعه متأثرًا بما يشاهده من زميله.

وبعد ساعة واحدة كان يجلس طارق مع زوجته ويتحدث معها وهو يمسك يدها ويضمها لصدره، في حين كان حمزة يُتابع ذلك بابتسامته وأخبرهم مازحًا أنه يحسدهم على ذلك الحب الموجود بينهما، فضحك الجميع وعاد الاطمئنان ليملأ القلوب مرة أخرى.

وبعد أن اطمئن حمزة على زوجة طارق استأذن ليرحل وقد شكره طارق على اهتمامه ووقوفه بجواره، فأخبره حمزة أن علاقتهما ليست مجرد صداقة عمل بل إنها علاقة إخوة حقيقية.

ركب حمزة سيارته وظل جالسًا لدقائق يفكر في تلك العلاقة التي كانت بين طارق وزوجته، وكم كان طارق يتألم أثناء إجراء زوجته للعملية الجراحية؟! ولكنه عندما علم أنها بخير كان قد استعاد نفسه وحياته مرة أخرى.

ابتسم حمزة ابتسامة تحمل معانٍ كثيرة بداخله وقد حضرت في ذهنه صورة مريم وهي بين أحضانه في لحظة من لحظات العشق الصادق، كما شعر بأنه قد أحب الحب الذي يجعل المرء ضعيفًا وقويًا في نفس الوقت، وقبل أن ينطلق أخرج مفكرته وكتب فيها: (مهما اشتد عليك الألم، فحتمًا سيأتي الوقت الذي يتوقف فيه ذلك الألم، ولكن حتى يأتي اصبر ودع نفسك بين يدي الله).

* * *

عندما خرجت علياء من محطة مترو الأوبرا وجدت كريم واقفًا في انتظارها فتصافحا ثم سألته: "إلى أين سنذهب؟".

- "إنها مفاجأة"، قال كريم وهو يغمز لها بعينه اليمنى، فابتسمت علياء قبل أن تقول: "أظن أنها ستكون رائعة".

فظلا يمشيان معًا حوالي عشر دقائق حتى توقف كريم أمام محل يبيع الزهور فظنت علياء أنه سيشتري لها الورود، وعندما دخلت علياء المحل وجدت فيه رجل في أواخر الخمسينيات من عمره وامرأة كانت أصغر منه ببضع سنوات والتي كانت زوجته وتساعده في عمله، فاقتربت تلك السيدة من علياء وعلى وجهها سعادة كبيرة وقدمت

ترحابًا كبيرًا بها عندما تحدث كريم قائلًا: "إنها علياء التي حدثتكما عنها".

فظهرت علامات الاندهاش على وجه علياء وهي تنظر لكريم مستفسرة عن الأمر فوجدته يبتسم لها، ثم قال كريم مشيرًا لتلك السيدة والتي كانت قد باتت بالقرب من علياء: "إنها والدتي".

لم تكن علياء تتخيل أن يأخذها كريم لزيارة والديه، بل إنها لم تكن تتخيل أيضًا أن كريم قد يخبر والديه بعلاقتهما ويحكي لهما كل مواقفهما معًا، هذا ما عرفته علياء عندما تحدثت مع والديه اللذين قدما لها ترحابًا كبيرًا وبدا عليهما السعادة لرؤيتها.

مضت علياء أكثر من ساعة كانت تتحدث فيها مع تلك العائلة وقد شاركتهما لحظات جميلة شعرت فيها أنها وسط عائلتها التي كانت تتمنى أن تحظى بمثلها يومًا حيث المحبة والأمان، وحكى والد كريم بعض ذكريات الطفولة المضحكة الخاصة بابنه وقدمت إليها والدته الحلوى التي صنعتها بنفسها من أجلها، بعد ذلك أخذها كريم وذهبا إلى مكان آخر بعدما أهداها والداه وردًا طبيعيًا ذا رائحة عطرة وجميلة.

كانت المفاجآت تتوالى لعلياء حيث أخذها كريم في رحلة لمدة ساعة في نهر النيل بعدما استأجر "فلوكة" كانت لإحدى أصدقاء والده والذي كان يعتبره عمه، وقضيا معًا حوالي ساعة كانا يتحدثان ويضحكان فيها فحكى كلًا منها للآخر مواقف وذكريات جميلة لم تذهب في طي النسيان.

شعرت علياء في هذا اليوم بسعادة لم تشعر في حياتها بمثلها، كما أنها اعترفت لكريم بإعجابها به بل وأخبرته أن إعجابها به قد ازداد بعد ذلك اليوم، ولكن كريم قد قال لها شيئًا لم تفهمه علياء وقتها لكنها بعد أن عادت وفكرت فيما قاله لها كريم قد اطمأنت أكثر ناحيته وزادت ثقتها فيه، وكان كريم قد قال لها: "لم أشعر يومًا مع أي فتاة قد عرفتها طوال حياتي بمثل الشعور الذي أجده معك، ولكن أريدك أن تعلمي شيئًا مهمًا وهو.. أنني رغم إعجابي الكبير بكِ إلا أنني أحتاج لبعض الوقت كي أقول تلك الكلمة التي أحلم بأن أقولها يومًا والتي أتمنى أن أقولها لكِ أنتِ".

* * *

كان حمزة يقود سيارته في طريق غريب ضيق وتحيط به الصحراء من الجانبين وكانت موسيقاه الصاخبة تصدر من تسجيل السيارة بصوت عالٍ، وفجأة اصطدمت السيارة بشيء ما ودارت حول نفسها حتى توقفت على الجانب الأيمن من الطريق وسط الرمال، وقد وجد حمزة نفسه قد نجا من الموت بأعجوبة.

نزل حمزة من السيارة وظل ينظر حوله ولكنه لم ير شيئًا بسبب الظلام القاتم الذي كان يملأ المكان، حتى وجد ضوءًا أبيض شديدًا ينبعث من مكان خلف الجبل على بعد مئات الخطوات من مكانه، فسار حمزة نحو ذلك الضوء متمنيًا أن يجد من يساعده.

وصل حمزة إلى مكان الضوء وقد بدا عليه اندهاش شديد عندما رأى مصدر هذا الضوء الذي يملأ المكان فتاة، والتي كانت تقف على شاطئ بحر قد وجده حمزة في هذا المكان فزاد اندهاشه من ذلك المشهد الغريب الذي لا يستوعبه عقل، ثم مدت تلك الفتاة يدها لحمزة ودون إرادة منه مد يده هو الآخر.

أخذته الفتاة ودخلت به في البحر، وظلا يسيران بداخله وقد استسلم حمزة تمامًا لتلك الفتاة التي كانت تقوده إلى مكان لا يدرى حمزة ما هو، وكان حمزة يشعر برغبة داخله جعلته يسعد بذلك ويستمتع بقربها منه.

وكان الغريب أن حمزة قد وجد نفسه يمشي على المياه بجانب تلك الفتاة كالأساطير التي يسمع عنها أو أفلام الفانتازيا التي يشاهدها، حتى توقفت الفتاة فوقف حمزة أيضًا ثم أمسكت يديه ووضعتها حول خصرها بينما هي وضعت يدها حول عنقه وظلت تتمايل ببطء فتمايل حمزة أيضًا وبدءا يرقصان وهما واقفان على المياه وسط ذلك البحر وعلى وجههما ابتسامة عريضة، فشعر حمزة كأنها أخذته إلى الجنة فترك نفسه لها.

ولكنه فجأة ودون مقدمات وجد حمزة نفسه ينسحب للأسفل كأن المياه قررت أن تبتلعه، فنظر لتلك الفتاة لكي يستنجد بها لكنه وجدها قد اختفت تمامًا.

بدأت تسحبه المياه لأسفل وهو يقاوم بكل ما يملك من قوة، لكنه تذكر أنه لا يجيد السباحة فزاد فزعه، وكذلك مَن يستطع أن يُقارن قوته بقوة البحر؟!

وجد حمزة نفسه لا يستطيع التنفس وقد غطته المياه تمامًا وبدأ ينجرف في أعماقها حتى شعر بأن الموت قد أصبح قريبًا جدًا.

شعر بأن للموت قسوة لم يكن يتخيلها من قبل!

حاول أن يُجاهد ويستنجد بأي شيء لكن دون جدوى فكان وحيدًا أعزلًا في تلك المحنة التي يمر بها، فوجد نفسه غير قادر على فعل شيء وشعر بأن النهاية آتية لا محالة بعد أن توقف قلبه عن النبض.

فأغمض حمزة عينيه وترك نفسه مُستسلمًا للبحر.. بل للموت!

استيقظ حمزة من نومه مفزوعًا بعدما رأى كابوسًا غريبًا قد انتهى بموته غريقًا بعدما استسلم لفتاة أخذته لهذا الموت.

ظل حمزة يردد الشهادتين وبعض الآيات القرآنية حتى عاد لهدوئه وانتظمت دقات قلبه مرة أخرى، ثم مدّ يده وأمسك بزجاجة مياه موضوعة بجواره على طاولة صغيرة وشرب منها، فرغم أن المياه كادت تتسبب في موته في ذلك الكابوس إلا أنها أيضًا مصدر للحياة، ثم نظر حمزة لساعته فوجدها الخامسة صباحًا فنهض تاركًا سريره ليتوضأ ويصلي الفجر.

بعدما انتهى حمزة من صلاته سمع رنين هاتفه فاندهش وقال لنفسه: "من الذي يتصل في هذا الوقت؟! اللهم اجعله خيرًا".

فوجد ذلك الاسم الذي يعشقه هو الذي يظهر على شاشة هاتفه وبجواره صورة لمريم وهي تبتسم، فضغط حمزة على زر الردّ ثم قال: "ما الذي أيقظك باكرًا هكذا؟".

- "أنا لم أنم حتى الآن"، قالتها مريم بصوتها الرقيق، فقال حمزة: "بالتأكيد تفكرين فيّ".
- "ربما"، قالتها مريم ثم ضحكت بصوت هادئ، ثم أكملت: "أريد مقابلتك الليلة".
- يمكنني أن آتي إليكِ الآن إذا أردتِ ذلك.
- "بحبك"، قالتها مريم بطريقة لم يعتدها حمزة من قبل، بطريقة كانت تحمل شوقًا كبيرًا كأنها تقال بلحن خاص على أنغام موسيقى هادئة، فقال حمزة: "أنا بحبك أكثر".

قالها حمزة ليس مجاملة وإنما بمشاعر صادقة، ثم قالت مريم: "السابعة مساءً في جروبي".

- تمام.

- خلي بالك من نفسك.

- حاضر وأنتِ كمان.

وبعدما انتهت تلك المكالمة ألقى حمزة بنفسه على السرير واحتضن وسادته وأغمض عينيه وهو يتخيل مريم هي التي بين أحضانه بدلًا من تلك الوسادة وعلى وجهها تلك الابتسامة التي تظهر حين يُقبلها.

* * *

كان الأصدقاء الأربعة يجلسون في أحد المقاهي وعلى وجوههم حزن وقلق واضح متأثرين بالمشكلة التي كانوا يتناقشون ويفكرون في إيجاد حل لها، وهي رفض علي لزواج خديجة من وليد رغم أنه لم يجد سببًا حقيقيًا لرفضه بل إنه أيضًا يجبر خديجة على الزواج من ذلك الشيخ الذي طلبها للزواج.

وكان وليد قد أبدى رأيه قائلًا: "يجب أن أتحدث مع علي مرة أخرى.. فربما يستجيب بعدها".

- "لا أحد يعرف علي مثلي فإن عِناده يفوق كل شيء"، قالت خديجة، وبدا عليها عدم الاقتناع بالرأي الذي قاله وليد،

فتحدثت علياء بعد تردد كبير قائلة: "لا يوجد أمامنا سوى حل واحد".

فتوجهت إليها الأنظار جميعها راجية أن يكون هذا الحل هو ما يحتاجونه فعلًا ثم أكملت علياء: "يجب أن يتزوج وليد من خديجة، ونضع علي أمام الأمر الواقع، فلا يستطيع وقتها أن يجبرها على زواجها من ذلك الشيخ صديقه".

فتحدث كريم مقاطعًا علياء قائلًا: "إن هذا هو الحل الأسوأ.. ويعتبر هروبًا من المواجهة".

- "ولكن هل تعرف حلًا آخر؟!"، تساءلت علياء مستنكرة رد كريم، فظل الصمت ثواني بينهم حتى قطعه كريم قائلًا: "إن الحل الأمثل هو التحدث إلى الشيخ طاهر.. فهو المتحكم الأول في علي والذي لا يمكن أن يرفض له أمرًا".
- "مستحيل"، قالتها خديجة رافضة لتلك الفكرة تمامًا، فسألها وليد: "لماذا؟".
- "إن الشيخ طاهر ليس صالحًا كما تعتقدون أن يكون عليه أي شيخ، إنه يُخفي حقيقة أخرى وراء ادعائه أنه شيخ ولا يعرفها

أحد غيري"، كان هذا جواب خديجة، فتحدثت علياء قائلة: "ولكن حتى لو افترضنا قبول تلك الفكرة، مَن منا يستطيع أن يجعل الشيخ طاهر يقتنع بزواج وليد من خديجة، فربما هو نفسه صاحب فكرة زواجها من الشيخ خالد".

- "أعتقد أن الحل الأفضل هو الذي اقترحته علياء"، قالت خديجة بخجل، فجاء كلام كريم مؤكدًا الرأي الذي قصدته: "أن تتزوجي من وليد دون معرفة أخيكِ؟".

فنظرت خديجة إلى وليد بخجل، فهي لا تريد أن تضع عليه ضغوطًا هو وحده غير قادر عليها، فجاء حديث وليد ليطمئنها قائلًا: "إنني أستطيع أن أقنع أهلي بهذا الأمر، يجب أن نسافر للأقصر ويتم الزواج هناك أمام الجميع، فأنا لن أتخلى عنكِ يا خديجة".

ختم وليد قوله وهو ينظر إلى خديجة بشوق كبير، حتى أنها كادت تدمع وقد تأكدت من صحة شعورها تجاه وليد الذي كان على قدر الثقة التي أعطتها إياه، ثم تحدثت علياء قائلة: "إنه لم يتبق أمامنا سوى يومين فقط، فيجب علينا أن نسرع في ذلك الأمر".

وانتهى ذلك الحديث بالاتفاق على سفر خديجة مع وليد إلى الأقصر في صباح اليوم التالي وقد تعاهدوا جميعًا أن يُصبح ذلك الأمر سرًا بينهم ولا يعرفه أحد غيرهم، حتى يحين الوقت الذي تعود فيه خديجة لمواجهة أخيها ومصالحته بعد أن يرزقها الله بمولود، فكانت خديجة تعلم أن ذلك فقط هو الشيء الوحيد الذي قد يجعل أخاها يغفر لها خطأها الذي سترتكبه.

❁ ❁ ❁

-11-

كانت السابعة مساءً عندما دخل حمزة مقهى جروبي والذي كان على غير عادته، فقد كان مزدحمًا بالزبائن حيث تُقام فيه حفلة عيد ميلاد لإحدى الزبونات والتي كانت فتاة قد حضرت هي وأصدقاؤها للاحتفال في ذلك المكان، فألقى حمزة بعض النظرات في المكان حوله حتى رأى مريم والتي كانت ترفع يدها ليراها، فذهب إليها حمزة وجلس أمامها على الطاولة بعد أن تبادلا قبلتين على الخدود وحضن سريع، ثم بادرت مريم بالكلام فقالت له: "وحشتني".

- أنتِ أكثر.
- ما أخبار العمل؟
- تمام.. وأنتِ ما الجديد عندك؟
- حفلة بعد يومين.

ثم توقفا عن الكلام للحظات كان فيها الجرسون قد جاء إليهما ووضع أمامهما عصير الفراولة ثم ذهب.

فنظرت مريم حولها كأنها تبحث عن شيء ما وقد بدا عليها القلق، وقد لاحظ حمزة ذلك فسألها: "ما الأمر؟!".

- "لا شيء"، قالتها مريم وهي تبتسم إليه، ثم أكملت: "أشعر بأن فيك شيئًا مختلفًا.. فأنت تبدو حزينًا أو غاضبًا من شيء ما تخفيه".

نظر إليها حمزة كعادته مُبتسمًا ثم بدا عليه الحزن وهو يقول: "يوجد الكثير من الناس الذين يعانون وتعد أحوالهم صعبة جدًا".

- "وما الجديد في ذلك! ده حالنا من زمان"، قالت مريم دون أن تُبدي تأثرًا بذلك فردد حمزة قولها ساخرًا: "ده حالنا من زمان!"، ثم أكمل بصوت يبدو فيه اليأس: "ولماذا لم يتغير؟!".

فلم ترد مريم، وربما السبب أنها لم تكن تملك إجابة مُقنعة لذلك.

ثم أمسك حمزة كوب العصير وشرب منه قليلًا ثم قال وهو ما يزال يمسكه وينظر لمريم: "نغيّر الموضوع أحسن.. أنا جاي النهاردة وعايز أفرح".

فهزت مريم رأسها علامة الموافقة وابتسمت له، ثم أردف حمزة قائلًا: "أغمضي عينيكِ".

- لماذا؟!

- مفاجأة.

فأغمضت مريم عينيها وهي تضحك، فوضع حمزة يده في جيبه وأخرج منها علبة صغيرة ثم فتحها ووضعها على الطاولة أمامهما، ثم قال لمريم: "يمكنك الآن أن تفتحي عينيكِ".

وعندما فتحت مريم عينيها رأت أمامها علبة صغيرة بها خاتمين، فاندهشت مريم من جمالهما وقبل أن تنطق بكلمة أمسك حمزة يدها ووضع عليها قبلة ثم قال: "تتجوزيني؟".

* * *

كان علي يجلس في المسجد بعد انتهاء صلاة المغرب وكعادته يستمع إلى الدرس الديني، والذي كان يتحدث فيه الشيخ خالد عن الجهاد في سبيل الله والدعوة للتوحيد وقيام شريعة الله في كل مكان، ولكن في حقيقة الأمر لم يكن علي منتبهًا لأي شيء يُقال وإنما سيطر على ذهنه ذلك الموضوع الذي كان يشغله منذ أيام وهو زواج أخته من الشيخ خالد، ولم يكن يتخيل يومًا أنه سيُجبرها على فعل شيء لا تريده، وخاصةً إن ذلك الشيء ليس بسيطًا وإنما شيء سيظل معها طوال حياتها.

كان يفكر فيما فعله ويتساءل في نفسه: "هل حقًا ما فعلته هو الصواب؟ ولكن كيف؟! إنني الأخ الأكبر وولي الأمر وأعرف ما هو أفضل لخديجة، كما أنني سأزوجها من الشيخ خالد، ذلك الشيخ الذي يتباهى الجميع بمعرفته أو الجلوس معه فماذا سيكون لو تزوج الشيخ إحدى بناتهم أو إخواتهم؟ إنها صغيرة ولا تعرف ما هي مصلحتها حتى قصة الحب التي تتوهمها ليست حقيقية، بل إنها مجرد مشاعر مراهقة لبنت لم تمر بأي تجارب من قبل، إن ما فعلته هو الصواب وهو ما كنت سأفعله لو عاد بي الزمن للوراء، إنني لست نادمًا على ما فعلته".

وبينما كان علي يُحدث نفسه والشيخ خالد يُلقى درسه دخل عليهم مجموعة من ضباط وأفراد الشرطة رافعين أسلحتهم في وجوههم، وتحدث قائدهم للشيخ وباقي الحاضرين قائلًا: "إننا في المسجد ولا نريد انتهاك حرمته، لذلك أدعوكم للخروج معنا بهدوء".

فتساءل الجميع عن السبب لذلك، فأجابهم القائد وقد توجه بنظره للشيخ خالد قائلًا: "أعتقد أن الشيخ يعلم السبب".

فتوجهت جميع الأنظار إلى الشيخ متسائلين عن السبب، ولكنه لم ينطق بشيء ووقف مكانه ثم توجه لخارج المسجد فتبعه الجميع وعلى

وجوههم علامات الاندهاش، وبالفعل ألقوا القبض عليهم وأخذوهم في سياراتهم، وكان علي يسألهم عن التهمة وسبب القبض عليهم لكن قد تجاهل الجميع سؤاله وأخذوه ولم يرد عليه أحد.

* * *

كانت خديجة قد أغلقت عليها باب غرفتها بإحكام حتى لا يشعر بها أخوها الذي كانت تظنه موجودًا في غرفته، ثم فتحت شنطة السفر الكبيرة الخاصة بها ووضعت فيها بعض ملابسها وحاجاتها الخاصة، وكذلك وضعت المصحف الذي قد أهداها علي إياه منذ سنتين.

ثم أخرجت من دولابها صندوقًا متوسط الحجم ووضعته أمامها على السرير ثم جلست وفتحته والذي كان فيه أهم مُمتلكاتها، والتي كانت عبارة عن سلسلة من الذهب معها آية الكرسي وخاتمين من الذهب أيضًا، وكذلك بعض الصور القديمة التي كانت تجمعها مع عائلتها وصور أخرى حديثة كانت لها هي وعلي فقط.

وضعت خديجة كل شيء في شنطتها في حين كانت دموعها تنزل من عينيها ألمًا لما تفعله، فكان آخر شيء تتوقعه أن تهجر أخاها يومًا وأن ينتهي بهما المسار هكذا، لكن لم يكن أمامها شيء آخر يمكنها أن تفعله.

لم تكن مريم تصدق شيئًا مما يحدث بل لم تكن تتوقعه أبدًا، فلمعت عيناها وأوشكت دموعها على النزول.

اندهش حمزة لذلك وبدأ القلق يبدو عليه وهو يتساءل في نفسه: "أليست هذه مفاجأة تتمناها أي فتاة؟ فلماذا لم تفرح مريم كما كان متوقعًا؟!

هل تعتقد مريم أنه لم تكن علاقتنا كافية للزواج؟ ولكن كيف؟!

متى ستنطق مريم وينتهي هذا الصمت القاتل؟!".

بينما مريم كانت تشعر بثورة تحدث داخلها، ولا تعرف ما الشعور الحقيقي الذي يسيطر عليها في هذه الأثناء، هل هي سعيدة لما سمعته بل وفي قمة سعادتها؟! أم أنها تخشى ما حدث رغم توقعها له؟! ولماذا يجب عليها أن تخشى ذلك؟!

كان حمزة ينتظر أن يأتيه جوابها بفارغ الصبر وكان قد بدأ التوتر يظهرعليه لأن ما يحدث لم يكن متوقعًا بالنسبة له.

وبينما كانت مريم تحاول استجماع قواها لتقول ما ينبغي عليها في هذه اللحظات وقبل أن تخرج منها كلمتها الأولى، قطع عليهما تلك

اللحظات شاب وقف أمام الطاولة التي يجلسان عليها وقال: "مساء الخير".

نظر حمزة للشاب دون أن يردّ عليه وكان السبب في ذلك أنه لم يكن يشغل ذهنه سوى الكلمات التي ينتظر أن تنطق بها مريم، فأكمل ذلك الشاب قوله: "أولًا، أنا بعتذر على إزعاجي لكما.. ثانيًا، لن آخد من وقتكما غير دقيقة واحدة".

فهز حمزة رأسه بالموافقة دون أن ينطق بكلمة بينما كانت مريم تحاول أن تدرك ما يحدث حولها.

كان ذلك الشاب في بداية الثلاثينيات من عمره وكان طويلًا ذا بشرة بيضاء وله شعر طويل ناعم، ويبدو أنيقًا من ملابسه كما كانت تظهر على وجهه ابتسامة جميلة غير مُصطنعة.

ثم مدّ يده لحمزه مُصافحًا وهو يعرفه بنفسه: "أحمد إبراهيم.. رجل أعمال".

- "أهلًا وسهلًا"، قالها حمزة بعد أن مدّ يده إليه هو الآخر.
- "من المؤكد أنك حمزة؟!"، قالها ذلك الشاب بهدوء تام ليزداد ذلك الاندهاش الذي كان واضحًا على حمزة بعدما سمع ذلك،

في حين كانت مريم تتابع حديثهما وقد ظهرت على وجهها ملامح القلق والخوف، فأجابه حمزة: "نعم.. أنا حمزة".

- "هل تريدين أن تعرفينه بي أم أفعل أنا؟"، قالها الشاب موجهًا كلامه هذه المرة لمريم والتي قد بدأت دموعها تسيل على خدها في حين كان حمزة يشعر بصدمة كبيرة قد جعلت قلبه يتوقف عن النبض تمامًا، ولم يكن حمزة يصدق عينيه عندما لاحظ وللمرة الأولى وجود خاتم في يد مريم اليسرى، والذي بدا كأنه ظهر فجأة في تلك اللحظة، ثم قال الرجل لحمزة وهو يشير لمريم: "أنا زوج مريم".

وكان حمزة قد توقع أن يسمع ذلك لكنه لم يكن يتمنى أن يحدث ما توقعه هذه المرة فشعر لحظتها بأنه تلقى طعنة في قلبه من هذه الجملة فوقعت عيناه على مريم، والتي كانت تنظر للأسفل ولم تتلاق عيناهما، ثم قال وهو يكاد يجهش بالبكاء موجهًا كلامه للرجل بصوت متقطع: "أنا آسف".

ثم تركهما حمزة واتجه لخارج المقهى دون أن ينظر خلفه، في حين كانت مريم قد سقطت على الأرض وأغمى عليها.

كان علي يجلس على كرسي وقد تم تقييده من يديه ورجليه وقد وضعت على عينيه غمامة سوداء حتى لا يرى مَن يتحدث إليه، وكانت قد بدأت تظهر في مخيلته تلك الأشياء التي رآها من قبل في الأفلام والمسلسلات عن أشكال التعذيب التي يقوم بها رجال أمن الدولة مع المُعتقلين.

فكان ينتظر المياه ثم الكهرباء مع بعض الضربات في جسده حتى يعترف بجريمته التي لم يكن يعرف عنها شيئًا، وقد ازداد فزعه أكثر بعدما سمع صوت الباب يُفتح ووقع أقدام تدخل منه، فظل يردد في سره الشهادتين حتى جاءه صوت غليظ يقول: "اهدأ.. لن نفعل لك شيئًا.. إلا إذا كذبت".

ولكن لم يستطع علي أن يهدأ فكان الخوف يسيطر عليه، فجاءه نفس الصوت والذي كان يحمل السؤال الأول: "ماذا تعرف عن ذلك التنظيم الإرهابي؟".

كان سؤالًا متوقعًا بالنسبة لعلي لكنه لم يكن يعرف إجابة له، فلم يكن يعرف عن أي تنظيم يتحدث إليه صاحب ذلك الصوت، فظل علي صامتًا للحظات ثم قال: "أقسم بالله.. لا أعرف أي شيء".

لم يصدق علي أنه قد مرت عليه تلك الساعات والتي كانت توجه إليه فيها الأسئلة ويجيب على ما يعرفه منها، لم يصدق أيضًا أنه لم يتم تعذيبه، لم يضربه أحد، لم يتم صعقه بالكهرباء، لم تنتهك كرامته بالصورة التي كان يتوقعها.

وحينما جلس وحيدًا ينتظر مصيره الذي يحمله الغيب، ظل يفكر في كل شيء مضى عليه في حياته، كان يفكر في كل لحظة وكل موقف حتى لو كان تافهًا، كان يفكر في أخته ويتساءل.. كيف سيكون مصيرها لو لم يعد إليها؟

وأيضًا كان يفكر في الشيخ وزملائه ويتساءل.. ماذا يكون قد حدث لهم؟ وهل قد مرّ عليهم التحقيق كما مرّ عليه أم لا؟

كان يفكر في الأسباب التي قد تدعو أحد إلى الانضمام لتنظيم إرهابي.. وتساءل بصوت عالٍ.. من صاحب أول تنظيم إرهابي؟ وكيف فكر في إنشائه؟!

* * *

عند السادسة صباحًا خرجت خديجة من غرفتها على أطراف أصابعها حتى لا يشعر بها أخوها، وكانت تشعر بأنه يوجد شيء ما

غريب، فوقفت قليلًا أمام باب الغرفة الخاصة بأخيها وهي مُترددة بين أن تفتح ذلك الباب وأن تُلقي عليه نظرة ربما تكون هي النظرة الأخيرة، أو أن تذهب بسرعة حتى تُصبح بأمان ولا يمنعها من خروجها.

وقد اختارت خديجة الأمر الثاني ولم يكن السبب في ذلك قسوة قلبها بل كان خوفها الذي كان أكبر من كل شيء، فذهبت دون أن ترى أخاها للمرة الأخيرة ولم تكن تعلم أنه ليس موجودًا في غرفته في تلك الأثناء وإنما يتواجد في مكان آخر.

التقت خديجة بوليد عند محطة القطار كما كان الاتفاق بينهما، وكان وليد قد اشترى لهما تذكرتين وقبل أن يركبا القطار كانت قد جاءت إليهما علياء بصحبة كريم لتوديعهما.

ظلت خديجة تبكي وهي بين أحضان علياء التي حاولت تهدئتها، وأخبرتها أن ذلك لن يستمر طويلًا وأنها ستعود قريبًا ويرجع كل شيء كما كان من قبل، كما أخبرتها أنها سوف تأتي لزيارتها بعد شهر لكي تحضر زفافها وتقوم بمساعدتها في التحضير له كما وعدتها من قبل، فشعرت خديجة بالاطمئنان قليلًا.

بينما كان كريم يودِّع صديقه ويوصيه بأن يرعى خديجة ويحميها، ووعده أيضًا بأنه سيأتي إليه ليحضر زفافه.

ثم ركبت خديجة القطار ومعها وليد الذي كان يمسك يدها بشدة ليطمئنها أنها معه ستكون بأمان وأنه لن يتخلى عنها أبدًا، فانطلق القطار مُتجهًا إلى الأقصر ليأخذ معه أحلام وأمنيات قد رفضها الزمان.

-12-

عندما دخل حمزة شقته في تلك الليلة كان قد ألقى بنفسه على سريره وهو يبكي بشدة غير مصدق كل ما حدث معه منذ دقائق قليلة، وظل يسترجع في ذهنه كل اللحظات التي قد قضاها مع مريم.

تلك الفتاة التي أحبّها وكان مُستعدًا لفعل أي شيء لإرضائها.

تلك الفتاة التي أعطت لحياته معنى وقيمة تستحق أن يعيش من أجلها.

كان يرى في ذهنه لقائهما الأول في الحفل عندما ذهب إليها وأخبرها أنه يحبها دون حتى أن يعرفها، ثم تلك الصدفة الغريبة التي جمعتهما مرة أخرى عندما صدمته سيارة وكانت هي التي تقودها حتى يتعارفا وتتوالى لقاءاتهما من بعدها.

كان ينظر ليده وهو يرى في ذهنه أول مرة تلامست فيها أيديهما وهي تساعده على الوقوف بعدما صدمته بسيارتها.

كان يعض شفتيه وهو يرى في ذهنه تلك اللحظة التي قبّلها فيها لأول مرة وهو يضمها في أحضانه.

فازداد بكاؤه وظل يصرخ بصوت عالٍ متوجعًا من الآلام التي يشعر بها في داخله فكان يبكي مثلما بكى عند وفاة أمه، وقد أصيب بحالة هيستيرية لم يسبق له أن مرّ بها من قبل، حتى توقف عن كل ذلك بعدما أغمى عليه.

النهايات غير المتوقعة هي أسوأ شيء قد يقابلها الإنسان يومًا، والذي يبدو مثل الظمآن الذي يذهب تجاه الماء وبعد أن يعتقد أنه قد اقترب منه ويستطيع الحصول عليه يجده سرابًا.

وبعد دقائق قليلة استعاد حمزة وعيه مرة أخرى وكان يشعر بضيق في صدره وصعوبة في التنفس، فدخل الحمام وظل واقفًا تحت المياه التي تتساقط عليه من الدُش وظل يفكر فيما حدث وقد أغمض عينيه، ثم فتحهما مرة أخرى وتحدث لنفسه بصوت عالٍ قائلًا: "يجب أن أنسى كل شيء، حتى نفسي سأنساها، سأكون شخصًا آخر، شخص ذو قلب قاسي، قلب خائن، قلب حاقد، قلب كاره لكل شيء.. سوف أعاقبه على

ما فعله بي، سأهجر تلك الحياة البائسة لأبدأ حياة جديدة، حياة مُختلفة تمامًا عن التي كنت أعيشها، حياة لا تعرف سوى الانتقام".

* * *

نُقل علي إلى زنزانة جديدة أكبر ليُحبس بها والتي كانت بها ثلاثة رجال مُلتحين يشاركونه فيها، ورغم خوفه الذي تولّد بداخله من كل شخص مُلتحي يتحدث عن الدين إلا أنه شعر بشيء من الراحة لوجود أشخاص معه في الزنزانة، حيث إنه قد عانى من الوحدة خلال الأسبوع الذي مضى عليه في زنزانة لم يكن يشاركه فيها سوى الجدران.

جلس علي عند إحدى زوايا الزنزانة وضم رجليه إلى صدره واستند برأسه على الحائط وأغمض عينيه وظل يبكي بشدة، دون أن يُبالي بالرجال الثلاثة الموجودين معه والذين قد يعتقدوا أنه ضعيف أو جبان، فليس الضعف عيبًا ولكن بشرط أن يجعلك تتقرب من الله لتحتمي به.

وبينما كان علي يبكي جاءه صوت أحد هؤلاء الرجال يتحدث إليه قائلًا: "إنها البداية فقط، ولكن مع الوقت ستعتاد وتجف دموعك".

فتوقف علي عن البكاء ورفع رأسه ونظر للرجل الذي تحدث إليه دون أن يرد بكلمة واحدة، ثم تساءل في نفسه: "عما يتحدث هذا الرجل؟! وما الذي سأعتاد عليه؟!".

فتحدث رجل آخر قائلًا: "لكل ظُلم نهاية، ولكن لابد علينا ألا نتوقف عن الجهاد فإما النصر أو الشهادة".

فنظر إليه علي دون أن ينطق بكلمة أيضًا وقد بدا عليه الاندهاش، فجاءه صوت الرجل الثالث قائلًا: "إلى أي جماعة تنتمي أيها الأخ الكريم؟".

- "جماعة!"، قالها علي بصوت مسموع وقد زاد اندهاشه فتساءل: "عم تتحدثون؟!".

* * *

عندما وصل وليد ومعه خديجة التي قد تركت وراءها حياة لن تستطيع أن تعيش فيها، لم يكن والده الحاج رضوان في انتظاره كعادته لينقله بسيارته إلى المنزل، فاتصل وليد بوالده ليسأله عن السبب في عدم مجيئه، وقد أخبره والده أن السيارة قد تعطلت ولم يستطع أن يأتى وأنه ما

زال جالسًا عند الميكانيكي الذي كان نائمًا أسفل السيارة ويقوم بإصلاحها.

لم يكن وليد أمامه سوى شيء واحد يمكنه فعله وهو أنه أوقف تاكسيًا ليوصلها وبالفعل كان ذلك ما قام به وليد، كانت خديجة تنظر لوليد بين الحين والآخر وعلى وجهها علامات القلق فكان وليد يمسك يدها ويضمها لصدره كأنه يريد طمأنتها وأنه بجوارها فلا ينبغي عليها أن تقلق.

لم تكن خديجة قد فكرت في اللحظات الأولى التي ستدخل فيها منزل وليد وتقابل عائلته، لكنها قد وجدت ذلك هو ما يسيطر على ذهنها بعدما توقفت السيارة أمام المنزل وأخبرها وليد أنهما قد وصلا، نزلت خديجة من السيارة ومشت معه بخطوات متثاقلة وقد بدأ يزداد قلقها بل كانت تشعر بالخوف.

كان خوفها لما تعتقد أنها تحمله من ذنب وخطيئة قد ارتكبتها عندما قررت الهروب من بيتها فماذا يكون رأي عائلة وليد فيها؟!

كما أنه قد زاد الأمر صعوبة بداخلها ما عرفته من وليد بأن عائلته كانت في بداية الأمر ترفض زواجه منها وأنهم يريدونه أن يتزوج ابنة

خالته، مما جعلها تشعر بأنها ستواجه صعوبات وتحديات لا تعرف ما إذا كانت قادرة على مواجهتها أم لا.

عندما وقفت خديجة على بُعد خطوتين فقط من الباب ولم تتقدم نحوه سألها وليد: "ما الأمر؟".

فكان جوابها هو نظرة تحمل كل ما تعانيه بداخلها، وشعر وليد بذلك فقال: "أنا بجوارك دائمًا لذلك لا تخافي من أي شيء، كما أن أفراد عائلتي كلهم يعرفون كل شيء وهم جميعهم أناس طيبون لذلك لا داعي لهذا القلق".

دخلت خديجة المنزل وهي لم تستطع أن تتخلى عن قلقها الذي قد تمكن منها تمامًا، ولكنها قد لاقت ترحابًا كبيرًا لم تكن تتوقعه من عائلة وليد التي استقبلتها في فرح كبير، فوجدت طيبة كبيرة في تلك العائلة لم ترها من قبل كما أنها شعرت بينهم بأشياء كانت قد افتقدتها منذ زمن بعيد.

فقد شعرت بحنان الأم ورعايتها عندما احتضنتها والدته.

شعرت بالأمان والقوة في نظرات والده الذي قد دخل خلفهما مباشرة عائدًا بسيارته التي قد تم إصلاحها.

وجدت الطمأنينة مع أخواته اللاتي شعرت معهن كأنها إحدى إخواتهن التي تعرفهن منذ سنوات وليس فقط تلك الدقائق القليلة التي مرت.

كانت خديجة قد شعرت بأنها لم تغادر بيتها حيث ذلك المكان الذي يملأه الحب والدفء بين جميع أفراده، لم تشعر خديجة بغربتها حقًا لكنها فجأة ودون إرادة منها وجدت صورة علي أخيها تظهر في ذهنها.

-13-

ترك حمزة عمله، بيته، سيارته وهاتفه، ترك كل شيء سوى شنطة صغيرة وضع بداخلها بعض ملابسه وسماعته وكان يُعلقها على كتفيه، ثم رحل دون أن يحدد مكانًا معينًا يقصده، فقط قد قرر الرحيل ليس لينسى ماضيه وذكرياته المؤلمة فقط بل لينتقم أيضًا.

هكذا كان يعتقد حمزة أنه لابد أن ينتقم من نفسه ومن صفاته، تلك التي كانت تتسم بالحب والتسامح والابتسام دائمًا.

قرر أن ينقلب على نفسه بأن يكون حاقدًا وكارهًا لكل شيء، بأن لا يسمح لشيء أن يقسو عليه كما كان، بل أن يكون هو القاسي والظالم، وكان آخر شيء كتبه في مفكرته: (أن تعيش طيبًا ومسالمًا في هذا العالم الذي نحيا فيه اليوم فإنك تكون قد ارتكبت خطيئتك الكبرى، فهذا العالم قد أصبح لا يحترم سوى القوة والظلم، إن هذا العالم يمد ذراعيه مبتسمًا للقبح والسوء، ولكن.. أن تكون مُحبًا وخيّرًا فإنه ينظر لك ضاحكًا باستهزاء وهو يعرف أن مصيرك لم يدم فيه طويلًا وأنك ستنتهي دون أن يشعر بك أحد).

وبعد ساعات كان يمشي فيها حمزة من شارع لآخر حتى منتصف الليل شعر بالإجهاد والتعب فقرر أن يستريح قليلًا، وعندما جلس على رصيف الشارع وجد نفسه جالسًا أمام مقهى ليلي يسمى "ميري".

ظل حمزة يتابع مشهد غريب كان يحدث أمامه وذلك عندما شاهد رجلًا طويلًا مفتول العضلات يُلقي بآخر هزيل البدن وسكران على رصيف الشارع وهو يقول له بصوت غليظ: "عندما تأتي هنا مرة أخرى يجب ألا تنسى محفظتك".

فذهب حمزة ناحية المقهى وقبل دخوله أوقفه ذلك الرجل الضخم وسأله: "إلى أين أنت ذاهب؟".

فأخرج حمزة محفظته والتي كانت مليئة بالأموال وأعطى الرجل الضخم ورقة ذات فئة المائة جنيه دون أن ينطق بكلمة، فقال الرجل الضخم وهو يشعر بسعادة كبيرة: "لا مؤاخذة يا باشا.. اتفضل"، وأوصله إلى إحدى الطاولات حتى جلس حمزة عليها ثم عاد الرجل الضخم إلى مكانه عند الباب.

كانت الصالة مليئة بالزبائن، حيث يجلس أحدهم وعلى جانبيه فتاتين شبه عاريتين وكان يتحسس بيده على فخذ إحداهن ويُقبل الأخرى

ويتذوق طعم شفتيها في نفس اللحظة، بينما كان رجل آخر يجلس مع بعض أصدقائه ويقوم بلف سجائر الحشيش وهو يرفع كأس الخمر في فمه بين الحين والآخر، وهكذا كان الحال لمعظم الموجودين.

بعد لحظات جاء الساقي إلى الطاولة التي يجلس عليها حمزة ووضع أمامه كأسًا ثم ملأه من زجاجة الخمر التي كانت في يده وتركها أيضًا على الطاولة وقال لحمزة: "أي أوامر تاني يا باشا؟".

- "شكرًا"، قالها حمزة، وبعد أن ذهب الساقي أمسك حمزة الكأس وظل ينظر إليه لثوانٍ ثم أفرغه في فمه مرة واحدة، وكان حمزة في هذه اللحظة قد شعر بشيء يتحرك بداخله وبرودة شديدة تسري في جسده ثم تحولت البرودة إلى سخونة كأنه ابتلع قطعة فحم مشتعلة فتغيرت ملامحه واحمرت خدوده ولمعت عيناه حتى هدأ كل شيء بعد لحظات، وشعر حمزة بانتعاشة فضحك كأنه اجتاز اختبار صعب، وبالفعل كان يُعتبر هكذا بالنسبة له حيث إنها المرة الأولى التي يشرب فيها حمزة الخمر.

قد شعر حمزة بالثقة في نفسه فتوالت الكؤوس الواحد تلو الآخر في فمه حتى شرب الزجاجة كلها، فأشار للساقي أن يحضر له واحدة

أخرى وبالفعل قام الساقي بتلبية طلبه، في حين كان الموجودون قد بدأوا يهتفون بأصواتهم العالية: "ميري.. ميري.. ميري" حتى قاموا بالتصفيق والصفافير عندما ظهرت ميري أمامهم وبدأت الموسيقى والعزف من خلفها.

* * *

حين يصعد عالم فضاء بمركبته الفضائية وينظر إلى المشهد الكوني المذهل الذي تدور فيه الكواكب حول الشمس، تلك التي تعتز بنفسها وتفخر بالفضل الذي أعطاه الله إياها من دوران الكواكب حولها.

أو عندما ينزل غواص إلى أعماق البحر ويُصادفه الحظ ليرى حورية البحر تجلس في مملكتها وتحيط بها المخلوقات البحرية المختلفة والرائعة في شكلها وألوانها لحمايتها وخدمتها.

هكذا كان ينظر حمزة إلى "ميري" تلك الراقصة التي ينتفض لها الكون تقديرًا لجمالها وتقسيمات جسدها وهي ترقص، فرغم أنها كانت ترتدي ثيابًا تُخفي معظم معالم جسدها إلا أن حمزة كان متأكدًا أن ذلك الثوب يُخفي خلفه أشياء لم ترها العين من قبل.

كانت ميري ترقص وتتمايل مع أنغام الموسيقى التي تصدرها فرقتها من خلفها، وبعد كل حركة تقوم بها كانت تتزايد الآهات من الموجودين في الصالة، كما كانت في تلك اللحظات تمتلك قلوب وعقول الحاضرين حيث يتخيل أحدهم أنه تجمعه بها غرفة واحدة وهي ترقص له بمفرده، ويذهب آخر بخياله لمرحلة أوسع فيتخيل نفسه معها على سرير واحد، في حين كان حمزة ينظر إليها مُبتسمًا وقد توقف تفكيره تمامًا عن كل شيء سوى الاستمتاع بهذه القدرات التي تتمتع بها تلك الفتاة، في حين كانت تتوالى الكؤوس في فم حمزة الواحد تلو الآخر.

لم يشعر حمزة بالوقت الذي مرّ عليه فقد يكون دقائق أو ساعات ولكن لم يكن حمزة يهتم بذلك، وقد بدا عليه أنه بدأ يفقد وعيه عما يدور حوله حيث أصبحت الصورة أمامه غير واضحة إلا أنه كان يدرك أن الناس قد غادروا المكان بعدما انتهت ميري من رقصها، ولكنه لم يكن باستطاعته الحركة كأنه أصبح مشلولًا فجأة.

وبعد أن قام الساقي ومعه شخص آخر بتنظيف المكان وترتيبه توجه أحدهما ناحية حمزة وقال له بصوت هادئ: "يلا يا باشا عشان هنقفل".

ولكن حمزة قد اكتفى بالنظر إليه دون أن يرد بشيء وهو شبه فاقد للوعى، فهزّ الرجل الآخر كتف حمزة وقال: "يلا يا أستاذ، السهرة خلصت وهنقفل".

لم يفعل حمزة شيئًا سوى النظر إليه أيضًا وهو يبتسم، فقال الساقي وهو يحاول إخراج حمزة بالقوة: "شكلك كده هتتعبنا معاك!".

ولكن حمزة قد دفعه بقوة في صدره حتى أبعده عنه خطوات ثم قال: "متحاولش معايا بالقوة.. وأنا مش همشي دلوقتي".

فتشاجر الرجلان مع حمزة وتعالت أصواتهم، حتى جاء صوت رقيق من خلفهم يقول: "إيه يا متولي.. ماله الأخ ده؟".

فكانت ميري هي صاحبة ذلك الصوت والتي دخلت عليهم من غرفة كان بابها عند الجانب الأيسر للصالة من الداخل، فقال الساقي: "مش عاوز يمشي، وشكله هيتعبنا معاه".

وكان حمزة قد تحول بنظره إلى ميري وعلى وجهه نفس ابتسامته، فقالت ميري موجهة كلامها لحمزة: "يعني إيه مش عاوز تمشي؟!".

- "يعني هفضل هنا لحد الظهر"، قالها حمزة بصوت هادئ وبه ثقة كبيرة بنفسه ثم توقف للحظات وأكمل: "بعد إذنك".

فقالت ميري: "مينفعش".

- ليه؟
- عشان لازم نقفل ومتولي وطلعت يمشوا.
- وإيه المشكلة؟ يقفلوا ويمشوا.
- "هو إيه ده يا أخواتي، المشكلة إن أنا بنام هنا، ساكنة هنا، عايشة هنا، فهمت؟!"، قالت ميري بعصبية، فردّ حمزة بهدوء شديد: "وإيه المشكلة بردو؟!".
- "يا فنانة ده مش هينفع معاه غير إنه يضِّرب ويخرج بالعافية"، قال متولي وهو في انتظار إشارة واحدة من ميري لينفذ ذلك، ولكن بعد تفكير قالت ميري للرجلين: "خلاص، اقفلوا وامشوا".
- "إزاي"، قالها متولي والغضب يملأ عينيه، ولكن ميري قد أمرته بذلك مرة أخرى ثم توجهت بنظرها لحمزة وقالت: " شكله مفيش منه قلق، عاوزة لما أصحى ألاقيك مشيت"، فهز حمزة رأسه بالموافقة وعلى وجهه ابتسامة عريضة لهذا النصر الذي حققه كما كان يعتقد في نفسه.

ظل علي يستمع إلى الرجال الثلاثة الموجودين معه في الزنزانة ويناقشهم، فكان يتفق معهم كثيرًا ويختلف أحيانًا.

كانوا قد تحدثوا معه عن ظلم الحاكم وعدم إقامته العدل بين الناس.

تحدثوا عن المحسوبية والفساد الذي أصبح في كل مكان.

تحدثوا عن جهل الناس وفقرهم.

تحدثوا عن تقليد الغرب والبُعد عن الإسلام.

تحدثوا عن كيفية مواجهة كل ذلك والتي لا توجد لها طريقة سوى الدعوة لدين الله والجهاد في سبيله، حتى لو كان مصيرهم الحبس والتعذيب بل وإن كان الموت نفسه.

فوجد علي نفسه يقتنع بكثير مما يقولونه بل وازداد حماسةً لأن يُشاركهم في جهادهم لما وجده من ثقة وقوة في حديثهم.

شعر علي بغيرته على دينه الذي بدأ يهوى من قلوب الناس، شعر أيضًا بأنه مُقصر في حق دينه وأنه يجب عليه أن يُكرس حياته كلها من أجله، من أجل الإسلام ومن أجل تلك الجماعة التي تجاهد في سبيله.

فجاء في ذهنه الشيخ خالد وزملاءه الذين تم القبض عليهم معه أثناء الدرس الديني وأنهم بالتأكيد سيكونون صامدين وصابرين على ما هم فيه، لأنهم مؤمنون بقضيتهم وبدفاعهم عن الإسلام فشعر بالطمأنينة لأحوالهم.

* * *

كانت الغرفة مساحتها كبيرة وتنقسم لجزأين، الجزء الأول كان في مقدمة الغرفة وكان يحتوي على كنبة وأمامها ترابيزة عليها تليفزيون وبجوارها ثلاجة، بينما الجزء الآخر فكان به سرير يغطيه فراش من الحرير وبجواره دولاب صغير وكومود صغير له بعض الأدراج ومرايا كبيرة موضوعة فوقه.

كما كان يوجد بعض الرفوف على شكل مكتبة موجودة فوق السرير وكانت مليئة بالكتب المختلفة، وفي الناحية الأخرى كان يوجد حمام صغير له باب، وكان كل شيء في الغرفة مرتبًا ويبدو في مكانه كما كانت الجدران ملونة كل جانب بلون مختلف عن الآخر وعليها بعض الصور والنقوشات التي تبدو غريبة الشكل.

وبينما كان حمزة يتفحص الغرفة بعينيه ويبدو عليه الاندهاش من هذا المكان المنظم والجميل، كانت ميري قد فتحت دولابها وأخرجت منه بطانية وأعطتها لحمزة وقالت له: "دي علشان تتغطى بيها.. والثلاجة عندك مليانة أكل".

- أنا هنام فين؟

- على الكنبة طبعًا، ولا أنت فاكر نفسك هتنام جنبي على السرير.

وبعد أن قالت ميرى ذلك تركته ودخلت الحمام، وبعد دقيقة واحدة سمع حمزة صوت المياه تنزل على الأرض حيث إن ميري كانت قد فتحت الدُش ووقفت تحته، ثم توجه حمزة ناحية الثلاجة وفتحها والتي كانت مليئة بالأطعمة والفواكة الكثيرة والمتنوعة، ولكنه اكتفى بزجاجة مياه شرب نصفها ووضعها مرة أخرى مكانها ثم أغلق الثلاجة.

وبعد دقائق قليلة خرجت ميري من الحمام، وكانت ترتدي رداء أحمر من الحرير وقد لفت الفوطة حول رأسها، ثم ظهرت على وجهها علامات الاندهاش عندما وجدت حمزة نائمًا على السرير وقد خلع قميصه، لكنها لم تتحدث إليه وذهبت ناحية الثلاجة وفتحتها فعرفت أنه لم يأكل شيئًا ثم أغلقتها مرة أخرى وجلست على كرسيها أمام المرايا، ثم

رفعت الفوطة من فوق شعرها وبدأت تمشطه، فجاءها صوت حمزة وهو يقول: "تعرفي إني أول مرة أشوف شعر بالطول ده؟".

لكنها لم ترد عليه واكتفت بالنظر إليه للحظات ثم عادت لتنظر للمرايا وهي تمشط شعرها، فسألها حمزة: "ميري.. يبقى اسمك الحقيقي؟".

- "ميار"، قالتها ميري دون أن تنظر إليه، فابتسم حمزة وقال: "حمزة".
- "يا مرحب.. ياريت تنام بقى"، قالت ميري، ولم يُعلق حمزة على كلامها فسادت فترة من الصمت ثم سألها حمزة مرة أخرى: "أنتِ ليه بترقصي للناس؟".
- "أنا برقص لنفسي.. مش للناس"، قالت ميري وهي تقوم من على الكرسي غير مندهشة من ذلك السؤال الغريب وكأنها قد جاوبت عليه كثيرًا وتحفظ إجابته، ثم اتجهت نحو السرير وجلست على جانبه الآخر بجوار حمزة، والذي سأل مرة أخرى: "ليه برده؟".
- عشان بحب الرقص.. بلاقي نفسي وسعادتي فيه.

- ومش بتخافي!
- "من مين؟"، تساءلت ميري مندهشة، فجاوبها حمزة: "من ربنا.. أنتِ متعرفيش إن الرقص حرام!".
- أنا اللي أعرفه إني بلاقي نفسي وسعادتي فيه زي ما قلت لك، ودي الحاجة اللي بتقربني لربنا.
- الرقص! إزاي؟
- علشان بحس إنه نعمة كبيرة من ربنا بيخليني سعيدة بيها، وبشكر ربنا عليها دايمًا.
- بس مش ربنا اللي بيخليكِ تحسيّ بالسعادة دي.. ده الشيطان.
- الشيطان عمره ما بيعطيك السعادة، الشيطان بياخدها منك.
- "أنتِ بتفكري إزاي وبأي منطق؟"، تساءل حمزة مستنكرًا كلامها، فقالت ميري: "بمنطق إزاي ألاقي سعادتي ونفسي".

ثم توقفا عن الكلام ولم ينطق أيا منهما بشيء آخر، وكانت ميري قد وضعت رأسها على السرير لتنام وأعطت ظهرها لحمزة، والذي كان ينظر إليها مندهشًا لكلامها وكان يفكر فيه.

ثم مدّ حمزة يده ووضعها على ذراعها وبدأ يحركه لأعلى وأسفل، ولم تفعل ميري شيئًا سوى أنها أغمضت عينيها لتنام، فاقترب حمزة منها حتى كاد يلتصق بها من الخلف وضمها إلى صدره وقال: "أريد أن أمارس الجنس معكِ".

- "لماذا؟"، جاءه صوتها متسائلًا دون أن تلتفت إليه، فقال: "يمكن ألاقي سعادتي فيه".
- لكن.. أنا لأ.
- وإيه المانع.. خليكِ سبب في سعادة إنسان.
- "نسيت أن أخبرك شيئًا"، قالتها ميري وقد التفتت إليه برأسها ثم أكملت: "لكي تشعر بالسعادة الحقيقية يجب ألا تكون هذه السعادة على حساب شخص آخر أو تكون سببًا في أن تجرح أي حد".
- وإيه المانع برده.. ما أنتِ بترقصي عارية قدام الناس كلها.

فقالت ميري بشيء من الغضب: "حتى لو أنت شايفني كده، ده مش معناه إني زانية ولازم أمارس الجنس مع أي حد يطلب مني كده".

- "جايز"، قالها حمزة ورفع يده من على جسدها ثم قام وذهب ناحية الأريكة ونام عليها دون أن ينطق بكلمة أخرى، وظل حمزة يفكر في تلك الفتاة التي علمته درسًا مهمًا للحصول على السعادة والذي قرر حمزة نسيانه لأنه لا يتطابق مع مبادئه الجديدة، والتي ذكر نفسه بها بصوت لم يسمعه غيره قائلًا: "لا تنس.. الكراهية.. الحقد.. القسوة.. الخيانة".

ثم نهض حمزة من فوق الأريكة واتجه ناحية ميري التي كانت غارقة في نوم عميق، ثم انقض عليها بشراسة وبدأ يلتهمها، بينما هي كانت قد استيقظت فزعة فوجدته فوقها يمزق عنها ملابسها فحاولت منعه والتصدي له ولكنها لم تستطع فعل شيء في مقابل قوته وعنفه.

كان حمزة قد خلع عنها ملابسها كلها فأصبحت تحته عارية تمامًا كان قد خلع بنطلونه أيضًا وتعدى عليها وبدأ يغتصبها بقسوة وشدة، وكانت ميري تتأوه وتصرخ بشدة ولكن دون جدوى فاستسلمت إليه وتوقفت عن مقاومته بعدما تأكدت من ضعفها في مواجهته وسكنت تمامًا حتى انتهى حمزة منها وتركها وعاد إلى الأريكة.

شعر حمزة بنشوة الانتصار التي لم يشعر بها من قبل، وفي حقيقة الأمر لم يكن يعلم أي انتصار يمكنه أن يشعر به، هل هو الانتصار على تلك الفتاة الضعيفة؟ أم أنه الانتصار على مبادئه التي طالما عاش بها والانتصار على نفسه؟ والتي كانت تحثه على العودة مرة أخرى وترك هذا الطريق الذي ينوي أن يسلكه، في حين كانت ميري قد أغمضت عينيها في محاولة منها لتناسي الخوف والألم اللذين قد تملكا منها.

-14-

لم يستطع علي النوم طوال الليل بسبب تفكيره فيما حدث لمنصور، أحد الرجال الثلاثة المحبوسين معه في الزنزانة والذي قد أخذه رجال الأمن ثم أعادوه مرة أخرى بعد ساعتين، لكنهم أعادوه شخصًا آخر مختلفًا عن الذي ذهب معهم.

وقد شعر علي بالفزع عندما رآه فكان وجهه متورمًا وعليه آثار دمائه وكذلك جسده كان مليئًا بعلامات الضرب المؤلمة، فجرى علي ناحيته محاولًا مساعدته رغم أنه لم يكن يعرف كيف يستطيع ذلك، وبمجرد أن لمسه علي بيديه بدأ منصور في الصراخ متألمًا فوجد علي نفسه يبكي رغمًا عنه، بينما كان الحال مختلفًا بالنسبة للرجلين الآخرين واللذين تحدثا إلى علي وأخبراه أن هذا ليس بجديد عليهم وأنهم قد اعتادوا على الضرب والتعذيب منذ سنوات.

لم يكن علي يصدق أن ما رآه قد حدث بالفعل، لم يكن يعرف ما الأسباب التي قد تدفع رجال الأمن أن يفعلوا ذلك، وكان يتساءل في نفسه هل هناك مبرر حقيقي لتلك القسوة أم لا؟!

فلو كان منصور مُذنبًا فهو محبوس ويقضي فترة عقوبته في السجن، وإن كان بريئًا فلماذا يفعلون معه ذلك؟!

ولكنه لم يجد إجابة لذلك التساؤل الذي قاله لنفسه، وكان يزيد من خوفه وضيقه صوت منصور الذي كان يتألم طوال الليل وهو يتحرك أثناء نومه، ولم يكن علي متأكدًا من أنه نائم بالفعل أم يحاول الهروب من آلامه بادعائه النوم.

كذلك اندهش علي من كلام الرجال الثلاثة وثباتهم على موقفهم وإصرارهم على اعتقادهم بأنهم يجاهدون في سبيل الله، وأنهم كما قالوا له مستعدون للموت من أجل الإسلام والشريعة، فأحس علي لأول مرة بالقوة الكبيرة التي يتمتعون بها بل بالإيمان الكبير في دينهم ومعتقدهم، فشعر بالغيرة منهم تجاه دينهم وسأل نفسه: "بما يتميزون عنك هؤلاء الرجال الذين يدافعون عن دين الله ويجاهدون في سبيله؟!".

ولكن قد أخرجه من تفكيره هذا منصور، الذي كان يُناديه بصوت متقطع قد سمعه علي كهمس في أذنيه، فاتجه ناحيته مسرعًا وقال له: "منصور.. هل أنت بخير؟".

- "نعم"، قالها منصور ثم توقف للحظات قبل أن يُكمل بصوت متقطع: "عطشان.. أريد ماء".

فوقف علي مكانه وظل ينظر حوله ويتلفت كأنه يبحث عن شيء مفقود، حتى رأى زجاجة المياه موجودة بجوار الحائط عند إحدى زوايا الزنزانة فجرى ناحيتها مُسرعًا كطفل تائه رأى والديه فجأة، لكنه سرعان ما وقف حائرًا مرة أخرى وقد شعر باليأس عندما وجدها فارغة تمامًا.

ظل علي يفكر فيما عليه أن يفعله فذهب ناحية الباب ووقف أمامه للحظات مُترددًا، ظل يفكر في هؤلاء الرجال الموجودين في الخارج وما يتمتعون به من قسوة القلب وعدم الرحمة وما قد يفعلونه به هو أيضًا، ثم فجأة تناسى تلك الأفكار والهواجس التي كانت تراوده، وبدأ يطرق على الباب بشدة وينادي بصوت عالٍ: "نريد ماء، منصور يموت، نريد ماء".

لم يتوقف علي عن البكاء عندما كان جالسًا عند إحدى زوايا الزنزانة وهو يشاهد رجال الأمن وهم يحملون منصور ويخرجون به، ذلك

الرجل الذي فقد حياته ليلة الأمس بسبب بضع قطرات من الماء لم يجدها ليروي بها عطشه ويُسكِّن بها آلامه.

وكان علي قد شعر بخيبة أمل في تلك الحياة التي يعيشها وقد سيطر عليه الحزن واليأس، لكن كلمات منصور إليه بعد تعذيبه والتي لم تغب عن وجدانه كانت تخفف عنه كل ذلك، فظل يرددها علي في نفسه قائلًا: "إن حياتنا في هذه الدنيا لا تساوي شيئًا مقابل الجهاد في سبيل الله من أجل ديننا.. وإن الفوز العظيم سيكون في الآخرة عندما نُكافأ بالجنة وحوريات العين".

شعر علي بخيانته لربه ودينه إذا لم يسر على ذات الطريق الذي كان يسير فيه منصور وكل هؤلاء الرجال المجاهدون، فقرر أن يُكمل هو المسيرة ليحقق العدل ولينصر الإسلام فتحدث إلى الرجلين الآخرين وقال لهما: "أريد أن أكون مُجاهدًا معكما"، فابتسم الرجلان لعلي وقد شعرا بنصر الله لهما وتعويضهما، ثم قال أحدهما: "هل تعرف معنى ذلك؟".

- "نعم"، قالها علي بإصرار، فقال الرجل الآخر: "يجب أن تعرف أن ذلك سيكون بالنسبة لك قبل نفسك، قبل أهلك، قبل وطنك، قبل كل شيء".

فهز علي رأسه بالموافقة وظهرت عليه قوته وإيمانه بذلك.

* * *

فتح حمزة عينيه بصعوبة بعدما أيقظه صوت المؤذن الذي كان يبعد عنه بخطوات قليلة داخل المسجد، فقام مُتثاقلًا وتوضأ ثم وقف في الصف مع المُصلين بعد أن لحقهم في الركعة الثانية، ولولا أن حمزة لم يجد مكانًا آخر غير المسجد يمكنه أن ينام فيه بعدما ترك المقهى الليلي لأنه شعر بأن ما فعله بميري ربما قد يؤثر فيه لم يكن سيدخله، ولولا خجله من الاستمرار في النوم في حين كان سيراه المصلون هكذا لما كان استيقظ ووقف معهم في الصف كي يصلي، لأنه كان يعلم جيدًا أن الصلاة لم تعد شيئًا موجودًا في حياته الجديدة التي قرر اختيارها.

بعدما انتهت الصلاة جلس حمزة مُستندًا بظهره على أحد الأعمدة داخل المسجد وأغمض عينيه، وبعد دقائق قليلة مرت وكان قد ذهب

فيها المصلون كلهم سوى إمام المسجد والذي اتجه ناحية حمزة وجلس أمامه ثم تحدث إليه: "السلام عليكم".

- "وعليكم السلام"، ردّ حمزة بعدما فتح عينيه ونظر للشيخ الجالس أمامه، ثم قال الشيخ: "تبدو مهمومًا وتشعر بالضيق في صدرك"، فابتسم حمزة ابتسامة ساخرة ثم قال: "وما الذي يعنيه ذلك؟".
- "لا أفهم ماذا تقصد؟"، سأل الشيخ وقد بدا عليه الاندهاش، فجاوبه حمزة ببرود شديد: "وماذا بعد؟".
- "فقط جئت أعرض عليك المساعدة، إذا كنت أستطيع فعل شيء"، قال الشيخ وقد عادت ابتسامته على وجهه مرة أخرى، لكن سرعان ما اختفت عندما جاءه ردّ حمزة الغريب: "لكنك لن تستطيع مساعدتي".

فحاول الشيخ ألا يفقد الأمل فسأله: "لماذا؟".

فنظر إليه حمزة مُتعجبًا من إصراره على الحديث معه، فقرر أن يُنهي آماله تمامًا في الاستمرار في الحديث معه بقوله: "لأنني أبحث عن مكان

أجد فيه القسوة والكراهية والحقد، مكان أقتل فيه مشاعري وأعاقب فيه قلبي الخائن، مكان غير هذا العالم المُقرف الذي نعيش فيه".

فابتسم الشيخ وجاء جوابه مفاجئًا لحمزة عندما قال: "إذا كانت تلك رغبتك الحقيقية.. فإنني أستطيع مساعدتك".

- "كيف؟!"، قالها حمزة الذي تفاجأ من رد الشيخ غير المتوقع، فصمت الشيخ للحظات أخذ فيها نفسًا عميقًا ثم قال: "قبل أن أخبرك كيف، هناك شرط واحد فقط".
- "ما هو؟"، سأل حمزة وقد بدأ يهتم بكلام الشيخ، الذي قال: "الشرط الوحيد، ألا تكون ضعيفًا أو جبانًا".
- "لست ضعيفًا ولست جبانًا"، قالها حمزة بحزم شديد ليُثبت للشيخ مدى قوته وجرأته، فابتسم الشيخ وقال: "الجهاد".
- "الجهاد!"، ردد حمزة قوله مُتسائلًا، فقال الشيخ: "إنه جهاد النفس أولًا، ثم الجهاد ضد هذا العالم المقرف الذي تحدثت عنه، ألم تقل إنك لست ضعيفًا ولست جبانًا؟".

فشعر حمزة بأن الشيخ يُشكك في قوته وجرأته فقال: "بلى.. ولكن كيف سأفعل ذلك؟".

فابتسم الشيخ وقد شعر بعظمة نفسه لأنه لم يفشل في مخططه مع ذلك الشاب الذي يجلس أمامه والذي رأى في عينيه أنه أهل لذلك، ثم أخرج من جيبه قلم وورقة كتب فيها شيئًا ثم أعطاها لحمزة وقال: "هذا عنوان الشيخ طاهر، الأب الأكبر والقائد لنا والذي سيأخذك لذلك المكان الذي تريده، ولكن تذكر أنك لست ضعيفًا ولست جبانًا".

فأخذ حمزة الورقة من الشيخ ووقف، وقبل أن يذهب توجه بنظره للشيخ وقال: "أنا لست ضعيفًا ولست جبانًا".

-15-

في إحدى بقاع الصحراء الموجودة شمال سيناء كان العشرات من الرجال يجلسون في الخلاء أمام خيمة كبيرة مُنتظرين خروج القائد للتحدث إليهم بعد أن طلب حضورهم جميعًا، وكان هؤلاء الرجال يرتدون زيًا موحدًا والذي كان عبارة عن جلباب أبيض قصير فوقه جاكيت جلد بني اللون وقبعة ذات لون الأبيض وأحذية مصنوعة من الجلد لونها أسود، وكان من بينهم اثنان يتهامسان فسأل الأول: "هل تعرف فيم سيتحدث الأمير؟".

فجاوبه الآخر: "لا.. ولكنني علمت أنه مسرور على غير عادته".

- "أتمنى ذلك"، قالها الرجل.

ثم ساد الصمت بين الجميع عندما خرج الأمير وبجواره رجلين كان الأول أصغر سنًا منه والآخر كان يكبرهما ببضع سنوات، ثم جلس الأمير على كرسيه بينما ظل الرجلان واقفين أحدهما على يساره والآخر على يمينه، وظل الأمير ينظر حوله لثوانٍ قبل بدء حديثه قائلًا: ""بسم

الله الرحمن الرحيم" يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"، فهذا أمرٌ واضح من الله وإننا قد أطعناه، فها نحن الآن نرى ذلك الفلاح، فقد نصرنا الله لأننا عباده المخلصين المجاهدين في سبيله".

وبعد دقائق قليلة كان قد تحدث فيها الأمير عن التقدم والنجاح الذي حققته جماعتهم أعلن لهم أنهم سيتوقفون عن العمليات الجهادية خلال الفترة القادمة في مصر وغيرها من البلاد حتى يسود الاستقرار ويستطيع إخوانهم إدارة البلاد بعدما تولوا الحكم في مصر، ثم اختتم حديثه قائلًا: "لقد حان وقت الظهور، فلم يعد الاختباء مصيرنا بعد الآن، وليكن الله معنا دائمًا".

بعد ذلك انتهى الاجتماع وبدأ الجميع العودة إلى أماكنهم لاستكمال مهامهم التي كانوا مُكلفين بها في حين كان الأمير قد عاد إلى خيمته، وأثناء ذلك كان يتحدث الرجلان اللذان كانا يقفان بجوار الأمير مع بعضهما البعض بصوت ضعيف فقال الأول: "يبدو أن حمزة قد أصبح له تأثير كبير في نفوس الجميع".

فرد عليه الآخر: "منذ يومه الأول في هذا المكان وأنا أجد فيه صفات القائد".

- "لكنك تعلم جيدًا أن أفكاره مختلفة عنا"، قالها الأول مستنكرًا، فقال الآخر: "وهذا ما يميزه كأمير لتلك الجماعة".

فاندهش الشخص الأول والذي كان هو الأصغر سنًا، ثم سأل مستنكرًا: "كيف ذلك يا رفعت؟!"، فأجابه الشخص الثاني والذي كان الأكبر سنًا: "إنها الحقيقة التي يجب أن نعترف بها يا علي".

بعد ذلك انصرف الرجلان وعاد كلًا منهما إلى خيمته ليتابع أعماله المكلف بها وكان يبدو القلق والحزن واضحًا في ملامح علي، الذي كان يستنكر تنصيب حمزة أميرًا لجماعتهم منذ البداية.

* * *

كان علي قد قضى أسبوعًا آخر في محبسه بعد وفاة منصور أحد السجناء معه وقد ازداد حبه وثبتت عقيدته للجهاد، وكان الفضل في ذلك يرجع إلى أحاديث زميليه في نفس الزنزانة معه وقد تولدت بينهم صداقة كبيرة، كما تعاهد علي أمامهما بأنه إذا قدر له الله خروجه من ذلك

السجن فإن الجهاد في سبيل الله والانضمام لإخوانه المجاهدين سيكون طريقه ثم دعا الله بأن يفك كربه.

ولم يصدق علي أن الاستجابة ستكون بتلك السرعة عندما جاء أحد أمناء الشرطة ليخرجه من الحبس وقد أخبره أن الضابط يريد رؤيته قبل الإفراج عنه فسأله علي غير مصدق لما سمعه: "هل قلت أنه سيتم الإفراج عني؟".

- "نعم"، جاوبه أمين الشرطة وهو يمسك بيده ليأخذه خارج الزنزانة في حين توجه علي بالنظر إلى زميليه مبتسمًا ليطمئنهما أنه لن يتخلى عن تعهده، ولم تمر سوى ساعة واحدة حتى وجد علي نفسه حرًا طليقًا يقف في إحدى الأماكن المهجورة التي لم يكن فيها سوى بضعة بيوت لم يسكنها أحد بعدما تركه فيها اثنان من أفراد الشرطة وحذروه من التحدث بشيء مما حدث له أو محاولته بالتقرب لتلك الجماعات.

بعد وقت ليس بالكثير ظل فيه علي يمشي على رجليه كان قد وصل إلى الطريق العمومي حيث تسير فيه السيارات، ثم وقف علي أمام إحدى السيارات بشكل قد فاجأ صاحبها الذي أوقف سيارته بعدما

ضغط على الفرامل بشدة كي لا يصطدم بذلك الشاب الذي ظهر أمامه كأنه جنيّ، فاعتذر له علي وطلب منه أن يوصله لأي محطة أتوبيس يستطيع أن يركب منها ليعود لمنزله.

وبالفعل بعدما أوصله صاحب السيارة والذي تجنب النظر لعلي طوال الطريق ولم ينطق بكلمة واحدة إليه، شكره علي على ما فعله ودعا الله أن يكتب له ذلك في ميزان حسناته في حين أن صاحب السيارة قد غادر وعلى وجهه علامات الاندهاش، ثم صعد علي إلى أتوبيس كان يمر في طريقه إلى المنطقة حيث يسكن.

صعد علي درجات السلم كأنه يطير من فوقها حتى وصل أمام باب شقته وظل يطرق عليه ولكن لم يأته رد، فزادت شدة طرقه للباب حتى خرجت جارته من شقتها المقابلة للشقة التي كان يسكن بها علي، وعندما رأت علي قالت له بلهفة حقيقية: "حمدًا لله على سلامتك يا علي".

- الله يسلمك يا حاجة أم محمد.. ألم ترن خديجة؟
- لا يا ولدي.. لم أرها منذ أسبوع.

بدأ القلق يظهر على وجه علي بعد أن اختفت بهجته تمامًا ثم نزل مسرعًا وتوجه للمسجد بعد أن سمع أذان الإقامة لصلاة الظهر، وبعدما انتهت الصلاة توجه علي إلى الشيخ طاهر والذي استقبله بفرحة عارمة وضمه لصدره وقال له: "الحمد لله على عودتك يا بني، لقد اشتقت لرؤيتك حقًا".

فاكتفى علي بالنظر إليه وقد نزلت دموعه رغمًا عنه، فعاد الشيخ طاهر لبيته ومعه علي، الذي حكى له كل شيء منذ أن تم القبض عليه حتى خرج من الحبس، فطمأنه الشيخ بأن كل شيء سيكون بخير ثم صمت قليلًا قبل أن يقول: "هناك أمرًا يجب أن تعرفه".

فنظر علي إلى الشيخ منتظرًا سماع ذلك الأمر وقد زاد قلقه بعدما رأى تعابير الحزن على وجه الشيخ، والذي أردف قائلًا: "بعد القبض عليك بيومين ذهبت بنفسي لرؤية خديجة والاطمئنان عليها ولكنني لم أجدها في البيت، فاضطررت لأن أكسر باب الشقة عند زيارتي الثانية ولكني لم أجدها أيضًا، وأرسلت كثيرًا من تلامذتي للسؤال عنها في الجامعة وعند الجيران لكنني لم أتوصل لشيء ولم أستطع معرفة مكانها".

شعر علي بصدمة كبيرة لسماع ذلك وكاد يهوى على الأرض لولا أنه تماسك وشعر بقوة تأتيه لا يعرف مصدرها، فقال متسائلًا: "ماذا يجب أن أفعل الآن؟".

فجاوبه الشيخ: "اذهب لبيتك ونم جيدًا، وسوف آخذك بعد الفجر إلى المكان حيث يتواجد فيه إخوانك المجاهدين"، فنظر علي إليه بدهشة متسائلًا عما سمعه، فأكمل الشيخ قائلًا: "أليس هذا ما تعهدت بالقيام به بعد خروجك من الحبس؟".

- "بلى.. إنه كذلك"، قالها علي ثم هزّ رأسه متفهمًا للأمر وقد استطاع حبس دموعه هذه المرة والتي كانت على وشك النزول وقد شعر علي بحرارتها تملأ عينيه.

عندما عاد علي إلى بيته دخل جميع الغرف الموجودة في الشقة وكان يستنشق فيها رائحة أخته، كان يرى صورتها كأنها واقفة أمامه وعلى وجهها ابتسامتها الرقيقة في كل ركن من أركان الشقة، كان يخترق أذنيه صوتها وهي تناديه ليتناول معها الطعام الذي أعدته له، ولكنها في حقيقة الأمر لم تكن موجودة معه في تلك اللحظة، ثم دخل علي غرفته

وألقى بنفسه على السرير وظل يفكر في كل ما حدث له ثم تحدث لنفسه بصوت مسموع قائلًا: "لا يوجد مفر من القدر، ولا يجب أن أدع نفسي سجينًا لتلك الأحزان، لقد أهداني الله نعمة كبيرة وهي البصيرة ومعرفة أن كل شيء فانٍ، إن أختي الآن في مكان حيث يرعاها الله وأنا أثق في حكمته، ومنذ هذه اللحظة سوف أنصب كل تركيزي وقواي وحياتي من أجل شيء واحد فقط.. الجهاد".

* * *

بعدما أنهى حمزة لقاءه مع أفراد جماعته والذي تحدث فيه عن تقدم جماعتهم والنصر الذي يحققونه، دخل غرفته وجلس على كرسيه وهو يشعر بنشوة النصر داخله ثم تحدث إلى نفسه قائلًا: "أراك اليوم تستحق أن تكون الأمير يا حمزة، فمنذ يومك الأول في ذلك المكان ويبدو عليك أنك تستحقها، بل وإنه لا يستطيع أحد هنا أن ينكر أنه قد فكر يومًا ما في أنني سأنالها".

ورغم ذلك لم ينس حمزة أبدًا بداياته مع تلك الجماعة عندما جاء به الشيخ طاهر وبصحبتهما شاب آخر أصغر منه سنًا كان يسمى علي،

وكان في استقبالهما جميع أفراد الجماعة وفي مقدمتهم رفعت الذي كان يتولى القيادة في غياب الشيخ طاهر وكان ذلك بتكليف وأمر من الشيخ نفسه وما كان من الجميع إلا السمع والطاعة.

وبعد فجر اليوم الثاني له في ذلك المكان كان قد اجتمع بهما رفعت القائد الأول لتلك الجماعة في غياب الشيخ طاهر، والذي كلفه الأخير بمسئولية تدريب علي وحمزة بنفسه، وكان الاجتماع يُعدّ تدريبهما الأول والذي كان دينيًا ونفسيًا في نفس الوقت، حيث بدأ رفعت الحديث بتوجيهه سؤالًا لهما: "هل يعلم أيًا منكما شيئًا عن حديث الرسول عن "الفرقة الناجية"؟".

- "أنا أعلم"، قالها علي بعدما هزّ حمزة رأسه علامة النفي، فسأل رفعت موجهًا سؤاله هذه المرة إلى علي: "ماذا تعلم؟".
- قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة"، وتلك الواحدة هي الفرقة الناجية.
- "عظيم"، قالها رفعت بعد ابتسامة قصيرة أظهرها على وجهه، ثم قال: "جميعنا نرى اليوم تلك الفرق والانقسامات التي

أصبحت موجودة بين المسلمين وبعضهم البعض، ولكن.. مَن منهم يسعى بصدق إلى تطبيق شرع الله؟ مَن منهم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ من منهم يقطع يد السارق ويجلد الزاني والزانية؟ مَن يُدافع عن المسلمين ويأتي إليهم بحقوقهم؟"، ثم بدأ رفعت يتحدث بصوت أعلى كأنه صعد إلى منبر ويخطب للجماهير قائلًا بتباهٍ وتفاخر: "إننا مَن يفعل ذلك، إننا يد الله في هذه الأرض ولن نخذله، إننا نحارب تلك الدول الكافرة التي لا تطبق الشريعة، فماذا تفعل الحكومات تجاه الكاسيات العاريات؟ لا شيء، ماذا تفعل تجاه المقاهي الليلة التي يُشرب بها الخمر؟ لا شيء، ولكن.. ماذا تفعل تلك الحكومات مع الذين يدعون لدين الله والجهاد في سبيله؟! جميعنا نعلم".

وظل علي وحمزة يستمعان إلى رفعت وقد بدأ يثور كلًا منهما بداخله رافضًا ما يحدث في هذا العالم الذي كان يعيش فيه، وكان علي يتفق مع رفعت دائمًا في كل ما يقوله بينما كان حمزة يسأل ويجادل أحيانًا، واختتم رفعت هذا الدرس بكلماته الأخيرة التي كانت: "ولكن قبل أن يجاهد

المرء هؤلاء الكفار يجب عليه أولًا أن يستعد لذلك ويجاهد نفسه ويتخلص من كل شهواته حتى يستطيع المثابرة.. يجب أن ينسى كل ما تعلق به في هذا العالم الفاسد، يجب أن ينسى كل شيء سوى الله وأوامره، فمَن أحق بنا الله أم العائلة؟ مَن أحق بنا الله أم الأصدقاء؟ مَن أحق بنا الله أم الوظائف والأموال؟ مَن أحق بنا الله أم الأراضى والأوطان؟ مَن أحق بنا الله أم أنفسنا نحن؟".

- "الله"، رددها علي وحمزة في كل مرة كان يتساءل فيها رفعت، الذي استطاع أن يبث في نفوسهما الحماس حتى أصبح كلًا منهما قد ازداد شوقًا للجهاد حتى مع اختلاف أسبابهما.

وبدأت تتوالى التدريبات كل يوم في الصباح والمساء التي كان منها النفسي والديني، وآخر بدني وقتالي عن طريق التدريبات القتالية وتعلم استخدام السلاح وصنع المتفجرات.

كان حمزة دائمًا هو الأكثر تفوقًا من علي في تلك التدريبات وقد لاحظ الجميع ذلك مما جعله يحتفظ بمكانة عالية عند الجميع، على الرغم من المخاوف التي كان يشعر بها القادة تجاهه من كثرة أسئلته وجداله الدائم في كل شيء.

وبعد أسابيع من التدريب تولى كلًا من حمزة وعلي مهامهما للقيام بها، وكان حمزة قد انضم للمجموعة المسئولة عن الاتصالات والبحث على الإنترنت ومتابعة كل ما يدور في العالم الخارجي، بينما انضم علي لمجموعة أخرى كانت مهامها هي معالجة المصابين والمرضى وكذلك المشاركة في بعض العمليات الجهادية.

❁ ❁ ❁

-16-

كان حمزة قد اعتاد أن يقوم بمتابعة جميع المهام التي كلف بها أفراد الجماعة بنفسه رغم ثقته الكبيرة بكل من علي ورفعت اللذين كانا يتوليان القيادة ويشرفان على كل شيء بأمر منه، وعندما كان حمزة يتابع الأعمال التي يقوم بها كلًا من موسى وعبد الرحمن زميلاه في السابق في تلك الغرفة الخاصة بأعمال التتبع والاتصالات ورصد كل ما يدور في وسائل الإعلام المختلفة، تذكر حمزة أوقاته في ذلك المكان الذي قد أحبه منذ يومه الأول فيه حيث كان هذا المكان أشبه بعالم آخر خاصًا بنفسه لما فيه من أجهزة تكنولوجية وإمكانيات ذات قدرات عالية لم يجد مثلها حمزة طوال حياته حتى في الشركة التي كان يعمل بها.

كما أنه قد اشتاق أيضًا لجلسات السمر التي كان يتحدث فيها مع موسى الذي تولدت بينهما علاقة صداقة قوية، وكان موسى يُشبه أحد الممثلين الأوروبيين حيث الشعر الأصفر والعينين الخضراوتين، وكانا يقضيان معًا أوقات كثيرة يتحدثان فيها دون خوف أو تردد، وفي يوم من الأيام كانا يجلسان بمفردهما في تلك الغرفة ويتحدثان كعادتهما وقد

تعجب وقتها حمزة ولم يكن يتخيل ما سمعه من موسى، والذى حكى له قصته منذ صغره حتى انضمامه لتلك الجماعة.

فكان موسى قد أخبره أنه وُلد في أسرة فقيرة تتكون من ثلاثة أفراد غيره هم والديه وأخته التي تكبره بسنتين والتي كانت تُدعى "سارة"، وقضى موسى سنوات صغره في بيت بالكاد كان يستطيع والده فيه توفير الطعام والملبس، كما أنه لم يحرمهما من حقهما في التعليم وكان قد أصرّ على ذهابه هو وأخته للمدرسة، ورغم تلك الحالة الفقيرة التي كانت فيها الأسرة إلا أنها كانت أسرة سعيدة لم يمنعها فقرها من الضحكات والأمل في الحصول على حياة أفضل.

عندما وصل موسى إلى المرحلة الإعدادية قرر أن يعمل حتى يساعد والده في مصاريف البيت، فعمل في أكثر من مهنة منها أنه عمل ميكانيكيًا ونجارًا وأيضًا بائعًا في محل بقالة، كانت تمر عليه السنوات وهو يزداد إصرارًا في أن يصبح شخصًا غنيًا وذا مكانة بين الناس، وكان اجتهاده وتفوقه ملحوظًا لجميع مدرسيه وزملائه حتى تنبأ له الجميع بدخوله أعلى الكليات، ولكنه لم يكن محظوظًا عندما أجبره مجموعه على

دخوله كلية التجارة، ولكن قد أنصفه الحظ بعد تخرجه من الكلية عندما حصل على وظيفة في إحدى الشركات الحكومية الكبرى.

استطاع موسى بعد ذلك أن يرتقي بأسرته من أسرة فقيرة إلى أسرة متوسطة وكان هذا يرضيه إلى حد ما حيث كان يتمنى أفضل من ذلك خلال السنوات القادمة، ولكن قد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد أصيب موسى بجلطة في المخ جعلته غير قادر على العمل مما أدى إلى فصله من العمل، وكانت حالته النفسية تزداد سوءًا فكان يعتقد أن الكون كله قد تآمر عليه، إلا أنه قرر عدم الاستسلام واليأس لمرضه وحاول العلاج والمعافاة مرة أخرى، وبالفعل استطاع ذلك حتى عاد لحالته الجيدة تدريجيًا وأصبح شخصًا كامل الأهلية وذا صحة جيدة.

ولكن قد صدمه الرفض الذي لاقاه عندما طلب عودته للعمل مرة أخرى وكان السبب أن الشركة لم تعد في حاجة لموظفين آخرين بل إنها تعمل على إنهاء الخدمة لكثير من الموظفين لديها.

وجد موسى نفسه وحيدًا يواجه مصيره حتى جاءته فرصة لم يكن يتخيلها عندما عرض عليه أحد الأشخاص والذي كان يصلي معه في المسجد دائمًا أنه يستطيع مساعدته.

كانت البداية بمساعدته بالحصول على عمل لدى أحد الرجال الذين يعملون بالتجارة وبمرتب كان أضعاف ما يحصل في تلك الشركة التي كان يعمل بها سابقًا، وكان الخير في زيادة مستمرة مع هذا الرجل الذي لم يبخل عليه بشيء بل كان عطاؤه كثيرًا ويفوق ما كان يريده، حتى جاء اليوم الذي طلب فيه ذلك الرجل رد الجميل ولكن ليس رده إليه هو بل لله صاحب هذا العطاء اللامحدود وذلك بنصرة الإسلام وشريعة الله، فكان ذلك هو بداياته مع تلك الجماعة التي لا يستطيع يومًا أن ينكر فضلها عليه وعلى أهله.

* * *

كانت خديجة تجلس أمام التليفزيون تشاهد المسلسل التركي الذي شاهدت كل حلقاته من قبل ولكنها قررت أن تتابعه للمرة الثانية، كما أنها كانت تحمل بين يديها طفلها الذي بلغ من العمر سنة واحدة، وأثناء ذلك جاء وليد حاملًا في يده صينية صغيرة عليها كوبين من النسكافيه ثم وضعها على طاولة صغيرة أمامهما قبل أن يجلس بجوار خديجة، ثم قال لها: "أعطيني علي لكي أحمله قليلًا".

فوضعت خديجة قبلة على رأس طفلها قبل أن تعطيه لزوجها، ثم بدا عليها أنها تذكرت فجأة أمرًا ما فقالت: "لقد نسيت أن أخبرك.. إن علياء قد اتصلت بيّ اليوم".

- "كيف حالها؟"، سأل وليد باهتمام، فجاوبته خديجة: "إنها بخير.. لقد أخبرتني أنها ستأتي هي وكريم لقضاء أسبوع في الأقصر وأسوان".

فقال وليد بطريقة يبدو فيها اللوم والحزن: "إنه نذل.. لم يتصل بيّ منذ يوم خطوبته سوى مرة واحدة فقط".

فقالت خديجة مدافعة عن كريم بصوت هادئ: "لا تظلمه.. فأنت تعلم أنه يعمل في وظيفتين طوال اليوم حتى يستطيع أن يُجهز نفسه للزواج بعد سنتين.. كما أن كريم هو أعز صديق لك ويجب أن تتحمله في ظروفه".

فعادت الابتسامة على وجه وليد وبدا عليه الاقتناع بما قالته خديجة، والتي أكملت بصوت يبدو فيه الحرج: "إنني قد دعوت علياء للإقامة معنا خلال تلك الزيارة.. ولكنها أخبرتني بأن كريم قد حجز لهما في

إحدى الفنادق وأنها لا تعرف ماذا سيكون رأيه في ذلك، لكنني أصرّيت على أنهما لن يُقيما إلا معنا خلال تلك الزيارة".

- حسن ما فعلتِ.. فإنني كنت أفكر بالفعل في دعوتهما لذلك.
- "إذن اتصل بكريم وأخبره بالأمر"، قالت خديجة مشجعة وليد على تلك الفكرة، فقال وليد بجدية تامة: "سأفعل".

بعد ذلك مالت خديجة برأسها على كتفه وقالت: "بحبَك".

فتوجه إليها وليد بنظره وعلى وجهه ابتسامة عريضة ثم مال برأسه لأسفل ووضع قبلة على رأس خديجة.

* * *

كان قد انتشر بين جميع أفراد الجماعة نبأ عودة المجاهد العظيم والقائد "الشيخ عبد العزيز" والذي لم يره أو يقابله سوى عدد ضئيل جدًا من أفراد الجماعة الموجودين في الوقت الحالي، بينما كان الغالبية قد سمعوا فقط عن بطولاته وتأثيره في نشأة تلك الجماعة قبل ذهابه إلى أفغانستان لنصرة إخوانه من الجماعة الكبرى هناك منذ أكثر من عشرين عامًا، وكان حمزة قد أمر بقيام مراسم لاستقبال هذا القائد العائد والاحتفاء به بعدما علم بموعد حضوره من الشيخ طاهر والذي أخبره أيضًا أنه سيأتي معه.

وبالفعل كان استقبال الشيخ عبد العزيز حدثًا غير مسبوق لأحد من قبله، وذلك عندما جاء ومعه الشيخ طاهر وكذلك شيخ ثالث كان يُدعى خالد والذي فرح علي كثيرًا لرؤيته واحتضنه عندما رآه، وقام الشيخ طاهر بتقديم الشيخ عبد العزيز لأفراد الجماعة وألقى خطبة صغيرة عن بطولاته وعبقريته التي كانت سبب لنصرة تلك الجماعة دائمًا.

ولكن الغريب في الأمر هي الطريقة التي استقبل بها حمزة ذلك القائد العظيم عندما تقابلا وجهًا لوجه فلم يقدم له الاحتفاء المتوقع ولم يُبد سعادة كبيرة بعودته، بل وإنه لم يحضر مراسم الحفل واكتفى فقط بمقابلة لا تتعدى العشر دقائق عندما وصل الشيخان عبد العزيز وطاهر مُعللًا ذلك بشعوره بأنه مريض، ولكن لم يكن هذا سببًا مُقنعًا للجميع حيث إن بعض أفراد الجماعة كانوا يتحدثون فيما بينهم عما حدث وأن الأمير ربما يشعر بالغيرة تجاه هذا القائد العظيم الذي يعرف الجميع بطولاته بل وإن الأمير ربما يخشى أن تنتقل منه الإمارة إلى الشيخ عبد العزيز، لكن في حقيقة الأمر كان هناك سبب آخر لا يعلمه أحد سوى أميرهم فقط.

فعندما وصل الشيخ طاهر ومعه القائد الشيخ عبد العزيز كان حمزة في مقدمة الذين استقبلوهما، وكان يشعر بسعادة كبيرة للقائه بهذا الشيخ

الذي أخبره رفعت أنه ذو مكانة كبيرة بين الجماعات كلها وأن الجميع يسعى للقائه ولو لمرة واحدة فقط، ولكن قد انطفت تلك السعادة وذهبت في طي النسيان فجأة عندما اقترب حمزة من الشيخ عبد العزيز ليحتضنه بعد أن صافحه، وبدا على حمزة التوتر والذي قد زاد عندما قال له الشيخ عبد العزيز: "أشعر وكأنني أعرفك.. هل تقابلنا من قبل؟".

- "لا أعتقد ذلك"، قالها حمزة محاولًا إخفاء توتره الذي لم يلحظه أحد سوى الشيخ عبد العزيز، والذي لم يُعلق واكتفى بابتسامة فقال حمزة في نفسه: "ليس من الممكن أن يكون هو!"

* * *

كان يجلس كلًا من علي ورفعت والشيخ طاهر والقائد عبد العزيز ومعهم الشيخ خالد أيضًا في جلسة تبدو كأنها اجتماع مُصغر بينهم وكان علي يتحدث قائلًا: "أعتقد أنه قد حان الوقت لنقل الإمارة إلى الشيخ عبد العزيز".

- "بالطبع.. فهو القائد الأكبر لنا جميعًا"، كانت هذه كلمات رفعت التي خرجت منه بتلقائية، فنظر إليهما الشيخ طاهر دون أن يُعلق بكلمة ثم تحول بنظره إلى الشيخ عبد العزيز والذي

تحدث قائلًا: "لن تنتقل الإمارة لأحد، وسيظل حمزة الأمير كما هو، فالجهاد أو القيادة لا تحتاج لمنصب بل تحتاج إلى العمل والتضحية، كما أن حمزة قد أثبت كفاءته وجدارته لذلك المنصب".

- ولكن جميعنا نعلم أنه لم ينضم لتلك الجماعة ليقين بداخله أو معتقده بواجبه نحو الجهاد وإنما لسبب آخر خاص به، وأنه ربما سيأتي يوم ونجد فيه حمزة قد...
- "وقتها سيكون لنا حديث آخر"، قالها الشيخ طاهر مقاطعًا علي الذي لم يُكمل جملته، فهز الجميع رؤوسهم علامة الموافقة.
- "هناك سؤال ما يحيرني ولكنني أخشى أن أسأله"، قال علي ذلك بتردد واضح، فتوجهت إليه كل الوجوه متسائلة عن ذلك السؤال الذي يريد علي أن يطرحه عليهم، ثم قال الشيخ عبد العزيز: "ما هو ذلك السؤال؟".

فظل علي صامتًا للحظات كأنه يستجمع قواه وشجاعته لينطق بسؤاله الذي وجهه للشيخ عبد العزيز: "ما هو السبب في مجيء فضيلتك الآن؟ وخاصةً أنك ترفض الإمارة".

- "السبب هو دعوة من إخواننا بعد توليهم الحكم، فربما حان الوقت لتغيير هذا العالم وإقامة شريعتنا"، قال ذلك الشيخ عبد العزيز الذي كان واضحًا وصريحًا في كلامه، ثم تحدث الشيخ طاهر قائلًا: "إننا عانينا لسنوات كثيرة حتى تأتي هذه اللحظة المنتظرة والتي نتولى فيها الحكم لنخرج من مخبأنا ونظهر للجميع بعد أن امتلكنا القوة التي كنا نحتاجها لذلك، وبعد أن مرت سنة كاملة على حكمنا للبلاد فإنه لا داعي الآن للانقسامات فيما بيننا وخصوصًا بعد أن علمنا جميعًا بأمر الدعوات التي يدعوها بعض الشباب للتظاهر لإسقاط حكمنا، ليس مهمًا الآن مَن يكون فينا الأمير ومَن يكون المطيع للأوامر.. ولكن المهم هو نصرة إخواننا الموجودين في الحكم فهم يحتاجوننا بجانبهم في ذلك الوقت ويجب ألا نخذلهم".

فهزّ الجميع رؤوسهم متفهمين لما قاله الشيخ عبد العزيز ومقتنعين ومطيعين أوامره لنصرة إخوانهم ولعدم خلق أي صراعات داخل الجماعة في ذلك الوقت تحديدًا.

* * *

كان علي يجلس مع الشيخ خالد بمفردهما بعدما دعاه علي للمبيت معه في خيمته وظلا يتحدثان طوال اليوم عن ذكرياتهما في السابق، فتحدث علي عن التغيير الذي حدث في نفسه مما رآه في محبسه من ظلم يقع على المجاهدين الأبرار الذين يدعون لقيام شريعة الله، في حين كان الشيخ خالد يبدو سعيدًا بهذا التغيير وهو يرى أن دروسه وتعاليمه قد آتت بثمارها ليس فقط مع علي وإنما مع العشرات من الشباب الذين انضموا لتلك الجماعة مؤخرًا بعد تولى إخوانهم لحكم البلاد.

وفي نفس الوقت كان حمزة في خيمته جالسًا على كرسيه وواضعًا رأسه على حافته وينظر بعينيه لأعلى، وكان يفكر في ذلك الرجل الذي قابله اليوم وهو لا يُصدق هواجسه بل يقينه عن ذلك الرجل وعادت إلى ذهنه بعض الذكريات التي اعتقد أنه قد استطاع نسيانها فنزلت دموعه دون أن يحاول اعتراضها وتركها فربما تحمل معها راحته بعد ذلك، فكان متأكدًا أنه هو ذات الرجل الذي قد كرهه طوال حياته دون أن يتعرف عليه كثيرًا.

وبعد دقائق قليلة كان قد أغمض فيها حمزة عينيه فتحها مرة أخرى محاولًا نسيان ذلك الأمر والإعداد للفترة المقبلة ولكنه قد وقع نظره على

شيء لم يخطر على باله يومًا بل شعر حمزة أنه قد تفاجأ بوجوده فتوجه إليه مسرعًا كغريق يحاول الوصول لطوق النجاة.

وكان ذلك الشيء هو شنطته التي جاء بها إلى هذا المكان والتي كانت تحمل بداخلها شخصية إنسان آخر غيره، وعندما فتحها حمزة كان أول شيء وقعت عليه نظراته هي تلك المفكرة التي مرّ عليها سنوات دون أن يكتب فيها شيئًا فابتسم حمزة وحملها بين يديه ثم فتحها بطريقة عشوائية حتى وجد كلمات كان قد كتبها بخط يده والتى كانت: (أحيانًا تمر بنا أوقات لا نعرف فيها إلى أين نذهب أو نهرب من تلك الحياة والظروف الصعبة، ولكنني دائمًا ما كنت أهرب إلى تلك السماعة وسماع أغنيتي المفضلة، ولكن تبقى المشكلة الأكبر وهي التي تبدأ عندما تنتهي تلك الأغنية فأعود إلى نقطة الصفر مرة أخرى).

فنظر حمزة بداخل الشنطة مرة أخرى ولمعت عيناه وظهر فيها بريق بعدما وقع نظره على تلك السماعة، فأمسكها ووضعها حول أذنيه ثم قام بالضغط على زر التشغيل فجاءته الموسيقى التي كانت في مقدمة أغنياته المفضلة وظل حمزة وهو يسمع تلك الأغنية يتمايل معها برأسه ويرددها بصوت لم يسمعه غيره متذكرًا الأيام الخوالي.

فكان حمزة قد ذهب بخياله إلى عالم آخر كان دائمًا ما يذهب إليه عندما يسمع تلك الأغنية، ولكنه قد عاد مرة أخرى إلى عالمه الجديد عندما سمع طرقًا على الباب، فخلع السماعة من أذنية وأخفاها داخل الشنطة مرة أخرى ووضعها تحت سريره ثم اتجه ناحية الباب بخطوات بطيئة وفتحه.

كان يقف خلف الباب شاب في أوائل العشرينيات من عمره طويل وذو بنية قوية يبدو عليه ملامحه الجادة دائمًا وكان يُدعى "عمار".

- "ما الأمر يا عمار؟"، قالها حمزة عندما وجد عمار هو من يقف خلف الباب والذي كان متوترًا ويبدو عليه غضب شديد، فقال عمار: "إنه شيء لم يكن في الحسبان".
- ما هو؟
- لقد تم عزل الرئيس.

* * *

بعد عدة مظاهرات ومسيرات لم تؤت بثمارها قرر الشعب كله الاحتشاد هذه المرة فنزل الملايين إلى ميدان التحرير وجميع ميادين مصر تطالب بإسقاط النظام وإسقاط حكم المرشد وجماعة الإخوان، تلك

الجماعة التي خانت الوطن وثورة الخامس والعشرين من يناير، وليس ذلك فقط بل وإنها قامت بتكفير المجتمع وادعاء أنه جاهل يحب الاستعباد، فأرسلت تهديداتها إلى كثير من الإعلاميين والسياسيين بل إنها هدّدت المجتمع كله بالعنف وسفك الدماء، ولكن الشعب قد أبى ونزل الميادين دون خوف حتى استجاب الجيش وجميع المؤسسات لندائه بعدما فشلت كل الطرق السياسية، فتم عزل الرئيس.

-17-

كان العشرات من الرجال يجلسون في الخلاء أمام خيمة كبيرة مُنتظرين خروج القائد للتحدث إليهم بعدما طلب حضور الجميع لهذا الاجتماع الطارئ، وكانوا يتهامسون مع بعضهم البعض مُتسائلين عن سبب هذا الاجتماع الطارئ ومن بينهما رجلان سأل أحدهما الآخر: "هل لديك أي معلومات عما سيتحدث فيه الأمير هذه المرة؟".

فجاوبه: "لا.. ولكنني سمعت أنه سيتحدث عن عمليات جديدة قادمة ستكون أكثر خطورة وأكبر تأثيرًا".

ثم ساد السكون يملأ المكان عندما خرج الأمير ومعه الشيخ طاهر مُتكئًا على عصاه التي كان يمسكها مؤخرًا وأيضًا الشيخ عبد العزيز، فجلسوا على الكراسي التي وُضعت من أجلهم، ثم تحدث الشيخ طاهر في البداية قائلًا: ""قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم" صدق الله العظيم، إن هذا أمرٌ واضح يا إخواني ولا جدال فيه فالله قد أمرنا بقتال هؤلاء الكفرة بل بتعذيبهم حتى يعلو دينه وتُطبق شريعته في كل مكان، إن الله

يعدكم النصر كما يعدكم الجنة وحوريات العين أيضًا، أليس هذا هو النصران العظيم؟!".

كان ينصت إليه الجميع باهتمام حتى أنهى كلامه، ثم تحدث حمزة بصوت يتخلله الغضب قائلا: "منذ اليوم سنبدأ الحرب ضد هذه الدولة الكافرة التي تصرّ على عدم تطبيق شرع الله، سنبدأ الحرب ضد هؤلاء الانقلابيين الذين قتلوا الأبرياء من إخواننا، سنسعى في الأرض رافعين راية الإسلام دون رحمة أو شفقة بأي ظالم وكافر من هؤلاء، سننصر إخواننا ونحررهم من هذا الفساد والظلام الذين يعيشون فيه".

فصاح الرجال الجالسون جميعًا بصوت واحد وعالٍ يرددون: "الله أكبر.. الله أكبر".

* * *

بدأت البلاد تعيش حالة من القلق والحزن لما حدث خلال الأيام القليلة الماضية من تفجيرات وهجمات إرهابية قد استهدفت الكمائن وأقسام الشرطة راح ضحيتها العديد من الضباط والجنود، وقد أقيم لهم جنازات عسكرية تقدمها وزير الدفاع ورئيس الوزراء ووزير الداخلية وشيخ الأزهر وكثير من المسئولين والشخصيات العامة.

كما تم اغتيال أحد القضاة أمام بيته والذي كان يعمل على قضية لها علاقة بالجماعات الإرهابية وهروب بعض أعضائها من السجون، والذي تم تهديده أكثر من مرة بعدم الاستمرار في هذه القضية إلا أنه أصرّ على أداء واجبه والقيام بعمله دون أن يتأثر بأي تهديد.

وبعد أن هدأت الأوضاع قليلًا وعادت الحياة لطبيعتها مرة أخرى، استيقظ الناس على خبر انفجار آخر استهدف حافلة تنقل السياح في مدينة الأقصر، مما أثار الفزع في نفوس الناس، حيث إن هذه العمليات الإرهابية قد استهدفت مواطنين عاديين هذه المرة، وأعلنت الحكومة حالة الطوارئ في البلاد، كما زادت الاجتماعات واللقاءات المختلفة ونُشرت البيانات التي تُندد بالإرهاب وترفضه بل وتحرِّمه.

وقد أعلنت جماعة "أبناء العِزة" عن قيامها بهذه العمليات والتفجيرات في بيان لها على الإنترنت، قد نشرته بعد ذلك جميع الصحف والمواقع المختلفة، كما أنها أعلنت في نفس البيان عن نواياها بالقيام بالكثير مثل هذه العمليات إن لم يتم الإفراج عن أفرادها المُعتقلين في السجون وإعادة رئيسهم للحكم مرة أخرى، كما دعت أيضًا كل مَن يريد تطبيق شرع الله أن يخرج بالسلاح مواجهًا كل أفراد الجيش

والشرطة بل مواجهًا الدولة كلها والتي يعتبرونها دولة كافرة لا تطبق شرع الله.

وكانت عائلة وليد تجلس مع بعضهم البعض وبينهم خديجة يشاهدون الأخبار وبرامج التوك شو لمتابعة ما يحدث في البلاد، حيث أن الجميع كان قلقًا بشأن ما حدث من عمليات إرهابية كانت تهدد أمن البلاد بعد عزل الرئيس، وكان يبدو عليهم الحزن وهم يتابعون الضحايا الأجانب الذين قُتلوا في العملية الأخيرة التي استهدفت أتوبيسًا كان ينقلهم، وأثناء ذلك رن هاتف خديجة فأمسكته ووجدت المتصلة هي صديقتها علياء فقامت وذهبت لغرفة أخرى مجاورة للتي كانوا يجلسون فيها، ثم ضغطت على زر الرد فجاءها صوت علياء: "خديجة.. كيف حالك؟".

- بخير الحمد لله.. أنتِ ما الأخبار عندك؟
- الحمد لله.
- "مفيش جديد؟"، قالتها خديجة وبدأت دقات قلبها تزداد من سرعتها حتى كادت تتوقف بعد أن قالت لها علياء: "لا شيء.. لكني سوف أستمر في البحث؟".

- طيب.

ثم عاد الصمت للحظات كانت فيها خديجة قد مسحت دمعة نزلت دون إرادتها، ثم قالت: "لقد اشتقت لرؤيتك.. متى ستأتين؟".

- عندما تهدأ الأوضاع بإذن الله.

- إن شاء الله.

- خلى بالك من نفسك.

- حاضر.. وأنتِ كمان.

ثم أغلقت خديجة هاتفها وعادت لتجلس كما كانت مع عائلة وليد التي كانت ترتفع أصواتها أثناء مناقشتهم وإبداء آرائهم في الأحداث التي كانت تدور في البلاد.

* * *

كان حمزة يتابع ردود الأفعال المُنتشرة على الإنترنت وبعض الصحف العالمية حول الأحداث الماضية والتفجيرات الأخيرة التي اجتاحت البلاد ونشرت الرعب والفزع في نفوس المواطنين، كما أنه عن

طريق الصُدفة رأى صورة تضم بعض ضحايا الحافلة التي كانت تنقل السياح الأجانب، ومن النظرة الأولى لها قد تعرف حمزة على إحدى هؤلاء الضحايا والتي لم يغب وجهها يومًا من ذاكرته.

أمنية مراد البالغة من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا والتي تعمل مرشدة سياحية قد راحت ضحية العملية الإرهابية الموجعة، هكذا كان الخبر أسفل صورتها.

لم يصدق حمزة عينيه وشعر كأنه تلقى صفعة على وجهه، لكنه سرعان ما عاد إليه البرود وتحولت تعبيرات وجهه إلى تعبيرات جامدة لا تُظهر أي شيء، فلم تدمع عيناه ولم يشعر بالذنب أو بتأنيب الضمير تجاه تلك الفتاة التي طالما ما كانت تشاركه كل ذكريات صباه.

تلك الفتاة التي قالت له يومًا ببرائة طفولية حقيقية إنها تحبه وستظل بجواره دائمًا ولن تتركه أبدًا، لكنها لم تستطع أن تفي بوعدها بعدما أخذها والدها وسافر بها إلى إحدى الدول الخليجية للعمل هناك، وقد انقطعت أخبارها عنه تمامًا ولم يتحدثا بعدها مرة أخرى، وربما كان ذلك هو أكثر ما يتذكره حمزة عن أمنية.

ثم أكمل حمزة بحثه على الإنترنت وظل يتابع كل التعليقات التي دارت حول العمليات الأخيرة والتي تمت كلها تحت قيادته، فابتسم حمزة ولم يكن يشعر بشيء داخله سوى نشوة النصر.

وقد زادت ابتسامته تلك عندما تذكر العملية الأولى التي كانت تحت قيادته والتي كانت لها ذكرى سيئة في نفسه.

فكان حمزة قد شعر بإحباط شديد وليس هو فقط بل وجميع أعضاء جماعته وذلك بسبب فشل أولى العمليات التي كانت تحت قيادته بصفته الأمير الجديد للجماعة، وبدأ البعض منهم يتحدث عن حمزة وغروره بعد توليه منصب الأمير والذي كان شيئًا غير متوقعًا بالنسبة لهم، لكنه كان أمرًا من الشيخ طاهر وما على الجميع سوى السمع والطاعة.

ولكن لم تمر سوى أيام قليلة حتى خيَّب حمزة ظن هؤلاء وأثبت جدارته بعدما أعدّ خطة لعملية جديدة كبيرة، كانت تستهدف أكثر من هدف في نفس التوقيت وليس هدفًا واحدًا فقط كما اعتادوا من قبل، فاجتمع حمزة مع أعضاء الجماعة وتحدث إليهم قائلًا: "لا يوجد ما يسمى فشل أو نجاح، ولكننا نحيا ونعيش في اختبارات لا يهم نتيجتها ولكن المهم هو المحاولة، فليس مِنا الجبناء، وليس مِنا الضعفاء، يتحدث

البعض عن فشل العملية السابقة ويرددون تلك الكلمات، "لقد قُتل إخواننا.. لقد ذهبت دماؤهم هباءً"، لكنني أقول لهم.. لا.. إن إخواننا قد نالوا الشهادة، إن إخواننا أحياء يتمتعون بالجنة وبكل ما فيها، فمن منكم ينتظر الشهادة؟ من منكم يريدها حقًا؟".

فصاح الجميع: "الله أكبر.. إننا نريدها".

فابتسم حمزة وقد عادت ثقته بنفسه مرة أخرى، وبالفعل نجحت العمليات المتتالية التي كانت تحت قيادته وبتخطيط منه وعظم شأنه وسط أفراد جماعته في ذلك الوقت.

❁ ❁ ❁

-18-

كان الشيخ طاهر قد اشتد عليه المرض ولم يعد يستطيع التحرك من سريره رغم محاولات الكثير من الأطباء لمعالجته، وذلك بسبب إصابته بتورم في المخ قد نتج عن صدمة شديدة تعرض لها الشيخ، وكان الكثير من تلامذته وأتباعه يزورونه بصفة مستمرة للاطمئنان على حالته، وقد زادت حالته سوءًا أكثر بعدما سمع أخبارًا كانت منتشرة عن إصدار أوامر بالقبض عليه.

وكان حمزة قد أرسل أحد الأفراد التابعين للجماعة لزيارة الشيخ لمعرفة حالته التي قد وصل إليها والاطمئنان عليه، وكذلك لتسليم الشيخ رسالة يحملها معه قد كتبها حمزة إليه وقد أمر بتسليمها إلى الشيخ نفسه ولا أحد غيره، وبالفعل قد تسلم الشيخ الرسالة وفتحها ليقرأ مضمونها وكان ذلك في حضور توفيق، ذلك الشخص الذي كان يحمل الرسالة، والذي كان شابًا أسمر طويلًا له شعرًا مجعدًا وتبدو ملامحه غاضبة تمامًا كأنه لم يبتسم أبدًا.

وكانت الرسالة تحتوي في مقدمتها اعتذار حمزة وأسفه على سماعه خبر مرض الشيخ والدعاء له بالشفاء العاجل، كما كان مضمونها هو دعوة حمزة للشيخ بالإقامة معه بين أفراد جماعته وأخبره أنه مستعد لإرسال مجموعة من الرجال لإحضاره بمجرد أن تصله الموافقة على ذلك، حيث يكون الشيخ بين أبنائه وتلامذته الذين سيوفرون له الرعاية الكاملة التي يحتاجها كما أنه قد وصلته أيضًا أنباء عن الأوامر التي صدرت لاعتقاله، ولم يكن أمام الشيخ شيء سوى موافقته على تلك الدعوة وطلب من توفيق أن يُخبر حمزة بالإسراع في ذلك الأمر.

بالفعل لم تمر سوى بضعة أيام حتى كان الشيخ قد تم نقله إلى المكان حيث تُقيم الجماعة، وقد أمر حمزة بتعيين مجموعة من الأفراد لخدمة ورعاية الشيخ الذي كانت تزداد حالته سوءًا يومًا بعد يوم وكان أول من كلف نفسه بالاهتمام بالشيخ هو علي الذي أصر على التواجد بجواره دائمًا لرعايته بنفسه.

كان حمزة قد أمر باجتماع طارئ لجميع أفراد الجماعة ليخبرهم فيه عن تفاصيل عملية جديدة كان قد أعدّ خطتها، والتي كانت تستهدف هذه المرة مجموعة من المدنيين كما اختار حمزة لها موقعًا لم تكن جماعته قد

نفذت فيه أي عمليات من قبل، كما أمر حمزة أيضًا أن يكون علي هو قائد المجموعة التي ستقوم بتنفيذ تلك العملية وقد اندهش علي لهذا الأمر ولكنه لم يكن بيده شيء يفعله سوى السمع والطاعة، وقد حثه الشيخ طاهر على تولى تلك العملية والنجاح فيها مما جعل علي متحمسًا بعد ذلك لتلك العملية.

كان الشيخ عبد العزيز في ذلك الوقت يقوم بدور إرشادي ويقدم المشورة في كل الأمور رغم اختلافه الدائم مع حمزة في الأراء عند وضع الخطط والمهام، ورغم ذلك كان حمزة يقبل برأي الشيخ عبد العزيز في كثير من الأحيان مجاملة للشيخ طاهر حتى لا يزيد حالته سوءًا.

كان علي في خيمته -بعد أن تسلَّم كل تفاصيل المهمة التي قد تم تكليفه بها- يستعد للرحيل عند الفجر مع الرجال الذين يرافقونه في تلك العملية الجهادية، والتي كان علي يراها بسيطة ولا داعي للقلق منها كما أنه توقع أن تكون نتائجها كبيرة وتعهد في نفسه أن ينجز تلك العملية بنجاح ليسعد الشيخ طاهر الذي كان يعتبره كوالده والذي كانت حالته تزداد انهيارًا بعد تمكن المرض منه.

ولم يتفاجأ علي عندما جاء إليه رفعت ليطمئن عليه فكان قد قضى معه شهورًا بل سنوات يعتبره فيها الأخ الأكبر كما تولدت بينهما مشاعر صداقة حقيقية، وطلب منه رفعت أن يحترس ويحافظ على نفسه أثناء تلك المهمة، وبعدما ذهب رفعت شعر علي بشيء غريب ينتابه وبدا عليه القلق دون أن يعرف السبب في ذلك لكنه صلى ركعتين وقرر النوم ليرتاح قليلًا قبل أن يغادر.

* * *

"لم أستطع أن أنسى تلك الذكرى الموجعة يومًا ما، والتي كانت أثناء سفرنا بالقطار لحضور زفاف "ندى" الابنة الوحيدة لأحد أصدقاء أبي رحمه الله، وكان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات، وما حدث هو أنه قد اصطدم القطار بحافلة كانت تنقل طلبة في المرحلة الابتدائية، ونتج عن ذلك وفاة جميع الطلبة بل وكان البعض منهم قد تحول لأشلاء نتيجة الاصطدام الشديد وقد أرعبني ذلك المشهد الذي رأيته كما أنني وقتها كنت في نفس العمر لهؤلاء الطلبة، ومنذ ذلك اليوم وأنا لا أستطيع أن أركب قطارًا أبدًا لما أحمله من ذكرى سيئة في قلبي تجاهه"، كانت تلك الكلمات لعلياء والتي قالتها لكريم منذ بضعة شهور، لكنها الآن في

طريقها إلى الأقصر جالسة بجوار كريم على متن القطار بعد أن استطاعت التغلب على مخاوفها من ذكراها المؤلمة بمساعدة كريم، الذي وعدها بأنه سيحميها من أي شيء وأنها ستكون بأمان دائمًا وهي معه.

وبينما كان كريم ينظر إلى هاتفه المحمول ظهرت على وجهه ابتسامة عريضة ثم قرّب هاتفه إلى علياء وقال لها: "هل تتذكرين تلك الصورة؟".

- "بالطبع"، قالتها علياء بعد أن نظرت إلى الصورة وضحكت، ثم مالت برأسها لتضعها على كتف كريم لتشاهد معه باقي الصور التي كان يحتفظ بها على هاتفه ويعرضها.

وكانت تلك الصورة تعود إلى يوم خطبتهما منذ سنة تقريبًا والتي كانت تجمعهما مع وليد وخديجة، وكان السبب في ابتسامة كريم وضحكة علياء عندما شاهدا الصورة هو الوضع الذي كان فيه جميعهم، فكانوا يجلسون متجاورين وكان كريم يمسك بيد علياء ويضع قبلة عليها في حين كانت علياء تضع قُبلتها على رأسه، بينما كان وليد قد انحنى قليلًا ليضع قبلة على بطن خديجة المنتفخة والتي كانت تحمل

بداخلها ابنهما الذي لم يكن يتبقى على ولادته سوى بضعة أيام قليلة في حين كانت خديجة قد أحاطت زوجها بذراعيها.

وبينما كان كريم يشاهد الصور الواحدة تلو الأخرى وهو لا يزال يحتفظ بابتسامته، قالت علياء: "ما زالت تحيرني تلك الصدفة التي جمعتنا مع بعضنا البعض لأول مرة".

- إنها ليست صدفة كما تعتقدين.

فتوجهت علياء بنظرها إلى كريم مُندهشة مما قاله دون أن ترفع رأسها من على كتفه، ثم سألته: "وماذا تكون إن لم تكن صدفة؟!".

- إنه القدر.

* * *

كان وليد في انتظار علياء وكريم عند المحطة في الميعاد المحدد لوصول القطار ولكنه ظل مُنتظرًا ساعة كاملة قد تأخر فيها القطار الذي لم يأت بعد، وكان يبدو عليه القلق والتوتر كلما أمسك هاتفه ليتصل بكريم مرة وبعلياء مرة أخرى ولكن دون جدوى حيث كانت هواتفهما مغلقة ولم يستطع الوصول إليهما، كما أنه كان يجيئه اتصال كل خمس دقائق من

خديجة التي كانت تستفسر منه عن سبب تأخر القطار مرة وتسأله عن وصوله مرة أخرى.

وبعد أن تم وليد الساعة والنصف منتظرًا فيها أصدقاءه وصل أخيرًا القطار سالمًا والتقى بكريم وعلياء اللذين اعتذرا له عن تأخر القطار وعلى نفاذ بطارية هواتفهما، وقد عادت لوليد ابتسامته بعدما التقى بهما واطمأن عليهما ثم أخذهما في سيارته مُتجهًا لبيته بعدما اتصل بخديجة ليُطمئنها.

كانت خديجة قد أعدت الطعام وقامت بتجهيز الغرفتين اللتين سيُقيم بهما كلًا من كريم وعلياء أثناء زيارتهما، وجلس الجميع على المائدة وتناولوا الطعام وهم يتبادلون الأحاديث عن أحوالهم ويتذكرون بعض المواقف المضحكة التي جمعتهم، ثم أخبرتهم خديجة عن البرنامج الذي أعدته لهم خلال تلك الزيارة والذي سيبدأ مساء ذلك اليوم بعد أن يرتاح علياء وكريم من عناء السفر في الغرف التي أعدتها خديجة لهما.

في مساء نفس اليوم خرج الجميع لزيارة سريعة إلى معبد الكرنك وطريق الكباش، وقد التقطوا لأنفسهم بعض الصور الفوتوغرافية بجانب التماثيل والآثار الموجودة.

في اليوم التالى ذهبوا إلى مقهى بجانب السوق الكبير ليقضوا فيه بعض الوقت قبل أن يذهبوا للسوق.

وبعد ساعة مضت أخبرتهم خديجة أنه قد حان وقت الذهاب للسوق لمشاهدة المعروضات في المحلات التجارية وشراء ما يريدون، ولكن قد اعتذر لها وليد قائلًا: "هل يمكننا الذهاب للسوق غدًا؟".

- "إننا سنزور غدًا أماكن عديدة وربما لا نستطيع الذهاب للسوق بعد ذلك، ولكن لماذا لا يمكننا الذهاب إليه الآن؟"، قالت خديجة بطريقة ترجو فيها الموافقة، ولكن جاءها رد كريم غير المتوقع: "في الحقيقة إنني أشعر بإرهاق شديد ولا أستطيع التسوق الآن".

فتحولت نظرات خديجة بين الجميع وهي تشعر بالخجل، ولكن جاءت كلمات علياء الموجهة لكريم لتنقذها من ذلك الموقف المُحرج قائلة: "إذن يمكننا الذهاب أنا وخديجة للتسوق سريعًا، بينما تظل أنت ووليد هنا في المقهى حتى نعود"، فقال وليد مُتحمسًا: "إنها فكرة رائعة، كما أنني أريد أن أتحدث مع صديقي بمفردنا".

وبالفعل ظل وليد مع كريم جالسين في المقهى في حين ذهبت علياء مع خديجة التي كانت تحمل طفلها إلى السوق.

* * *

كان علي مُتنكرًا في زي رجل خليجي ويمسك في يده شنطة سفر صغيرة ويتجول بها في السوق الكبير بمدينة الأقصر، كما كان يتبعه اثنان من جماعته يراقبان المشهد من بعيد لتنفيذ الخطة المُتفق عليها، ثم دخل على إحدى المحلات كأنه يشاهد البضائع المعروضة فيه وترك الشنطة التي كان يمسكها عند إحدى جوانب المحل وظل يسأل البائع عن بعض الأشياء المعروضة، والتي اشتراها ثم ذهب تاركًا الشنطة التي كانت معه دون أن يلاحظ أحد ذلك، وعندما وجدها صاحب المحل حاول اللحاق به لكن علي كان قد اختفى تمامًا فترك الرجل الشنطة داخل محله معتقدًا أن صاحبها سيعود ليأخذها.

صعد علي إلى السيارة التي كانت في انتظاره والتي كان يركب فيها أيضًا الرجلان اللذان كانا يتبعانه، ثم استبدل ملابسه وانطلقت بهم السيارة مُسرعة بعدما أخذ علي الهاتف المحمول من الرجل الذي كان يقود السيارة.

ظل علي لدقائق ينظر لساعته أكثر من مرة حتى أشارت عقاربها إلى تمام الساعة العاشرة، فقام علي بكتابة الرقم الذي كان يحفظه جيدًا ثم ضغط على زر الاتصال.

* * *

كانت خديجة وعلياء يتجولان في السوق ويشاهدان البضائع المعروضة في المحلات، وقد اشترت علياء بعض الهدايا لوالدتها وكريم كما اشترت خديجة بعض الملابس لطفلها الصغير علي.

توقفت خديجة وعلياء أمام إحدى المحلات وقالت علياء: "إنني بدأت أشعر بإرهاق شديد، ربما يجب علينا العودة".

- "إنني قد اشتريت كل ما أحتاجه، هل تريدين شراء شيء آخر قبل أن نعود؟"، ردت عليها خديجة، فقالت علياء مرة أخرى: "لا أعرف، ولكنني أكتفى بما اشتريته اليوم، فلا أريد أن نتأخر أكثر من ذلك فقد اتصل كريم بي مرتين".
- إذن هيا بنا لنعود إلى المقهى.
- كم الساعة الآن؟

نظرت خديجة إلى ساعتها وقالت: "إنها العاشرة".

في تلك اللحظة وقع انفجار شديد قد تأثرت به كثير من المحلات المتجاورة وقد تناثرت بسببه جثث كثيرة وأصيب العديد من الناس حتى صار الخوف والفزع بين الجميع، كما أن صوت الانفجار قد وصل إلى المقهى حيث يجلس وليد وكريم فتوقفا عن التحدث من ذهولهما لشدة صوت الانفجار، وكان ذلك الانفجار قد حدث في المحل الذي ترك فيه علي الشنطة التي كان يمسكها بيده وهو نفسه المحل الذي كانت تقف أمامه كلًا من خديجة وعلياء.

-19-

كانت الساعة الخامسة فجرًا عندما استيقظ حمزة مفزوعًا على صوت طرق شديد على بابه، وعندما فتح الباب وجد عمار يقف وعلى وجه قلق شديد فسأله حمزة: "ما الأمر؟".

- "إن قوات من الجيش تتقدم نحونا الآن"، جاوبه عمار الذي كان يتصبب عرقًا، فسأله حمزة مندهشًا: "كيف ذلك؟".
- لقد أخبرنا أحد مصادرنا بذلك.

خرج حمزة إلى أفراد جماعته مُسرعًا وأمر بعضهم بأخذ مواقعهم المخصصة للقتال كما أمر آخرين بتجهيز السيارات للرحيل وكان أول من فكر فيه حمزة في ذلك الوقت هو الشيخ طاهر فذهب حمزة مسرعًا إلى الخيمة التي كان يمكث بها، وعندما دخل حمزة على الشيخ وجده مستيقظًا بعد أن وصلت إليه تلك الأخبار، فأخبره حمزة أنهم سينتقلون إلى المكان الآخر الذي كان حمزة قد أعدّه لمثل تلك الظروف.

وبالفعل لم تمر سوى دقائق قليلة حتى ذهبت السيارات والتي كانت إحداها تحمل حمزة ومعه بعض الرجال وأخرى تحمل الشيخ طاهر ومعه رجال آخرين وثالثة كان بها الشيخ عبد العزيز وباقي الرجال، في حين ظل رفعت لقيادة الرجال الذين سيتصدون لقوات الجيش.

لكن حدث ما كان يخشاه حمزة وهو مواجهة سيارتين كانت بهما رجال الجيش أثناء هروبهم، فقاموا بتبادل إطلاق النار حتى قُتل البعض وأُصيب آخرون، ولكن في نهاية الأمر استطاع حمزة ورجاله الهروب داخل الصحراء خلف الجبال حتى وصلوا إلى موقع آخر كان به بعض رجالهم، والذين استقبلوا حمزة وأفراد الجماعة في حالة من التأهب والاستعداد للقتال.

وأثناء تبادل إطلاق النيران كان الشيخ طاهر قد أصيب برصاصة في صدره ولكنه كان قد أخفى ذلك عن رجاله حتى وصلوا إلى المكان الذي قصدوه وأصبحوا في وضع آمن، وساد القلق بين جميع أفراد الجماعة عندما علموا بإصابة شيخهم الكبير والتفوا حوله كما حاول البعض معالجته ولكن كان الشيخ يلتقط أنفاسه الأخيرة، وطلب الشيخ

طاهر من حمزة أن يقترب منه ثم تحدث إليه بصوت هامس في أذنه دون أن يعرف أحد من الموجودين بما قاله الشيخ لحمزة.

وكانت تلك الكلمات التي لم يقلها الشيخ سوى لحمزة هي آخر كلماته قبل وفاته بلحظات وقد بدا الحزن بعدها على وجوه الجميع، كما شعر حمزة بالحزن الشديد من أجل الشيخ طاهر وقد ازداد غضبه حتى أعلن بصوت عالٍ سمعه الجميع قائلًا: "يوجد بيننا خائن، وأقسم بالله أنني سأعذبه حتى الموت".

على الجانب الآخر كان رفعت والرجال الذين معه يقاتلون رجال الجيش بكل قوة في محاولة للتصدى لهم وتعطيلهم حتى لا يلحقوا بالشيخ والأمير، ولكن كان التفوق العددي لصالح رجال الجيش سببًا في مقتل رفعت والرجال الذين معه، وقد زاد ذلك الحزن الذي كان يشعر به حمزة وأفراد الجماعة.

* * *

كانت لحظات قاسية على جميع أفراد الجماعة أثناء دفن الشيخ طاهر والذي بكى فيه الجميع حزنًا على مُعلمهم وكبيرهم سوى حمزة الذي احتفظ بدموعه وكانت مشاعره باردة كما بدا في الفترة الأخيرة، ولكنه

كان متأثرًا بتلك النهاية التي لاقاها الشيخ فدخل حمزة خيمته وجلس على سجادة صغيرة كانت مفروشة على الأرض ثم وضع يديه على وجهه وظل يسترجع في ذهنه لقائه الأول بالشيخ.

كان حمزة قد وصل إلى مسجد السلام كما هو موضح في العنوان المكتوب بالورقة التي أعطاها الشيخ إليه، وكان قد وجد المصلون انتهوا من صلاتهم ويخرجون من المسجد فسأل أحدهم: "هل تعرف الشيخ طاهر؟".

- "إنه الشيخ الذي يرتدي العباءة البيضاء ويلتف الرجال حوله هناك"، قالها الرجل وهو يشير بيده إلى مجموعة من الرجال يقفون مع بعضهم البعض فاتجه حمزة ناحيتهم.

كان الشيخ طاهر في عمره الستين وكان قصيرًا قليلًا وبدينًا إلى حد ما وكان له لحية كبيرة بيضاء اللون، كما كان يتكئ على عصا يمسكها في يده.

وظل حمزة واقفًا لبضع دقائق حتى ذهب الجميع وكان الشيخ يهمّ بالرحيل فلحق به حمزة قائلًا: "السلام عليكم يا مولانا".

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- لقد أرسلني إليك أحد أبنائك.

فنظر إليه الشيخ دون أن يرد بشيء، فأكمل حمزة: "لقد أخبرني أنني سوف أجد عندك كل الخير، وأنك ستدلني على طريق الجهاد، جهاد النفس"، فابتسم الشيخ وقال: "نعم.. نعم يا بني.. ولكن الله هو مَن يُبين لنا ذلك الطريق، وما علينا فعله سوى السمع والطاعة".

- ونعمَ بالله يا مولانا.

فأخذه الشيخ إلى بيته بعدما أخبره أنه سيمكث هذه الليلة عنده ثم ينطلقا بعد فجر الغد إلى المكان الذي سيجد فيه كل الخير ويستطيع فيه الجهاد.

شعر حمزة بشيء من الطمأنينة والراحة النفسية عندما دخل البيت، وذلك لما وجده من رائحة عطرة تفوح في المكان وأزهارًا ملونة في كل ناحية، ثم جلس حمزة في غرفة الضيوف بعدما أدخله الشيخ فيها ثم غاب عنه لدقائق قليلة حتى عاد مرة أخرى فجلس على أريكة أمامه وسأله: "ما الذي يدفعك إلى الجهاد؟".

ظل حمزة يحكي للشيخ كل شيء عن نفسه وحياته بكل تفاصيلها باستثناء والده ومريم وقصة حبه معها واكتفى بإخباره أنه قد مرّ بعلاقة

حب ولكنها فشلت دون أن يسأله الشيخ عن تفاصيلها، ثم اختتم حمزة كلامه قائلًا: "في الحقيقة.. لم يكن الجهاد بالنسبة لي بدافع ديني بل في اعتقادي وسيلة للانتقام من هذا العالم القبيح".

ثم قطع كلامهما صوت طرقات على باب الغرفة التي يجلسون فيها فأذن الشيخ للطارق بالدخول، فكانت امرأة مُنتقبة زيّها أسود اللون لم يظهر منها سوى عينيها الزرقاوتين والتي يستطيع أي أحد رؤيتهما من ذلك النور الذي يبرق منهما، فقالت بصوت أنثوي لطيف فيه شيء من الخجل يكاد لا يسمعه أحد: "الطعام جاهز يا مولانا"، فأشار لها الشيخ بأن تنصرف، ثم دعا حمزة إلى تناول الطعام، ورغم محاولات حمزة بالاعتذار إلا أن الشيخ أصرّ على تناول الطعام معًا.

جلس حمزة بجوار الشيخ ومعهما تلك المرأة التي كانت ترتدي النقاب، والتي أمرها الشيخ بالجلوس لتناول الطعام معهما وأيضًا إظهار وجهها فتعجب حمزة لذلك الأمر فكان يظنه شيخًا متشددًا كما يُعرف عن المجاهدين، فكانت فتاة لا يزيد عمرها عن سن العشرين وكان وجهها يشع نورًا من بياضه كأنه قمرٌ ليلة اكتماله، وكان حمزة قد لمح كل

ذلك من نظرة واحدة إليها ثم ظل يتناول الطعام ولم يرفع عينيه عن الطبق الذي أمامه.

ولكن تلك الفتاة قد استحوذت على تفكيره ولم تغادر ذهنه لحظة واحدة، فكان حمزة يتساءل في نفسه: "لماذا سمح لها الشيخ بإظهار وجهها؟ ومَن تكون تلك الفتاة؟ هل هي ابنته ويبحث لها عن زوج؟ ولكن كيف تكون بهذا الجمال ويقوم الشيخ بعرضها كبضاعة بهذه الطريقة؟ هل يتفاخر الشيخ بجمالها؟ ولماذا؟ هل تكون تلك الفتاة...".

فجاءه صوت الشيخ ليقاطعه عن تفكيره وموضحًا له كل هذه التساؤلات عندما قال وهو يشير للفتاة: "إنها لمياء.. زوجتي".

فتوجه حمزة بنظره إليها مرة أخرى دون إرادته وقد شعر بصدمة في داخله فأكمل الشيخ: "بعد وفاة زوجتي كنت في حاجة إلى من تعتني بي وخاصة وأنا في هذا السن الكبير، وكانت لمياء ابنة أحد أصدقائي الذي قدمها لي زوجة، وهي تتميز بحسن خُلقها وجمالها أيضًا".

لكن حمزة لم يُدرك أي شيء مما قاله الشيخ فكان ذهنه قد توقف تمامًا وأصبح كأنه شخص أصم وأبكم واكتفى بالنظر إلى طبقه وقد توقف عن الطعام، في حين كان الشيخ قد عاد ليتناول طعامه وهو يتلذذ بطعمه

وشهيته، بينما كانت لمياء تنظر إلى حمزة بين الحين والآخر وقد غابت عنها ابتسامتها وربما السبب تذكرها لأسباب زوجها من الشيخ.

وبعدما انتهى الجميع من تناول الطعام نزل حمزة مع الشيخ إلى المسجد لأداء صلاة المغرب، وبعدما انتهى المصلون من الصلاة رحل البعض وظل الكثير جالسين حتى بدأ الشيخ طاهر يُلقي خطبته ودرسه إليهم حتى موعد صلاة العشاء.

وكان حمزة يفكر في تلك الفتاة وكيف قادها مصيرها إلى الزواج من شيخ كبير ربما في سن جدها، ثم يعود مرة أخرى بذهنه ليسمع كلمات الشيخ التي يُلقيها في درسه وهو يقول: "إن الإسلام يا إخواني دين الرحمة.. دين الأخلاق والتسامح.. دين المحبة والسلام.. دين العدل".

ثم يعود حمزة ويتساءل في نفسه: "كيف يمارس هذا الشيخ الحب مع تلك الفتاة الصغيرة؟! هل يجلسان تحت أضواء الشموع ويقول لها شعرًا؟! هل يستمعا للموسيقى ويرقصان معًا؟!"، ثم ينتبه لصوت الشيخ وقد ازداد علوًا وحماسةً: "يا إخواني إن النفس لأمارة بالسوء، وما علينا سوى الجهاااااد ضدها"، فتأتي بعض أصوات الحاضرين في نفس التوقيت وهم يرددون: "الله يفتح عليك يا مولانا".

وظل الشيخ يُكمل درسه حتى جاء وقت صلاة العشاء، وبعد دقائق قليلة قد انتهوا فيها من الصلاة عاد حمزة مع الشيخ إلى بيته مرة أخرى، وأثناء عودتهما إلى البيت قال الشيخ موجهًا كلامه لحمزة: "هناك أمر مهم يجب أن تعرفه يا بُني".

- ماذا يا مولانا؟
- إن تلك الرحلة التي اخترتها طويلة جدًا وقد تستغرق عمرك كله، كما أنها شاقة وصعبة وتحتاج إلى من يقدر عليها.
- وأنا مُستعد لها.
- هناك أمر أخير يجب أن تعلمه أيضًا.
- ما هو؟

فنظر إليه الشيخ وقد توقف عن السير ثم قال: "إن الجميع هناك يلتزم بقانون واحد "السمع والطاعة"، ولا يسأل أحد عن شيء حتى يأتي الوقت المناسب ويعرفه؟".

فظل حمزة صامتًا لثوانٍ يفكر في ذلك الأمر ثم قال: "على بركة الله يا مولانا".

- "بارك الله فيك يا بُني"، قالها الشيخ لحمزة وهو يُربت على كتفه، ثم أخذه إلى منزل يتكون من طابقين فقط ولا يسكنه أحد وبعد أن أخرج الشيخ طاهر مفاتيحه من جيبه فتح باب المنزل ودخله ومن خلفه حمزة، والذي أخبره الشيخ أنه سيقيم في هذا المكان حتى يوم الغد ويأخذه إلى المكان الذي أراده.

* * *

لم يستطع علي أن يفرح بنصره ونجاحه للمهمة التي كان هو قائدها وأتّمها على أكمل وجه، وذلك بسبب معرفته بوفاة الشيخ طاهر الذي كان يعتبره أبًا له وليس فقط الشيخ والمعلم، فكان علي من أكثر الذين تأثروا بموت الشيخ طاهر بل إنه كان أكثرهم وقتًا حتى استعاد تماسكه ليعود مرة أخرى لمهامه التي كان يُكلَف بها.

في اليوم الذي عاد فيه علي إلى الموقع الجديد الذي اتخذته الجماعة مكانًا لها وبعد معرفة نبأ مقتل الشيخ دخل لحمزة غرفته وتحدث إليه مُتسائلًا: "مَن المسئول عما حدث؟ وكيف حدث ذلك؟".

فنظر إليه حمزة مُتجاهلًا الطريقة التي كان يسأله بها علي مُلتمسًا له العذر لشعوره بصدمة كبيرة لما حدث، ثم قال له: "يوجد بيننا خائن، وسيأخذ عقابه قريبًا".

- وهل أنت تعرفه؟

فنظر إليه حمزة دون أن يرد، فكرر علي سؤاله مرة أخرى: هل أنت تعرفه؟

- سأتأكد أولًا إنه هو، ثم أُعلن عنه.

خرج علي غاضبًا وهو يتوعد بأنه سيقتل ذلك الخائن بنفسه عندما يعرفه في حين كان عمار قد جاء لحمزة مهرولًا وقال له: "إن الشيخ عبد العزيز يريد التحدث إليك في أمر مهم".

❁ ❁ ❁

-20-

كان وليد يقف أمام غرفة العمليات ودموعه تنزل من عينيه دون أي محاولات منه بمنعها، في حين كانت خديجة بالداخل ويلتف حولها الأطباء الذين كانوا يقومون لها بعمليات جراحية لمحاولة إنقاذها مما تأثرت به خلال التفجير الإرهابى الذي حدث في السوق الكبير، حيث تم نقلها مع كثير من المصابين الآخرين في ذلك الحادث.

وبينما كان وليد واقفًا يدعو الله بشفاء زوجته وبقائها على قيد الحياة جاء إليه صديقه كريم ومعه علياء، والتي كانت تجلس على كرسي متحرك وقد تم وضع رجليها وذراعها الأيسر داخل الجبس كما كان وجهها متأثرًا ببعض الجروح وكل ذلك كان نتيجة نفس الانفجار الذي حدث.

ثم بادر وليد بالحديث مُوجهًا سؤاله لعلياء: "كيف حالك الآن؟".

- الحمد لله بخير.. ماذا عن خديجة؟
- "ما زالت داخل غرفة العمليات"، قالها وليد وقد زاد قلقه.

- "لقد مرّت خمس ساعات على وجودها بالداخل"، قال كريم وقد بدا عليه الاندهاش فزاد التوتر على وجه وليد الذي اكتفى بالنظر للأعلى والدعاء في سره، وكان وليد واثقًا بأن الله لن يحرمه من زوجته فهي لا تستحق تلك النهاية المأساوية، كما أنه كان يظن في نفسه أنه لم يكن قد أسعدها بالقدر الذي كانت تتمناه وشعر بأنه كان مقصرًا معها ولم يهتم بها كما كان يفعل قبل زواجهما، ثم سادت دقائق من الصمت حتى فُتح الباب الخاص بغرفة العمليات وخرج منه أحد الأطباء فاتجه إليه وليد مُسرعًا وسأله: "ما الأمر يا دكتور؟".

- في الحقيقة الحالة كانت صعبة جدًا.. لكن الحمد لله لقد نجحت العملية وتم إنقاذها.

ظهرت ملامح الطمأنينة والهدوء على وليد، ثم أكمل الطبيب: "لكننا اضطررنا لنزع الرحم".

لم يُبد وليد اهتمامًا كبيرًا بذلك فكان كل ما يحتاج سماعه هو أن زوجته ما زالت على قيد الحياة، ثم ذهب الطبيب بعدما أخبرهم أنه يمكنهم رؤيتها والاطمئنان عليها بعدما تفيق من المخدر.

بعد نصف ساعة كان وليد وكريم وعلياء يقفون بجوار خديجة التي قد بدأت تستعيد وعيها مرة أخرى من آثار المخدر، فأمسك وليد يدها وضمها إلى صدره ثم قال لها: "الحمد لله على سلامتك يا حبيبتي"، فنظرت خديجة حولها في محاولة منها لاستيعاب المكان الذي وجدت نفسها فيه ثم بدا عليها أنها قد تذكرت ما حدث في السوق ولحظة الانفجار فلمعت عيناها ثم تساءلت: "أين علي؟".

* * *

كان حمزة جالسًا في غرفته ينتظر الشيخ عبد العزيز الذي طلب مقابلته لأمر مهم، وكان يفكر فيما سيكون ذلك الأمر المهم الذي جعل الشيخ عبد العزيز يطلب مقابلته في ذلك الوقت المتأخر من الليل، وبينما كان حمزة يفكر في ذلك سمع طرقات على الباب فأذن للطارق بالدخول فكان عمار ومعه الشيخ عبد العزيز، فطلب حمزة من عمار أن ينصرف ويتركهما بمفردهما.

سادت لحظات من الصمت قطعها الشيخ عبد العزيز مُتحدثًا: "كيف حالك أيها الأمير؟".

فنظر حمزة إلى الشيخ عبد العزيز ثم قال: "ما هو ذلك الموضوع المهم الذي طلبت مقابلتي من أجله؟".

فابتسم الشيخ ثم قال: "منذ لقائنا الأول وأنا أظن أننا تقابلنا من قبل وأنني أعرفك، لكن الآن صرت متأكدًا من ذلك، ولكنني لا أستطيع أن أتذكر متى وأين!".

- "سأخبرك بشيء علمته عنك"، قال حمزة ثم جلس على كرسيه وأشار للشيخ بأن يجلس على الأريكة المقابلة له ثم تحدث قائلًا: "منذ أكثر من ثلاثين عامًا تزوجت من امرأة تُدعى "هدى" بعد قصة حب تحدث عنها جميع أهل قريتكما، ثم تركتما تلك القرية لتعيشا في القاهرة بعد صراع نشأ وسط العائلة بسبب الميراث، جئتما إلى القاهرة وتركتما كل شيء تملكانه الأرض والبيت والأهل والأصدقاء، استأجرتما شقة صغيرة وبدأت تعمل في أكثر من عمل مختلف حتى تستطيعا العيش، ثم رزقكما الله بولد اخترت له اسم حمزة على نفس اسم أخيك الذي توفي في صغره، وبعد ثلاث سنوات فقط تركت زوجتك وابنك وهجرتهما دون أن تخبرهما بمكانك أو أي شيء عنك، تركت زوجتك بمفردها

تقوم بتربية ورعاية ابنك رغم تعرضها لمرض خبيث، وقد كبر ابنك وأصبح مهندسًا متفوقًا وظل يعيش حياته محاولًا تخطي كل الصعاب التي تواجهه، وأهمها وفاة أمه والتي قد أوصته خيرًا بك رغم كل ما فعلته معها فكان حبها لك أكبر من كل ذلك".

كان الشيخ عبد العزيز يستمع لحمزة باهتمام وينصت لكل كلمة يقولها ثم سأل: "كيف عرفت كل ذلك؟".

فابتسم حمزة ثم قال: "هل لا تعرف حقًا؟ أم أنك لا تستطيع أن تصدق ذلك؟".

- إذن فأنت حمزة.. ابني.

* * *

كان علي يجلس بمفرده وقد أخرج من محفظته صورة كانت تجمعه هو وأخته خديجة، وظل ينظر للصورة كثيرًا حتى سالت دموعه وهو يتذكر كل لحظة كانت تجمعهما.

تذكر أيام الطفولة وكم كان يخشى عليها من كل شيء؟! تذكر رعايته لها كأنها ابنته وليست أخته رغم فارق السن الصغير بينهما.

تذكر ضحكاتها عندما كان يحكي لها موقفًا مُضحكًا أو عندما كانا يشاهدان فيلمًا لإسماعيل ياسين.

تذكر حياة لا يعرف كيف ولماذا ذهبت عنه بهذه الطريقة ثم تساءل في نفسه: "أين أنتِ الآن يا خديجة؟".

فلم تغب خديجة عن ذهنه يومًا رغم كل ما كان يعانيه في السجن وحتى في ذلك المكان، فما حدث لم يكن من المفترض أن يكون حالها!

وتذكر تلك الفتاة التي رآها أثناء تنفيذه للمهمة التي كان يقودها في الأقصر والتي كانت تشبه أخته تمامًا وتحمل طفلًا رضيعًا بيدها، كان يريد أن يتوقف ويتحدث إليها فيتأكد ما إذا كانت هي أخته أم أنها مجرد فتاة تشبهها، ولكنه لم يستطع ذلك في وجود إخوانه من الجماعة الذين كانوا معه، وربما السبب الحقيقي أنه كان يخشى ذلك فماذا لو كانت هي أخته خديجة؟ هل سيأخذها بين أحضانه ويبكي فرحًا لمقابلته بها ومعرفة مكانها؟ هل كان سيخرج مسدسه ويقتلها حتى لا تتسبب له بالعار لأنها هربت مع عشيقها؟

كانت أشياء كثيرة تدور في ذهن علي ولكنه توقف عن كل ذلك محاولًا أن يتناسى أمر أخته ولو في تلك اللحظات فقط.

- "أين علي؟"، سألت خديجة وقد استطاعت الكلام بصعوبة، ولكن لم يأتها رد على سؤالها فتحولت بنظراتها إلى علياء ثم كريم ثم وليد مرة أخرى الذي توقفت بنظرها عنده، ولكن لم يجد وليد الشجاعة ليجاوبها على ذلك السؤال فانفجر في البكاء وسالت دموعه رغمًا عنه.

فكيف يستطيع أن يخبرها بما حدث لابنهما وهو نفسه لم يكن قادرًا على تصديق ذلك!

فسألت خديجة بلهفة: "ماذا حدث لابني؟".

- "لقد تُوفي بعد الحادث"، قالها كريم وقد سالت دموعه أيضًا، فأغمضت خديجة عينيها بصورة بطيئة وقد أغمى عليها في حين صرخت علياء تستنجد بالأطباء بينما جرى كريم ليمسك بصديقه الذي كان قد سقط هو الآخر أرضًا.

* * *

- "ابنك!"، قالها حمزة مُستنكرًا ثم أكمل: "كيف يمكنك أن تقول تلك الكلمة وأنت لا تعرف ماذا تعني بها؟!".

- إنك لا تفهم الأمر على حقيقته.

فضحك حمزة ساخرًا ثم قال: "وما الذي لا أفهمه؟!".

- بعد سنوات جمعتنا كعائلة صغيرة سعيدة ترضى بحياتها بكل ما فيها وكنت أعمل بجد وكفاح لكي أوفر لكما كل ما تحتاجانه، تغيرت الأحوال وأصبحت حياتي بائسة، والسبب أنه تم القبض عليّ وسُجنت لبضعة أيام لاتهامى بانضمامي للجماعات الإرهابية، ولكن التحقيقات أثبتت براءتي وخرجت من السجن، ولكن متى، بعد أن تم تعذيبى بطرق بشعة لا يمكنك تخيلها، ولم أجد بعدها عملًا حيث إن كل الناس كانت تخشى التقرب مني، ولكن أرسل الله من وقف معي وقدم ليّ الدعم النفسي والمالي وكان هو "الشيخ طاهر" الذي قابلته في السجن، وكان عليّ رد الجميل له بل لله عز وجل بالجهاد والتضحية من أجل الإسلام والمسلمين، فسافرت لنصرة إخواننا في دول كثيرة منها فلسطين ولبنان وأفغانستان.

ظل حمزة يسمع وهو يبتسم تهكمًا لما يسمعه ثم سأله: "وماذا عن زوجتك وابنك؟ ألم تفكر فيهما يومًا وما يكون قد حلّ بهما؟!".

- كنت على يقين بأن الله قادر أفضل مني على رعايتكما.

- "وماذا تريد الآن؟"، سأل حمزة.

ظل والده صامتًا للحظات حتى سالت دموعه ثم قال: "كل ما أريده هو أن تسامحني؟".

- وماذا تظن بما سأفعله؟

ولكن لم يستطع الشيخ الردّ على هذا السؤال، فلم يكن عنده اليقين بأن حمزة سيسامحه لما عاناه من آلام سببها له عندما هجره هو وأمه أثناء طفولته، ولما يعتقده حمزة تجاهه بأنه السبب في موت أمه.

ولكن قطع عليه حمزة تفكيره عندما قال: "أولًا يجب أن تعرف شيئًا".

- ما هو؟

- إنني الآن شخص آخر غير حمزة الذي تعتقده ابنك.

فنظر له الشيخ دون أن يُعلق على ذلك مُنتظرًا الإجابة عن سؤاله عن مسامحته فأكمل حمزة: "ربما يستطيع حمزة الذي كان في السابق على مسامحتك بل واحتضانك أيضًا لأنه طالما ما كان يشتاق لرؤيتك ووجودك بجانبه، لكن حمزة الذي يقف أمامك الآن بعد التغيير الذي أصبح عليه، لا يستطيع أن يسامحك".

استعادت خديجة وعيها مرة أخرى فوجدت وليد جالسًا بجوارها على السرير ويمسك يدها اليسرى بيده اليسرى أيضًا ويحرك أصابع يده اليمنى بين خصلات شعرها، فألقت نظراتها إلى كريم وعلياء الجالسين أمامها وقد بدا عليهما الهدوء والطمأنينة بعد أن فتحت هي عينيها، ثم بدأت تنزل دموعها مرة أخرى فقال وليد: "إننا نؤمن بالله، وهذا ما قدّره الله لنا، فالله مَن أعطانا طفلنا وهو أيضًا من أخذه".

- "الحمد لله"، قالتها خديجة، فمسح وليد دموعها بكفه ثم وضع قبلة على خدها، فتحدث كريم قائلًا: "الحمد لله على نجاتك، لقد كان الحادث مروعًا حقًا".
- "هل الخسائر كبيرة؟"، سألت خديجة، فجاءت الإجابة من علياء: "لقد تُوفي سبعة أشخاص وأصيب أكثر من مائة شخص".

أغمضت خديجة عينيها بعد أن تألمت لسماع ذلك، ثم فتحتهما مرة أخرى وتساءلت: "مَن هذا الشخص الذي يمكنه أن يفعل ذلك بالأبرياء؟!".

* * *

كان حمزة قد اجتمع بجميع أفراد جماعته وتحدث إليهم قائلًا: "أريد أن أخبركم بأمر هام، وهو أنني قد عرفت أخيرًا الخائن الذي تسبب في مقتل الشيخ طاهر وكاد أن يتسبب في مقتلنا جميعًا.

فتوجهت إليه الأنظار جميعًا بلهفة وشوق لمعرفة ذلك الخائن، ثم خرج علي من بينهم ومعه بندقيته ثم قام بشدّ أجزائها وتوجيهها لأعلى وتحدث قائلًا: "مَن هو ذلك الخائن؟ فإنني قد تعهدت بقتله بنفسي".

- "وهل تستطيع فعل ذلك حتى لو كنت تحب هذا الشخص؟"، سأل حمزة.

فجاوبه علي: "إنني أحب من يُحب الإسلام ويعمل من أجله، بينما من يخوننا ويخون الإسلام فلا أشعر تجاهه سوى البغض، بل وإنني سأنتقم منه".

ثم نظر حمزة للجميع وهو يرى في عيونهم الترقب لمعرفة الخائن ثم قال: "إن ذلك الخائن هو مَن تسمونه القائد الكبير، إنه الشيخ عبد العزيز".

توجهت الأعين كلها ناحية الشيخ عبد العزيز غير مُصدقين لما سمعوه، وكانوا ينتظروا رده ودفاعه عن نفسه لكنه اكتفى بإلقاء نظرة إلى

حمزة وهو يبتسم إليه فما كان على الجميع سوى تصديق ما قاله حمزة أميرهم، عندما لم يجدوا دفاع الشيخ عن نفسه، فنظر حمزة إلى علي وقال: "الآن يمكنك تنفيذ العقوبة على الخائن إذا كنت تستطيع فعلًا أن تفعل ذلك".

فنظر علي حوله ليرى عيون وملامح الجميع باردة لا تظهر له شيئًا، لا يرى في عيونهم القرار الذي يريدونه، لكنه اقترب ببطء ناحية الشيخ عبد العزيز وقام بتوجيه بندقيته إليه منتظرًا أن ينطق بشيء ولكنه لم يفعل، فتوجه علي بنظره إلى حمزة مُنتظرًا قراره الأخير، فابتسم إليه حمزة ثم قال: "افعلها".

خرجت ثلاث رصاصات متتالية من فوهة البندقية موجهة إلى صدر الشيخ عبد العزيز، الذي سقط على الأرض دون أي محاولة منه للدفاع عن نفسه أو قول شيء أخير سوى النطق بالشهادتين في سره، سقط الشيخ على الأرض وهو يحتفظ بابتسامته ونظرته الحنونة لحمزة، الذي كانت مشاعره جامدة ولم يُبدِ أي تأثر مما حدث أمامه في تلك اللحظات التي مضت سريعًا.

❁ ❁ ❁

-21-

كان حمزة جالسًا وقد وضع سماعته في أذنيه ويستمع إلى أغنياته محاولًا التوقف عن التفكير في أي شيء، فقد مرّت الأيام الماضية كلها سريعة وبشكل غير متوقع مما فيها من أحداث.

لم يكن حمزة يشعر بأي إحساس داخله، لا يشعر بالحب، لا يشعر بالكره، لا يشعر بالحزن، لا يشعر بالفرح، لم يكن داخله سوى الفراغ التام.

مرّت دقائق على هذا الوضع حتى انتبه حمزة مرة أخرى لما يدور حوله عندما سمع طرقات شديدة على الباب، فخلع سماعته ووضعها بجواره ثم أذن لَمن يطرق الباب بالدخول.

كان علي جالسًا بمفرده يفكر في كل ما حدث خلال الأيام السابقة وما مرّ به من مفاجآت لم يكن يتخيلها، كانت أفكاره متضاربة ومتداخلة مع بعضها البعض ولم يكن يعرف ما ينبغي عليه فعله في الفترة القادمة،

كما كان يتساءل في نفسه كيف أخذته الحياة إلى هذا الطريق؟ وما هو الصواب الحق؟

ولكن عمار قد أخرجه من تفكيره في كل ذلك عندما جاء إليه وأخبره أن الأمير يريد مقابلته، فقرر علي التوقف عن التفكير وتأجيل قراره حتى ينتهي من مقابلة الأمير.

ظل علي واقفًا خلف الباب ويطرق عليه بشدة حتى جاءه صوت حمزة الذي أذن له بالدخول، فدخل علي وأغلق الباب خلفه ثم جلس على الأريكة في وضعية مقابلة لحمزة الذي أشار له بالجلوس عليها، وبعد لحظات من الصمت تحدث حمزة قائلًا: "منذ يومك الأول مع تلك الجماعة وأنت تثبت إخلاصك الدائم لها، حتى اليوم الذي توليت أنا فيه منصب الأمير فلم يكن قرارك سوى السمع والطاعة، على الرغم من عدم اقتناعك بأنني أستحق ذلك المنصب".

فبدأ علي يشعر بالقلق والذي ظهر واضحًا على وجهه، في حين أكمل حمزة كلامه: "ولكننى قد طلبت مقابلتك للتحدث معك في أمر آخر، لا يتعلق بالماضي وإنما يتعلق بالحاضر والمستقبل".

- "وما هو ذلك الأمر؟"، قالها علي بصوت متقطع يتخلله الخوف من المصير الذي ينتظره فقد أصبح لحمزة قرارات مفاجأة للجميع خلال الأيام القليلة الماضية، فجاوبه حمزة: "لقد أعددت خطة لعملية أخيرة وقد قررت أن أشارك فيها بنفسي".

فلم يشعر علي بأنه سمع شيئًا يفاجئه كما كان يتوقع، كما أن خوفه قد بدأ يتبدد حتى جاءته كلمات حمزة الأخيرة: "كما أنني قد قررت التنازل عن منصب الأمير لك".

اتسعت عينا علي وفتح فمه بحركة لا إرادية من هول المفاجأة التي سيطرت عليه في تلك اللحظات، ولم يكن يصدق ما سمعه بأذنيه، فأكمل حمزة قائلًا: "في مقابل شيء واحد فقط".

- "ما هو؟"، سأل علي، فجاوبه حمزة: "أن تنتهي علاقتي بعدها بتلك الجماعة".

ظل علي لثوانٍ يفكر في ذلك الأمر ورغم أنه كان يفكر أيضًا في ترك تلك الجماعات إلا أنه هزّ رأسه موافقًا لما عرضه حمزة عليه.

انطلقت أربع سيارات نصف نقل وكانت الأولى سيارة مفخخة تحمل أطنانًا من المواد المتفجرة ويقودها رجل ومعه آخر بجواره يحمل

جهاز التحكم الخاص بالانفجار وكذلك معه بندقية آلية، بينما كانت السيارة الثانية عليها رجلين كلًا منهما يقف خلف رشاش متعدد، والسيارة الثالثة كانت تحمل خمسة رجال يحملون البنادق الآلية ومعهم قنابل يدوية، في حين كانت السيارة الرابعة يقودها عمار ويجلس بجواره حمزة القائد لتلك العملية وفي يده بندقية آلية.

وبالفعل وصلت السيارات إلى مكان التنفيذ حيث الوحدة الخاصة بالجيش عند الساعة الثالثة صباحًا، وخرجت الرصاصة الأولى من السلاح الذي كان يحمله حمزة والتي أسقطت الجندي الواقف أعلى برج المراقبة الخاص بالوحدة.

وقد أصدر حمزة في نفس التوقيت أمرًا باقتحام السيارة المفخخة داخل الوحدة ثم أصدر أمرًا آخر بتفجيرها، فحدث انفجارًا هائلًا قد أسقط الكثير من الجنود والضباط الموجودين، ثم بدأ الجميع في تبادل إطلاق النار من جميع النواحي.

كان القتلى يتساقطون من الطرفين الواحد تلو الآخر وسالت الدماء في كل مكان واختلطت مع بعضها البعض دون تمييز بينهما.

-22-

لكن لم تستطع تلك السيدة أن تنتظر أكثر من ذلك وتخمن هي بنفسها إجابات كل هذه التساؤلات التي كانت تدور في رأسها، فوقفت وتوجهت ناحيته دون أن تفكر فيما تفعله ونتائج ذلك حتى وجدت نفسها أمامه ولا يفصلها عنه سوى الطاولة التي كانت تعتبر حاجزًا بينهما ثم قالت بصوت متقطع: "كيف حالك يا حمزة؟".

كان حمزة يضع سماعته في أذنيه ويحرك أصابع يده اليمنى على نظارته ومفكرته الموضوعتين أمامه على الطاولة، حتى سمع ذلك السؤال الذي كان مصدره صوت أنثوي لم يستطع حمزة تمييزه، فتوقف عن تحريك أصابعه ونظر ناحيتها مُبتسمًا ثم قال بصوت هادئ بعد أن ضغط على زر التوقف في سماعته: "الحمد لله".

- "هل حقًا لم تتذكرني أم أنك تتجاهلني؟"، سألت تلك السيدة بصوت يتخلله الحزن، فخلع حمزة سماعته ووضعها على الطاولة أمامه ثم جاوبها وهو ما يزال يحتفظ بابتسامته قائلًا: "لا أعرف، ولكن لماذا أتجاهلك؟!".

- أتسمح لي بالجلوس معك؟

فأشار لها حمزة بيده علامة الموافقة بأن تجلس، فجلست السيدة وسألته ثانية: "هل حقًا لا تتذكرني؟"، فهزّ حمزة رأسه مُشيرًا بعلامة النفي، فقالت السيدة: "هل يمكنك النظر في وجهي والتركيز قليلًا، فربما تتذكرني؟".

- آسف.. لا أستطيع ذلك.

- أنا مريم.

وعندما سمع حمزة ذلك الاسم الذي اخترق أذنيه تغيّرت ملامحه واختفت ابتسامته فجأة، كما أن يده قد ارتعشت وسقطت منها نظارته على الأرض وظلت عيناه مُثبتة على مريم دون أن يحركها أو ينطق بكلمة.

بعد ذلك أمسكت مريم يده وهي تقول: "هل حقًا لم تتذكرني؟".

ولكن حمزة قد انتفض من مكانه بمجرد أن مسكت مريم يده، فقد شعر كأنه تلقى شحنة كهربائية مفاجأة له كما ازدادت رعشته التي بدأت تسري في جسده كله، وكان يحاول الوقوف لكنه شعر كأن رجليه تأبى ذلك ولا تخضع لإرادته كأنه أُصيب بالشلل التام.

بعد لحظات قليلة استطاع حمزة تحريك رجليه ونهض مكانه وظل يحرك يده اليمنى على الأرض أسفل الطاولة، حتى استطاع أن يمسك عصاه التي كانت مُلقاة على الأرض أسفل الطاولة، وبدأ يتحسس بها طريقه وهو يحاول الخروج من المقهى مُسرعًا رغم تعثره واصطدامه بطاولات أخرى أثناء خروجه من المقهى، فكان يصطدم بالناس حوله كما كان يُسقط أكواب العصير والشاي دون قصد منه حتى نجح في الوصول لباب المقهى وخرج منه.

كانت مريم تشاهد كل ذلك وهي لا تصدق منه شيئًا وتكاد أن يغمى عليها من هول المفاجأة، كما أن دموعها سالت رغمًا عنها وهي تقول لنفسها: "إن حمزة لم يستطع أن يراني لأنه كان أعمى".

ثم أدركت أنه قد خرج من المقهى مُغادرًا فانطلقت مُسرعة للحاق به وقد تذكرت عدم قدرتها باللحاق به يوم تركها مغادرًا في نفس المكان عندما علم بأمر زواجها.

خرجت مريم من المقهى وظلت تنظر يمينًا ويسارًا حتى رأته يمشي مُسرعًا ناحية اليسار وهو يتحسس طريقه بعصاه، فجرت ناحيته حتى توقفت أمامه فاصطدم بها دون أن يعرفها فاعتذر لها وأكمل طريقه،

لكنها قد استوقفته مرة أخرى وأمسكت يده فاستسلم لها وقد توقع أنها هي، ثم قالت: "لا يمكنني تركك مرة أخرى.. ويجب أن تسمعني أولًا".

- ماذا تريدين؟
- سأخبرك كل شيء.

تمت بحمد الله

❁ ❁ ❁

لم يستطع حمزة أن يمنع دموعه من النزول بل لم يحاول حتى منعها، وذلك بعدما أخبرته مريم كل شيء عن نفسها، أخبرته عن معاناتها وأوجاعها التي طالما ما كانت تخفيها، أخبرته عن أسرارها التي لم تبح بها لأحد غيره من قبل.

أمسك حمزة يدها واقترب منها ثم احتضنها وضمها إليه بشدة، ليس فقط من أجلها هي بل لأنه أيضًا كان يحتاج ذلك...

الحب هو السجّان الحقيقي الذي يأسر كل عاشق.

الحب هو الجاني الوحيد الذي لم يستطع أحد أن يقاضيه.

انتظروا الجزء الثاني....

محمد السيد عبد الظاهر

❁ ❁ ❁

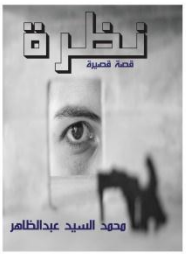
نظرة
قصة قصيرة
محمد السيد عبدالظاهر

الأم
النسيان
محمد السيد عبدالظاهر
قصة قصيرة

محمد السيد عبدالظاهر
إبن العشرينات
ديوان شعر بالعامية

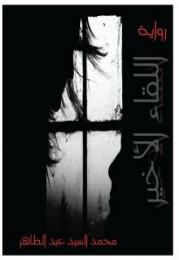
رواية
اللقاء الأخير
محمد السيد عبد الظاهر

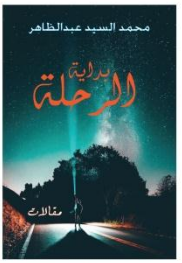
محمد السيد عبدالظاهر
بداية
الرحلة
مقالات

قصة قصيرة
محمد السيد عبدالظاهر
حالة طوارئ

قصة قصيرة
تعويذة سوء حظ
محمد السيد عبدالظاهر

قصة قصيرة
لعنة منتصف الليل
محمد السيد عبدالظاهر

رواية
رَبّ
صُدفة...!
محمد السيد عبدالظاهر

محمد السيد عبد الظاهر

من مواليد الشرقية 19 مارس عام 1991. تخرج في كلية التجارة وإدارة الأعمال بجامعة حلوان عام 2013. أصدر مجموعة أعمال كتابية حيث كان كتابه الأول هو "**بداية الرحلة**" عام 2013، والذي يضم مجموعة مقالات وقصص قصيرة متنوعة وقد نشر منها في بعض المواقع الإلكترونية على رأسها دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني ومجلة أكسجين حروف بمعرض الكتاب 2016 وكذلك الجريدة الإلكترونية نيل برس. بينما كتابه الثاني فكان "**اللقاء الأخير**" عام 2014 وهي روايته الأولى والتي تحدث فيها عن رجل قد واجه عدة صعوبات في حياته حتى انتهى به الحال لتحدي قدّره والتي تم نشرها في أكثر من موقع إلكتروني منها دار حروف منثورة وعالم الروايات وأكسجين حروف. وكتابه الثالث كان ديوان شعر بالعامية وقد سماه "**ابن العشرينات**" عام 2014 والذى تم نشره في أكثر من موقع إلكتروني. أما العمل الرابع والذى تم نشره مع مجموعة قصصية أصدرتها دار لمحة للنشر في كتاب كان تحت عنوان "ليالى الجحيم" فهو "**آلام النسيان**" عام 2016 وهي

قصة قصيرة يتحدث فيها عن المأساة التي نعيشها جميعًا وهي الذهاب في طي النسيان. كما تم نشر قصة قصيرة تحت اسم "**نظرة**" في معرض الكتاب الإلكتروني 2017 بجناح دار أكسجين حروف وتعد العمل الخامس. بينما العمل السادس رواية "**رب صدفة**" والتي تم ترشيحها لجائزة منف للرواية العربية 2017. وكان العمل السابع قصة قصيرة قد تم نشرها إلكترونيا بعنوان "**لعنة منتصف الليل**" والتي تم إصدارها في أغسطس 2018. والعمل الثامن قصة قصيرة بعنوان "**تعويذة سومیاری**" قد تم إصدارها في سبتمبر 2018. وتعد "**حالة طوارئ**" تلك القصة القصيرة هي العمل التاسع.

❁ ❁ ❁

للتواصل مع الكاتب

Email: Mohamed.abdelzaher58@gmail.com

Whats App: +2 01067521906